



# حَرِير

شاعر الخبز الّفة والرقة والعذوبة  
الأغراض والأخصائص ومختارات من شعره

إعداد

د. عبد المجيد الحرّ



الأعلام من الأدباء والشعراء

shiabooks.net  
مكتبة دليل < mktba.net

# جريد

شاعر الجذالة والرقية والعدوثة  
الانغراض والخصائص ومختارات من شعره

إعداد

الدكتور عبد المجيد الحرّ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة  
لدار الكتب العلمية  
بيروت - لبنان

---

طلب من: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان  
مرتب: ١١/٩٤٤٤ تلخس : 41245 Le Nasher  
هاتف : ٨١٥٥٧٣ - ٣٦٦١٣٥

## بسم الله الرحمن الرحيم

### المقدمة

كان جريان دجلة والفرات في العراق، وبرد في دمشق، وما عرف في مياه تلك الأنهار من عنوة، سبباً في قيام سوق شعرية مفرطة الذكاء، لكثرة ما نهل الشعراء من الماء المروية لفن إبداع القصائد، خاصة في عصر بني أمية. وقد مثل المثلث الأموي (الفرزدق وجبريل والأخطل) قمة العطاء المكثار على ساحة الحماس السياسية، لاستهواء الناس، وتهافتهم على سماع الجديد من شعرهم. وكل من يرجع إلى تاريخ نشوء ذلك المثلث، يجد وجوب وجوده لحاجة المجتمع إليه رغم الهنات - المتأينة من الهجاء - التي اعتورته، لأنه يمثل تطور الشعر الأموي مع الحياة، بعد أن طبع نفسية الشعراء الذين ذكرنا بطوابع جديدة، لم تكن مألوفة من قبل، لسبب بسيط، وهو أن الشعر تعبير النفس، وهو يتأثر، بكل ما يؤثر في النفس من ظروف طبيعية: مادية، أو روحية معنوية. وظروف العصر الأموي، خرجت عن نطاق الحياة المتقيدة بالتقى والصلاح البعيدين عن الفسق والاستهتار في الشعر، واستشعرت بالانعتاق، حين شرع الخلفاء

أبولهم للتكسب الشرعي، الذي كانت أبوابه قد أقفلت في صدر الإسلام. وإذا لم يكن هؤلاء الشعراء ناسكين زاهدين، فليس معناه أن الحيلة الروحية الجديدة لم تتظلل ظل الإسلام. ويكفي أن نتصفح ديوان شاعر كبير كالفرزدق الذي اشتهر بمجونه وفسقه، لنعرف أنه لم يفصل عن الإسلام، وأنه تأثر به، وكان يعمل في سريره. وسنرى حين ندرس نقائضه مع جرير أنه كان يفخر بعناصر إسلامية، يأتي جرير بنقائض تماثلها، أو يزيد عليها، وما من ريب في أننا كلما أتمعنا النظر في ديوان شاعر أموي، وجدنا هذا الجانب الديني في صور مختلفة. ومعنى ذلك أن الحياة الدينية طوّرت الشعر الأموي، وأثّرت أثراً عميقاً في نفوس الشعراء. وهذه الحياة الدينية التي كانت سبباً في إخراج العرب من طور البداوة، إلى طور الحضارة، هي التي حققت لهم نهضة فكرية نقلتهم إلى امم فتحت لهم تراثها العقلي الذي أحدث تطوراً هائلاً في ثقافتهم التي تفوق ما سبقها، وتحدّر عما جاء بعدها. من أمثال ذلك: تفسير القرآن، ورواية الحديث الشريف، ووضع قواعد الفقه الإسلامي، الذي شمل كل فروع الحياة المدنية والسياسية. وعلى هذا النحو كان شعراؤنا، وعلى رأسهم جرير، يُصنّف شعريهم بكل ما يدور في بيئات الفقهاء وأصحاب الكلام. وكانوا يشتركون في المناقشات الدائرة في هذه البيئات. فالجوّ كلّ كان جوّ بحث، وكان كلّ شاعر يعرض عقله ورأيه فيه. ويخيّل إلينا، أنه لم تكن هناك مسألة من المسائل في هذا العصر، إلا ويتناقش فيها الشعراء. فالنقائض التي منها نتطّلع لدراسة «جرير» ليست إلا مناظرات بالمعنى الدقيق لهذه الكلمة. ونلفت النظر، إلى أنها - أي المناظرات - فنّ أموي، غدّته، وطورته هذه البيئة الجدلية، وما اثبت فيها من طرق

حوار واستدلال في كل شيء. وهو حوار واستدلال، لم يلبث أن اتصل به الفرزدق وجريز، وتناول كل منهما قسماً منه، ألفاً على ضوئه شعر النقائض الذي فاز به جريز أيما فوز. ولم تكن الحياة السياسية في هذا العصر هادئة، بل كانت ثائرة في سبيل تسلم الحكم، وتسم كرسى الخلافة. فكان كل شاعر لبني أمية، يغلو في مدائحهم حتى بات جريز من أكثر المغالين في ذلك، خاصة لعبد الملك وأولاده، إذ رفعهم إلى مصاف العصمة والكمال. وذلك، لأن الشعراء توزعوا إلى أحزاب، وكان شعرهم يندرج في قائمة العمل السياسي. وهذا ما أرجع الناس في حياتهم الاجتماعية، إلى بطون يتسبون إليها، كما كان في الحياة الجاهلية، وفي الأغاني لأبي الفرج الأصبهاني، صور من ذلك كثيرة في العصر الأموي. وكان يعيش مع هذه الطبقة العامة المهووسة بالعودة إلى جاهليتها في النسب القبلي، والطبقة الارستقراطية المنغمسة بقصورها وملذاتها، وطبقة ثالثة، هي طبقة الموالي المنتشرة بين العامة والقصور يتعاطون الزراعة والصناعة والحرف.

وفي هذا الجو المفعم بحالة العصر وتطوره، نشأ جريز موضع بحثنا، وعنوان دراستنا، وقد اجتمعت العاطفة عنده إلى قريحة فياض جعلته يغرف من بحر، فيسيل شعره في خفة ولباقة تعبير، وسهولة تمتد بامتداد قصائده الطويلة التي ستناولها بدراسة مستفيضة بعد أن نمهد لها بالوقوف على أصول العصر وخصائصه ومميزاته التي فيها استمد طبيعة شعره. والله الهادي وإليه التوفيق.

الثلاثاء ٢ ربيع الأول ١٤١٢

الموافق ١٠ أيلول ١٩٩١

عبد المجيد الحر



# الفصل الأول

## الشاعر من خلال عصره

- العصر الأموي: تطور الشعر مع الحياة.
- الحياة الدينية.
- الحياة العقلية.
- الحياة السياسية.
- الحياة الاجتماعية.
- الحياة الاقتصادية.





## الشاعر من خلال عصره

إنَّ الشاعر الذي نصَّجه في دراستنا هذه، وعُيّت به شاعر الأهاجي والمفاخر «جرير» يلوح لنا من خلال العصر الأموي، قِمةً تتوسط قمتين «الفرزدق» و«الأخطل» وإن كانت تبرزهما، نتوءاً بارز الوفرة في العلو، لما وصفه به النقاد والباحثون، حين جعلوه مع الفرزدق أفضل من الأخطل: «لم يكن الأخطل مثلهما»<sup>(١)</sup> وزادوا على ذلك، تفضيله على الفرزدق «كان جريرٌ يُحسِنُ ضروباً من الشعر لا يُحسنها الفرزدق» وهذا القول يعود إلى بشار العُقيلي الذي أضاف صاحبُ الأغاني قوله: «وفضّل جريراً عليه»<sup>(٢)</sup> وإزاء هذا الذي كان عليه، صار لزاماً علينا، أن ندرس جريراً من خلال عصره، المتوّج بحمارة العصبية الحزبية والثورات الإقليمية، والمشاحنات المركزية، ونقفَ على أحوال المؤثرات التي أحاطت، بكلّ متفرعات أسس الخلافة وركائزها، وفوارق عاداتها وتقاليدها، مع الشعوب الداخلة في حكم الخلافة وسلطتها. ومن هذا المنطلق المحدّد الزمان، المعروف المكان بواقع سيطرة الدولة وقوتها، سنتعرّف إلى كلّ ما يساعدنا

---

(١) الأصبهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين (٢٨٤ - ٣٥٦ هـ / ٨٩٧ - ٩٦٧ م)،

الأغاني: دار الثقافة. بيروت (١٩٥٧) ج ٨ ص: ٥٩.

(٢) الأصبهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين: الأغاني: ج ٨ ص: ٥٩.

على تشريع باب دراسة الشاعر على مصراعيه. وإلى كل ما يوصلنا إلى الغاية من دراسة هذا العصر.

### العصر الأموي: تطور الشعر مع الحياة:

شهد العصر الأموي تطوراً خطيراً، بعد صراع دموي بين العراق والشام، أدى إلى نقل الخلافة من «الكوفة» في بلاد العراق، إلى «دمشق» في بلاد الشام. وصاحَبَ هذه النقلة الموجعة بنار التخاصم على الحكم، فن، أبقت تحت الرماد وميضاً رافق نشوء الخلافة الأموية، يبدو لنا واضحاً من خلال قول شاعرين. فشاعر الشام يقول:

أرى الشام تَكَرُّهُ مُلْكَ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْعِرَاقِ لَهُمْ كَارِهُونَا  
وَقَالُوا عَلَيَّ إِمَامٌ لَنَا فَقُلْنَا رَضِينَا لَبَنَ هِنْدٍ رَضِينَا  
وشاعر العراق يقول:

أَتَاكُمْ عَلَيٌّ بِأَهْلِ الْعِرَاقِ وَأَهْلُ الْحِجَازِ فَمَا تَصْنَعُونَ  
فَإِنْ يَكْرَهُ الْقَوْمُ مُلْكَ الْعِرَاقِ فَقَدْ نَمَّا رَضِينَا الَّذِي تَكْرَهُونَا<sup>(١)</sup>

ومن هنا ظهر التنافس شديداً طوال عصر بني أمية، بين أهل العراق ومن يتبعهم من فارس، وبين أهل الشام. فكان الأوكون دائماً في اضطراب سياسي مستمر، إذ كانوا معارضين للأمويين أصحاب أهل الشام، وكانوا دائماً يطهرون مع أول ناعق للثورة عليهم. وأكثر عرب العراق، كانوا من العلنانيين، بينما كان أكثر عرب الشام من

(١) الدهنوري: أبو حنيفة: أحمد بن داود ( ... - ٢٨٢ هـ / ... - ٨٩٥ م )  
الأخبار الطوال. لندن ( ١٨٦٧ م ) ص: ١٧٠.

القحطانيين. فاتخذ الصراع بين الاقليمين، شكلَ عصبياتٍ قَبَلِيَّةٍ بين الفرعين العربيين الكبيرين. ولم تقف هذه العصبية عند القحطانيين والعنانيين، فقد ذهبت كل قبيلة، بل كُلُّ عشيرة، تجرَّ تاريخها في الجاهلية وأيامها وحروبها، فاندلعت نيران خصومة شديدة بين القحطانيين والعنانيين من جهة، وبين شُعَبِهِم وأحيائهم من جهة ثانية. وأصبحت البصرة والكوفة من جهة، والشام من جهة أخرى، مسرحاً لهذه العصبية، وأخذت كُلُّ قبيلة، تزحف على جاراتها بشرائها وآثرها. وتأثرت موضوعات الشعر المختلفة بموضوعين كبيرين. أولهما ينحصر بالخصومة السياسية التي اشتعلت بين الخوارج والشيعة وبين الأمويين. وثانيهما يتحدّد بالخصومة القبلية التي التهمت بين العنانيين والقحطانيين، ثم بين أعضائهم وشعبهم المختلفة<sup>(١)</sup> وأكثر موضوعات الشعر، تأثرت بهذين الموضوعين، وظهر التحامهما في مديح بني أمية، على نحو ما نجد، عند جرير والأخطل والفرزدق. وتطوّر الشعر مع الحياة الأموية، كان يتأتى عن طريقين. الطريق الأولى: أن يفد الشعراء بشعرهم على دمشق يُنشدونه الخليفة. والطريق الثانية: أن تحدث في الشام حوادث تقتضي نظم الشعر كهذه الحوادث. التي نشبت بين القبائل القيسية حين هاجرت هناك وبين القبائل اليمنية في الشام. وهذا التطور مع الشعر، كان يقتضي وجود حياة يحياها الشاعر ويتأثر بها، فتتمكس على شعره دينياً وعقلياً وسياسياً واجتماعياً واقتصادياً. وهذا ما سنبحثه، ونلقي الضوء على مضامينه.

(١) ضيف: شوقي: التطوّر والتجديد في الشعر الأموي. دار المعارف. القاهرة. الطبعة السادسة منقحة. (١٩٥٩) ص: ٥٧.

## الحياة الدينية:

إن عوامل مختلفة، هيأت لاتساع موجة الزهد في العصر الأموي، وَمَنْ يقرأ الجاحظ في بيانه<sup>(١)</sup> وهو يعدد أسماء زهاد الكوفة والبصرة، ويطيل في تعدادهم، ويفتح الفصول الخاصة لذكرهم، يخيل إليه، أن زهاد العصر الأموي، كلهم كانوا منبئين في العراق، ولا شك في أن الزهد، كان له أصحابه في الحجاز، كما كان له أصحابه في الشام ومصر. ولكن العراق هي التي سبقت لأسباب أهمها: قيام الحروب الداخلية التي استمرت داخل العراق طوال عصر بني أمية، وجعلت بعض من خسروا هذه الحروب، ولم يستطيعوا اقتناص الدنيا من الأمويين، أن يتحولوا إلى الزهد فيها، ووضعوا أمانيهم في الآخرة، وما وعد الله به عباده المتقين. وكذلك قيام موجة من الزهد، في أقاليم عراقية، تأثرت بعناصر أجنبية أمثال قتادة الذي كان ينقل عن التوراة، وأمثال الشعبي الذي نقل عن عيسى بن مريم عليه السلام<sup>(٢)</sup> وكذلك ظلم ولاية بني أمية، وتسفهم مع العراقيين بعد من الأسباب الهامة في التحول إلى الزهد. ويكفي أن نعرف أن الحجاج قتل -فيما يُقال- صبراً وغيلة، مائة ألف وعشرين<sup>(٣)</sup> وغيره، مثل خالد القسري، ويوسف بن عمر، وإن كانوا لم يبلغوا مبلغ الحجاج في القتل<sup>(٤)</sup> وإذا

(١) الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر محبوب الكنانى (١٥٠ - ٢٥٥ هـ / ٧٦٧ -

٨٦٨ م) البيان والتبيين. الخانجي بمصر. ط ٢ (١٩٦٠) ج ١ ص: ١٠٤.

(٢) الجاحظ: عمرو بن بحر. البيان والتبيين. ج ١ ص: ٢٩٧.

(٣) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد (٢٤٦ - ٣٢٨ هـ / ٨٦٠ - ٩٤٠ م) العقد

الفريد ط لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة (١٩٦٥) ج ٣ ص:

٢١.

(٤) الجاحظ: عمرو بن بحر. البيان والتبيين ج ١ ص: ٣٦٣.

أردنا أن نأخذ صورة عامة عن موجة الزهد والتدين في الدولة الأموية، نلاحظ أن أشهر زهاد الكوفة علقمة بن قيس، ويصفونه بأنه كان من الربانين<sup>(١)</sup> وابن أخيه الأسود بن يزيد، ويقولون إنه كان صواماً قواماً<sup>(٢)</sup> وعمرو بن عتبة بن فرقد وكان من البكائين<sup>(٣)</sup> والريبع بن خُثَيْم، ويقولون إنهم لم يسمعه يذكر شيئاً قط من الدنيا<sup>(٤)</sup>.

وهام بن الحارث النخعي وكان يقول: «اللهم أكفني من نومي بيسير، واجعل سهرى في طاعتك» فكان لا ينام إلا هنيهة وهو قاعد<sup>(٥)</sup> وأويس القرني. وكان من البكائين. وكان يتحرج أن يحدث أو يقص أو يفتي<sup>(٥)</sup> وهؤلاء لم يملأوا أجواءهم بعباداتهم وتقشفهم فحسب، بل ملأوها بمواعظهم وإرشاداتهم وتوجيهاتهم. وكان فريق منهم يلبسون الملابس الخشنة. وهذا يدل على أن شعراء عصر بني أمية، نبتوا في جو جديد، فيه روحية ومثالية، وفيه إيمان بعالم آخر، فوق حسهم وشعورهم. وهذا كله طبع نفسية كثير من الشعراء في العصر الأموي، بطوايع جديدة، لم تكن مألوفة من قبل، لأن الشعر تعبير النفس، وهو يتأثر بكل ما يؤثر في النفس من ظروف طبيعية: مادية، أو روحية، أو معنوية. فالشعر الأموي، كتب في ظلال نفسية جديدة آمنت بربها، واستشعرت حياة تقية صالحة، فيها نُسكٌ

(١) المرجع نفسه: ج ٣ ص: ١٩٣.

(٢) المرجع نفسه: ج ٣ ص: ١٩٥.

(٣) ابن سعد (عبد الله بن محمد بن منيع الزهري) (١٦٨ - ٢٣٠ هـ / ٧٨٤ -

- ٨٤٥ م) طبقات ابن سعد. ط. لندن (١٣٢٥ هـ / ١٩٠٨ م) ج ٦ ص:

٦١.

(٤) المرجع نفسه ج ٦ ص: ٨١.

(٥) المرجع نفسه ج ٦ ص: ١١٤.

وعبادة، وفيها تقوى وزهد. وليس معنى ذلك، أن كل الشعراء كانوا ناسكين زاهدين، وإنما معناه أن الحياة الروحية الجديدة، لم تنفصل عن حياتهم الفنية، بل أثرت في كثير من جوانبها وتطوراتها، وظهر هذا التطور في صور مختلفة<sup>(١)</sup>. ويكفي أن تصفح ديوان شاعر كالفرزدق (٢١ هـ - ١١٠ هـ / ٦٤١ م - ٨٢٨ م) الذي اشتهر بفسقه واستهتازه، لنعرف أنه لم ينفصل عن الإسلام، وأنه تأثر به. فقد حضر هو والحسن البصري جنازة زوجه النوار. فقال له الحسن وهو بإزاء القبر: ماذا أعددت لهذا المضجع؟ فقال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة. فقال له الحسن هذا العمود فأين الطنب؟ فقال في الحال:

أَخَافُ وَرَاءَ الْقَبْرِ إِنْ لَمْ يُعَافِنِي أَشَدُّ مِنَ الْقَبْرِ التَّهْلَبِ وَأَضْيَقًا  
إِذَا جَاءَنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ قَائِدٌ غَيْفٌ وَسَوَاقٌ يَسُوقُ الْفَرَزْدَقَا

فالفرزدق المستهتر لم يكن الإسلام بعيداً عن نفسه، بل كان يحمل في سريره، وسرى هذا أيضاً عند سائر الشعراء<sup>(٢)</sup>، الذين من غير الممكن أن ينظموا شعراً لا تنضح فيه عناصر هذه الحياة. ومن أهم ما كان من ذلك، أنهم أصبحوا لا يمدحون أحداً، ولا يهجون أحداً، إلا وضعوا الصفات الدينية إيجاباً وسلباً في مدحهم وهجائهم. وتظهر هذا في شعر كثير بن عبد الرحمن بن الأسود (... - ١٠٥ هـ / ... ٧٢٣ م) المعروف بكثير عزة، وهو يمدح عمر

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ٦٠.

(٢) الشريف المرتضى: أبو القاسم علي بن الحسين بن موسى العلوي (٣٥٥ -

٤٣٦ هـ / ٩٦٦ - ١٠٤٤ م) أمالي الشريف المرتضى «غرر الفوائد ودرر

القلائد» دار إحياء الكتب (القاهرة) ج ١. ص: ٦٥.

ابن عبد العزيز (٦١ - ١٠١ هـ / ٦٨١ - ٧٢٠ م): حيث يقول:  
وَصَدَقْتَ بِالْفِعْلِ الْمَقَالَ مَعَ الَّذِي أَتَيْتَ قَامَسَى رَاضِيًا كُلُّ مُسْلِمٍ

فهو يمدح عمر بانصرافه عن الدنيا مع تعرضها له، ويقول إنه زاهدٌ في ملذاتها وثمارها الفانية، لأنه يريد الثمرة الباقية من ربه، يريد رضوانه وفردوسه. وغير الخلفاء من الولاة والعمال، كان الشعراء يمدحونهم أيضاً بهذه العناصر الدينية وما يشبهها<sup>(١)</sup> من مثل قول الشاعر عبيد الله بن قيس الرقيات (... - ٨٥ هـ / ... - ٧٠٤ م) في مصعب بن الزبير بن العوام (٢٦ - ٧١ هـ / ٦٤٧ - ٦٩٠ م) والي العراق لأخيه عبد الله بن الزبير (١ - ٧٣ هـ / ٦٢٢ - ٦٩٢ م):

إِنَّمَا مُصَنَّبٌ شَهَابٌ مِنَ اللَّهِ      هـ تَجَلَّتْ عَنْ وَجْهِهِ الظُّلُمَاءُ  
مُلْكُهُ مُلْكُ قُوَّةٍ لَيْسَ فِيهِ      جَبَرُوتٌ وَلَا بِهِ كِبَرِيَاءُ  
يَقْبِي اللَّهُ فِي الْأُمُورِ وَقَدْ أَف      لَحَ مَنْ كَانَ هَمُّهُ الْإِتْقَاءُ

وبصورة مبينة لهذه الصورة الدينية، كان الشعراء يتهاجون ويهجون الناس. إذ كان الهجاء بالذين أقذع صور الهجاء، ومن ذلك صورة الهجاء في شعر الطرماح بن حكيم بن الحكم (... - ١٢٥ هـ / ... - ٧٤٣ م)<sup>(٢)</sup>.

لَوْحَانٌ وَرَدُّ تَحِيْمٍ ثُمَّ قِيلَ لَهَا      حَوْضُ الرُّسُولِ عَلَيْهِ الْأَزْدُ لَمْ تَرِدِ  
أَوْ أَنْزَلَ اللَّهُ وَحْيًا أَنْ يُعَلِّبَهَا      إِنْ لَمْ تَعُدْ لِقِتَالِ الْأَزْدِ لَمْ نَعُدْ

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ٦٤.

(٢) المرجع نفسه: ص: ٦٥.



إنه بشعره هذا يهجو تميمًا، وينصر قومه الأزد على الصورة الدينية التي تصوّر تميمًا تهلع من الأزد، حتى لو كان لها ورْدٌ إلى الماء، وعلمت أنها ترد على حوض الرسول، ثم عرفت أن هناك الأزد لرجعت إلى نفسها، يقودها الخوف والفرع، وأقامت على العطش والظمًا.

وعلى نحو ما أثر الإسلام في المدح والهجاء، أثر في الغزل، بل لعل تأثيره فيه كان أوسع. فقد ظهر ضربٌ جديدٌ من الغزل العذري الطاهر العفيف، واستخدمت بعض المعاني والألفاظ الإسلامية، للتأثير في القلوب. فمن قول كثير عزة:

وَلَا تَيَاسَا أَنْ يَمْحُوَ اللَّهُ عَنْكُمَا ذُنُوبًا إِذَا صَلَّيْتُمَا حَيْثُ صَلَّيْتَ

نشاهد تغيير نفسية الناس تحت تأثير الإسلام، وتغير المثل العليا والفضائل والأخلاق التي تطبع الشعر الأموي بطابع ديني. ومثال ذلك نشأهه أيضاً في قول الطرماح:

كُلُّ حَيٍّ مُسْتَكْبِلٌ عُدَّةَ الْعُدِّ سِرٍّ وَمُؤَدٍّ إِذَا انْقَضَى عَدُّهُ<sup>(١)</sup>

عَجَبًا مَا عَجِبْتُ لِلْجَامِعِ الْمَا لَ يَنْهِي بِهِ وَيَرْتَقِدُهُ<sup>(٢)</sup>

وَيُضَيِّعُ الَّذِي يُصَيِّرُهُ اللَّـهُ إِلَيْهِ فَلَيْسَ يَعْتَقِدُهُ

وفي كل مكانٍ من شعر الشعراء، نجد فكرة الموت، وأنَّ أحداً

لا يخلد، فالحياة الباقية، هي حياة الآخرة، أمّا هذه الحياة الدنيا، فلا

ينبغي لأحدٍ أن يتمسك بها لأنها فانية. وفي مثل ذلك يقول قطريُّ

ابن الفُجاءة ( ... - ٧٨ هـ / ... ٦٩٧ م ) :

(١) ومود: أي هالك.

(٢) يرتقده: يكسبه. ارتقد المال: اكسبه.

أَقْسُولُ لَهَا وَقَدْ طَارَتْ شُعَاعاً مِنَ الْأَهْطَالِ وَنَحَلَتْ لَنْ تُرَاعِي<sup>(١)</sup>  
فَاتِكُ لَوْ سَأَلْتِ بَقَاءَ قَوْمٍ عَلَى الْأَجَلِ الَّذِي لَكَ لَنْ تُطَاعِي  
فَصَبْرًا فِي مَجَالِ الْمَوْتِ صَبْرًا فَمَا نَبِلُ الْخُلُودِ بِمُسْتَطَاعِ  
وفي هذه البيئة الدينية من حياته، عاش جرير التقيّ العفيف بتدوين  
بالغ الرقة، يظهر في قول من نقلوا عنه، أنه كان يبكي حين تمرّ به  
الجنائز ويقول: وأحرقني هذه الجنائز وله رثاء مشهور في زوجه  
أُم حَزْرَةَ، يقول فيه:

صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تَخَيَّرُوا وَالطَّيُّونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ  
وسرى حين نعرض لمدائحه، أنها كانت تستمد من العناصر  
الاسلامية وكذلك كانت أهاجيه مع الأخطل ومع الفرزدق. وكان  
الشعر في عصر بني أمية يستجيب لهذا كله، وما شاع من وعظ  
الوعاظ، وأقوال النساك. وأنت لا تكاد تجد شاعراً إلا وقد أخذ في  
شعره من هذه الحياة بخطير يخلّف قوّة وضعفاً، وحسب نفسيته  
وصلتها بالاسلام.

### الحياة العقلية:

كان العصر الأموي يسعى لتحقيق نهضة فكرية. وقد استولى  
فيما استولى عليه عند الأمم، التراث العقلي، الذي أخذت سيول ثقافته،  
تندفق على العراق والشام ومصر، وتنحدر إلى مجرى النهر العربي،  
وتحدث تطوراً هائلاً في حياة العرب العقلية<sup>(٢)</sup> ومن آثار هذا التطور،

(١) ويحك: كلمة ترحم وتوجع.

(٢) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ٧١.

ظهور الحركة الدينية التي عُتيت بتفسير القرآن الكريم، ورواية الحديث الشريف، ووضع قواعد الفقه الإسلامي الذي لم يقف عند أمور العبادات، بل جاوزها إلى الحياة المدنية والسياسية. وأسست في كل بلدة كبيرة مدرسة فقهية، وكان الاستنتاج والرأي الشخصي، يحترمان في الفقه الإسلامي. ويشهد بذلك ما رُوي عن الحسن البصري، من أن شخصاً سألَه عن بعض فتاويه أبرأه أم سمعها، فقال: «لا والله ما كل ما نُفتى به سمعناه»<sup>(١)</sup> وأخذ الفقهاء يشرعون للناس أمور دينهم ودنياهم. وكان للأخذ بأصل القياس في الفتوى، أثرٌ واسعٌ في اختلافهم في مسائل كثيرة، وكان هذا الاختلاف عمكاً للعقول، ومشحذاً للأفكار، فكان هؤلاء الفقهاء وتلاميذهم، يحشون في وجوهه وأسبابه، حتى بلغ من أحد كبار الدارسين أن قال: «لا يعرف الرجل خطأً معلية حتى يسمع الاختلاف»<sup>(٢)</sup> وكانت الكثرة من أهل الشرع، تذهب إلى الحكم البين والفتوى الواضحة. وسرعان ما رأينا الفقهاء يتحاورون فيما بينهم ويتناظرون<sup>(٣)</sup> ولم تقف هذه المناظرات والمجادلات عند بيعة الفقهاء، بل انتقلت إلى مجالس الخلفاء. فقد رُوي أن سليمان بن عبد الملك (٥٤ - ٩٩ هـ

٦٧٤ - ٧١٧ م) جمع بين كبار من العلماء ليجروا بينهم مجادلاتٍ تأخذ شكل أسئلة<sup>(٤)</sup> وما من ريب، في أن هذا النظر الفقهي، وما طُوي فيه من حوار وجدل، كان له أثره الواسع في العقل العربي

(١) ابن سعد: عبد الله بن محمد: طبقات ابن سعد: ج ٧، ص: ١٢٠.

(٢) الجاحظ: عمرو بن بحر: البيان والبيان. ج ٢، ص: ٩٨.

(٣) المرجع نفسه ج ٢، ص: ٣٢٢.

(٤) المرجع نفسه ج ١، ص: ٣٤٣.

العام حيثئذ. فإنَّ الناس ومعهم الشعراء، كانوا يستمعون إلى هذه  
المجادلات والمناظرات ومن الأخبار التي تناقلها الرواة في هذا الشأن  
الذي نحن بصدده، أنَّ الفرزدق كان يلزم حلقة الحسن البصري  
(٢١ - ١١٠ هـ / ٦٤٢ - ٧٢٨ م) بينما كان جرير يلزم حلقة  
محمد بن سيرين (٣٣ - ١١١ هـ / ٦٥٣ - ٧٢٩ م) <sup>(١)</sup> وصدق  
أن رجلاً سأل الحسن البصري يوماً وعنده الفرزدق عن اليمين اللغو  
في الكلام. من مثل لا والله. فقال الفرزدق له: أو ما سمعت ما قلتُ  
في ذلك؟ فقال الحسن: ما كلَّ ما قلتُ سمعوا فما قلتُ؟ فقال: قلتُ:  
ولستُ بمأخوذٍ بلغو تقولُهُ إذا لم تُعَمِّدْ عاقداتِ العزائمِ  
وجاء شخصٌ آخر فسأل الحسن البصري عن سبيغة الحرب  
المتروجة، أُمِّلَ لمن سبَّها؟ فقال الفرزدق - أيضاً - أو ما سمعت ما  
قلتُ في ذلك؟ ثم أنشد:

وذات حَلِيلٍ أُنَكِّحْتَنَا رَمَاحَنَا حَلَالَ مَنْ يَنْبِي بِهَا لَمْ تُطَلَّقِ <sup>(٢)</sup>  
وأظنَّ في ذلك ما يدلُّ أبلغ الدلالة، على صلة الشاعر الأموي،  
بكلِّ ما كان يجري في بيئات الفقهاء. والذي يهمننا حقاً أنَّه كان  
يطلع على وجوه الخلاف، وكانت تدعم عقله وتغذي فكره <sup>(٣)</sup> وفي  
هذا العصر تكوَّنت بذور علم الجيل، الذي انتشر فيما بعد، وشاع  
لدى الفقهاء الأحناف. وهو يقوم على اتِّساع المخرج الذي يمكن  
أن يخلص من يقع في إشكال ديني. وكان أهم جانب طُبِّق فيه

(١) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد: العقد الفريد: ج ٣، ص: ١٦٩.

(٢) الأصبهاني: أبو الفرج علي بن الحسين: الأغاني: ج ١٩، ص: ١٤.

(٣) ضيفه شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ٧٤.

الجانب الدنيوي الإيماني. وإلى ذلك يشير جرير فيقول:

وَلَا خَيْرَ فِي مَالٍ عَلَيْهِ أَيْتُهُ وَلَا فِي يَمِينٍ غَيْرِ ذَاتِ مَخَارِمٍ<sup>(١)</sup>

وفي وصف سراه في الليل، يقول: غيلان بن عتبة، وهو الشاعر المشهور: ذُو الرُّمَّة (٧٧ - ١١٧ هـ / ٦٩٦ - ٧٣٥ م):

طَوَى طَيْئَةً فَوْقَ الْكَرَى جَفَنَ عَنْهُ عَلَى رَهَبَاتٍ مِنْ جَنَانِ الْمَخَاذِيرِ<sup>(٢)</sup>

قَلِيلًا كَحَلِيلِ الْأَلَى نُمُ قَلَصَتْ بِهِ شَيْمَةً رَوْعَاءَ تَقْلِيصَ طَائِرٍ<sup>(٣)</sup>

فالشعر لم يكن غائباً عن مجالس الفقهاء، بل كان حاضراً يقظاً لكل ما يصدر منهم. وقد عمرت مجالس هؤلاء بكثير من المجادلات والحجج والمناظرات التي كانت تأخذ طريقها إلى عقول الشعراء. ويكفي أن نقرأ ما رواه صاحب البيان والتبيين عن إياس بن معاوية (٤٦ - ١٢٢ هـ / ٦٦٦ - ٧٤٠ م) قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء<sup>(٤)</sup> عن قدرته في الجدل والاحتجاج لنعرف إلى أي حد، كان يؤثر هؤلاء الفقهاء، فيمن حولهم من شعراء وغير شعراء<sup>(٥)</sup> وشهد هذا العصر أيضاً دعوة علم الكلام، والبحث معها في مسألة الإيمان، وإذا كان من الضروري أن يُرفق بالعمل؟ وأعلنت

---

(١) الأية: اليمين. والمخارم: الطرق في الجبال. ويريد بها جرير هنا: الطرق التي يمضي فيها التحليل والاستثناء.

(٢) من جنان المخاذير: أي مما أجهته صدره. ويقول ذو الرمة إنه أغمض عينيه على نوم قليل.

(٣) يقول ذو الرمة إن شيمته رائقة، وقلصت به تقليص طائر، أي ارتفعت ارتفاع الطائر في سرعته. يريد أنها قوة.

(٤) الجاحظ: عمرو بن بحر: البيان والتبيين: ج ١، ص: ٩٨.

(٥) ضيف: شوقي: التطور الجديد في الشعر الأموي: ص: ٧٤.

هذه الدعوة عدم التفريق بين مسلم ومسلم، فالجميع من أهل القبلة، وإن عصوا. فعلي وعثمان ومعاوية، مؤمنون. ولا نستطيع الحكم على أحدهم بخطأ. وكذلك شأن كل مسلم. وسمي علماء هذه الدعوة بـ «المرجئة» أي إرجاء الحكم على المسلم وترك أمره لربه، حتى لو أهمل الفروض الدينية<sup>(١)</sup> ويذكر الجاحظ شعراً عن المرجئة فيقول: إذا المرّجي سرّك أن تراه يَمُوتُ بِدَائِهِ مِنْ قَبْلِ مَوْتِهِ فَجَدِّدْ عِنْدَهُ ذِكْرِي عَلَى وَصَلْ عَلَى النَّبِيِّ وَأَهْلِ بَيْتِهِ<sup>(٢)</sup>

وهناك دعوة أخرى ظهرت إلى جانب «المرجئة» وهي دعوة: الجبر والاختيار في إرادة الإنسان وأعماله. وقد التحم في هذه الدعوة، علم العقائد المسيحي، بما جاء في القرآن الكريم والحديث الشريف، من آي ونصوص، قد يُفهم منها الجبر، أو يفهم منها الاختيار. وكذلك ظهرت دعوة «القدر» التي تزعمها الحسن البصري الذي ظهرت في مجالسه كثير من شعب القول بالقدر، كشعبة العدل، وأن الله لا يظلم أحداً. وهي فكرة تتصل مباشرة بحرية الإرادة، وأن كل إنسان يُجزى حسب عمله. وكان الحسن البصري يؤمن بها<sup>(٣)</sup>. ولم يكن الشعراء بمعزل عن هذا كله، بل شاركوا فيه. فذو الرمة مثلاً كان على مذهب القدر، وما يتصل به من فكرة العدل. وكان أكثر شعراء بني أمية يرون سادتهم على مذهب الجبر. فكانوا يعتمدون الاحتكام إليه في تقرير خلافة بني أمية، إمّا عن عقيدة ثابتة

(١) ابن سعد: عبد الله بن محمد: طبقات بن سعد: ج ٦، ص: ١٩٢.

(٢) الجاحظ: عمرو بن بحر: البيان والتبيين ج ٣، ص: ٣٥٠.

(٣) الشريف المرتضى: علي بن الحسين: أمالي المرتضى: ج ١، ص: ١٠٢.

ولمّا من أجل إرضائهم. وفي كل مكان من شعر جرير والفرزدق، نجد اللجوء إلى الجبر، في تقرير خلافة الأمويين، وأنّ الله كتب ذلك، ولا مفرّ منه ولا تبديل لكلماته. وفي ذلك يقول جرير:

نَالَ الْخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا    كَمَا أَتَى رُؤْيُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

وعلى هذا النحو كان الشعراء في عصر بني أمية يُصَبِّغُ شعرهم بكلّ ما يدور في بيئات الفقهاء وأصحاب الكلام. ويختل إلى الإنسان أنّه لم تكن هناك مسألة من المسائل في هذا العصر، إلّا ويتناقش فيها الناس في سلمهم وحربهم، وفي مساجدهم وطرقاتهم. فالفقهاء يناقشون القدريّة والجبريّة. والمرجئة والشيعيّة يتحاورون وكذلك الخوارج يدعون إلى المناقشة والمناظرة، على نحو ما دعا المتطرفون منهم<sup>(١)</sup> والحق أنّ عقلية الشاعر الأمويّ اختلفت عن عقلية مَنْ سبقهم من الشعراء. فقد ثَقِفَ أشياء لم يكن يُثَقِّفُها الشاعر الجاهليّ، وخضع لأشياء في تفكيره، لم يكن يخضع لها شاعرٌ سبقه. ولعلّ أهمّ ما يلاحظ على تفكيره وعقليته وما طرأ عليها من تطور، أنّنا نحسّ عنده أنّه أخذ يتناول حرفته تناولاً جديداً، عماده البحث والدرس اللذان ألفهما في بيئات الفقهاء، وأصحاب التفكير في العقيدة الدينيّة، من إرجاء وقدر وجبر وعدل، ومنزلة تتوسط منزلتين. وشاعر العصر الأمويّ، كان شاعراً كاتباً. وكان يكتب شعره وشعر غيره كما يدرسه، ويبحثه وينقل عنه حين يريد النقل، ويحوّره حين يريد التحوير. وربما كان أهمّ شيء رسب في الشعر الأمويّ عن هذه العقلية المتطورة الجديدة، أنّنا نجد الشعراء يتخصصون في

---

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ٨١ - ٨٢.

موضوعات بعينها، لا يَعدُّونها إلى غيرها. فعمر بن أبي ربيعة يذهب شعره في الغزل. وذو الرُّمَّة، يذهب شعره، أو يكاد، في وصف الصحراء. ويرتقي الفرزدق وجريـر بفنّ الهجاء ويُحدثان فيه النقائص المعروفة. ولا شك في أنّ هذا أثر من آثار العقلية العربية في العصر الأموي وما أصابها من تطوُّر<sup>(١)</sup>.

### الحياة السياسية:

عرفت الحياة السياسية في العصر الأموي، الكثير من الاضطرابات والفتن، إذ أنّ الغالبية من الأمة، كانوا يعتقدون بأنّ الأمويين مغتصبون للخلافة. وقد اكتسبت مدينتا مكة والمدينة، صبغة جديدة. فقد كان يَفد إلى المدينة - العاصمة المهجورة - كثيرون من معتزلي السياسة، وطالبي الراحة، ليكونوا بعيدين عن الضوضاء، والاضطراب، وليتجنبوا بما أُغدقته عليهم الفتوحات من فيء، وما حظوا به من ثروة وجاه<sup>(٢)</sup> وكانت الشام عكس الحجاز تماماً. فقد كانت هادئة مطمئنة. إلّا أنّ أحزاباً سياسية ثلاثة، كانت تضمر الحقد لدمشق عاصمة الأمويين، وتوزّع التابعين لهم في دعوة إلى الانتفاض على الخليفة. وهذه الأحزاب هي: الزبيريون، والخوارج، والشيعة. فالزبيريون كانوا يَكنّون الحقد لمعاوية ومن ورثه، وكانوا يرون أنّ يتولّى الخلافة أحد أبناء الصحابة. أما الخوارج فكانوا يرون أنّ أحقيّة الخلافة تعود إلى العرب المسلمين جميعاً. بينما رأى الشيعة،

(١) صيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ٨٥.

(٢) حتى: فيليب: تاريخ العرب. دار غندور للطباعة والنشر. بيروت (١٩٧٤)

ص: ٣٠١.



أن تعود الخلافة إلى بني هاشم، فهم أولى بها من غيرهم. وقد دعا ابن الزبير لنفسه بالخلافة بعد وفاة معاوية، فتعاطفت معه الحجاز ومصر والعراق واجزاء من البلاد الشامية. وأحس مروان بن الحكم (٢ - ٦٥ هـ / ٦٢٣ - ٦٨٥ م) أن الخلافة تكاد تضيق منه بعد وفاة معاوية بن أبي سفيان (٢٠ ق. هـ - ٦٠ هـ / ٦٠٣ - ٦٨٠ م) فقصد الشام، وحارب قبائل قيس بمساعدة كلب والقبائل اليمنية، وانتصر عليها في موقعة مرج راهط المشهورة<sup>(١)</sup> ثم استولى على مصر، وتولى ولده عبد الملك بن مروان (٢٦ - ٨٦ هـ / ٦٤٦ - ٧٠٥ م) الخلافة. فقتل مصعب بن الزبير (٢٦ - ٧١ هـ / ٦٤٧ - ٦٩٠ م) والي أخيه عبد الله بن الزبير (١ - ٧٣ هـ / ٦٢٢ - ٦٩٢ م) الذي حاصره الحجاج بن يوسف الثقفي (٤٠ - ٩٥ هـ / ٦٦٠ - ٧١٤ م) وقتله. وإذا كانت مدة محاربة الزبيرين لم تدم أكثر من ثماني سنوات، كي تدعم جوانبها السياسية، فإن حزبي الخوارج والشيعة، أتيح لكل منهما أن يدعم نظريته في الخلافة، وأن يسندها بالأدلة البينة، لكونهما حزينين ثابتين مستقرين، وليسوا حزينين عارضين<sup>(٢)</sup> وتسمى الذين خرجوا على علي بن أبي طالب (... - ٤١ هـ / ٦٠٠ - ٦٦١ م) بالخوارج، لأنهم خرجوا على إمامهم الذي بايعوه وهو علي. وأساس مبادئهم أن لا تقتصر الخلافة على قرشي، بل هي حق لله. واستمرت حربهم طيلة عهد بني أمية ويُعرف عنهم أنهم كانوا سرعان ما يختلفون ويفترقون. وكلما اتفقوا على إمام. وانقسموا إلى أربعة فرق هي: الأزارقة وهم أتباع

(١) المرجع نفسه: ص: ٢٥٣.

(٢) ضيف شوقي: التطور والجهدي في الشعر الأموي: ص: ٨٧.

نافع بن الأزرق (... - ٦٥ هـ / ... - ٦٨٥ م) ثم جمعونه بن مازن (... - ٧٨ هـ / ... - ٦٩٧ م) المعروف بقطري بن الفجاءة. وأهم مراكزهم البطائح بالقرب من البصرة. وقد استولوا على فارس وكسرمان. وودّخوا عبيد الله بن زياد (٢٨ - ٦٧ هـ / ٦٤٨ - ٦٨٦ م) والي معاوية وابنه يزيد (٢٥ - ٦٤ هـ / ٦٤٥ - ٦٨٣ م) أما النجدات فهم أتباع نجدة بن عامر الحنفي (٣٦ - ٦٩ هـ / ٦٥٦ - ٦٨٨ م). وكان مسرح نشاطهم اليحامة وحضرموت والبحرين. ورامهم الحجاج بعمر بن عبيد الله بن مَعْمَر (...-٢٩ هـ / ... - ٦٥٠ م) فهزمهم وقضى عليهم. وأما الصخرية فهم أتباع زياد بن الأصغر: وكان مسرح نشاطهم الموصل وبلاد الجزيرة. وأما الإباضية، فهم أتباع عبد الله بن أباض التميمي (... - ٨٦ هـ / ... - ٧٠٥ م) وكان مسرح نشاطهم حضرموت واليمن. وكان أشد هؤلاء الأحزاب ثورةً وشدّة، الخوارج وفي ذلك يقول أحد شعرائهم<sup>(١)</sup>:

أَلَفَا مُؤْمِنٌ مِنْكُمْ زَعَمْتُمْ وَيَقْتُلُهُمْ بِاسِكٌ<sup>(٢)</sup> أَرْسَعُونَا  
كَلَبْتُمْ لَيْسَ ذَاكَ كَمَا زَعَمْتُمْ وَلَكِنَّ الْخَوَارِجَ مُؤْمِنُونَا  
هُمُ الْفِتْنَةُ الْقَلِيلَةُ قَدْ عَلِمْتُمْ عَلَى الْفِئَةِ الْكَثِيرَةِ يُنْصَرُونَا

وشعر الخوارج كلّهُ، يذهب هذا المذهب من الحماسة. وهي حماسة دينية فقد آمنوا بعقيدتهم، وظنّوا أنّ المسلمين ضلّوا سواء

(١) الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك (٢٢٥ هـ - ٣١٠ هـ / ٨٤٠ -

- ٩٢٥ م) نشر دي غوتيه. ليدن (١٨٨٢ م). ج ٢، ص: ١٦٨٢.

(٢) أمك: موضع بهمدان.

السبيل، وكان يقابل حزب الخوارج، حزب الشيعة، وهو لا يقل أهمية عنه. وكان مقتل علي، وتحول الخلافة الى الشام، يرمز الى دولتهم المفقودة<sup>(١)</sup> وأما الفرقة الكيسانية، فزعيمها المختار الثقفي (١ - ٦٧ هـ / ٦٢٢ - ٦٨٧ م) الذي قضى على مصعب بن الزبير، وكان يدعو الى محمد بن علي بن الحنفية (٨١ هـ / ٧٠٠ م) وهم لا يسبقون على الامام صفة روحية تفصله عن البشر: فكل ما يصفونه به، العلم والزهد والسخاء والشجاعة. وفرقة الزيدية كانت معتدلة، وكان إمامها زيد بن علي بن الحسين (٧٩ - ١٢٢ هـ / ٦٩٨ - ٧٤٠ م) وقد خرج على هشام بن عبد الملك (٧١ - ١٢٥ هـ / ٦٩٠ - ٧٤٣ م) فأرسل إليه جيشاً قتلته سنة (١٢٠ هـ / ٧٣٨ م) وصلب بالكوفة. وأما حزب بني أمية، وهو حزب الدولة والحكومة، فكان يندمج فيه أهل الشام، وكثير من أهل البلدان الأخرى. فهو حزب السواد الأعظم. وكان لهذا الحزب الذائدون عنه والمدافعون الذين يدفعون خصومه من الزبيريين والخوارج والشيعة. وكانت سياسة الناس في هذا العصر، قد انقسمت في غالبيتها إلى قسمين. قسم مع بني هاشم وهو الشيعة. وقسم مع الأمويين، وكانوا يصفون عليهم من صفات الإمامة ما يضيفه الشيعة على أئمتهم. وإلى ذلك يشير محمد بن الحنفية بقوله: «أهل بيتين من العرب يتخذهما الناس أئداداً من دون الله نحن وبنو عمنا هؤلاء يعني بني أمية»<sup>(٢)</sup> فهذا الحزب الأموي كان يرفع من شأن خلفاء بني أمية، وكانت صورة الخليفة الأموي في رأي حزبه صورة مقلصة،

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص ٩٠ - ٩١.

(٢) ابن سعد: عبد الله بن محمد: طبقات ابن سعد: ج ٥، ص: ٦٨.

لها جلالها وخطرها، فهو الإمام الذي تجب طاعته، لأن طاعته من طاعة الله، وطاعة خصومه من طاعة الشيطان. يدل على ذلك أكبر الدلالة، ما رواه الطبري من أنه لما توفي يزيد بن معاوية، ودعا عبدالله ابن الزبير لنفسه، قام حسان بن مالك (...) - ١٥٠ هـ / ... - ٧٦٧ م) بالأردن فقال: «يا أهل الأردن، ما شهادتكم على ابن الزبير وعلى قتل أهل الحرّة؟ فقالوا: نشهد أن ابن الزبير منافق، وأن قتل أهل الحرّة في النار. قال: فما شهادتكم على يزيد بن معاوية وقتلهم بالحرّة قالوا: نشهد أن يزيد على الحق، وأن قتلنا في الجنة»<sup>(١)</sup> هكذا كان ولاية بني أمية وقادتهم وأنصارهم. وقد تبهم الشعراء يدعون في شعرهم نفس الدعوة. وتبين لنا من دراسة الأحوال في ذلك العصر، أنه لم تكن هناك بلدة، ولا قبيلة، إلا فيها شعراء لهم نزعة أموية. ففي مكة نجد السائب بن فروخ (...) - ١٤٠ هـ / ... - ٧٥٧ م) أبو العباس الأعمى. وفي المدينة نجد عبد الله بن محمد (...) - ١٠٥ هـ / ... - ٧٢٤ م) المعروف بالأحوص. وفي الكوفة نجد عبد الله بن الزبير الأسدي (...) - ٧٥ هـ / ... - ٦٩٥ م). وفي البصرة نجد جريراً والفرزدق وفي الجزيرة نجد الأخطل (١٩ - ٩٠ هـ / ٦٤٠ - ٧٠٨ م) والقطامي (...) - ١٣٠ هـ / ... - ٧٤٧ هـ /) وأعشى تغلب (...) - ٩٢ هـ / ... - ٧١٠ م) وفي الشام نجد عدي بن الرقاع العاملي (...) - ٩٥ هـ / ... - ٧١٤ م) ومن الخطأ أن نحاول عدّ شعراء بني أمية، فهم أكثر من أن يُلمّ بهم إحصاءً. فقد بلغوا عشرات، إن لم يكونوا مئات. وتكتظ كتب الأدب العربي بهم وبأشعارهم السياسية الولاء لبني أمية. وجعل

(١) الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك: ج: ٢، ص: ٤٦٩.

الولاء السياسي لهؤلاء الشعراء، أن يجعلوا بني أمية أحق من غيرهم في ارث النبوة. وفي ذلك يقول الأحرص مخاطباً الوليد بن عبد الملك<sup>(١)</sup>:

تَخَيَّرَهُ رَبُّ الْعِبَادِ لَخَلْقِهِ وَلِيًّا وَكَانَ اللَّهُ بِالنَّاسِ أَعْلَمًا

ويمدح عدي بن الرقاع الوليد بن عبد الملك، فيقول فيه:  
صَلَّى الَّذِي الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لَهُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِذَا مَا جَمَعُوا الْجُمُعَا  
إِنَّ السُّلَيْدَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ مُلْكٌ عَلَيْهِ أَعَانَ اللَّهُ فَارْتَفَعَا

وعلى هذه الشاكلة، كانت الحياة السياسية، تجعل شعراء بني أمية يغلون في مدائحهم، ونذكر على سبيل المثال، حارثة بن بدر الغداني (... - ٦٤ هـ / ... - ٦٨٤ م) الذي يقول في زياد بن أبيه<sup>(٢)</sup>:

فَأَنْتَ إِمَامٌ مُعَذَّلِيٍّ وَقَتَصِدِّ وَحَزَمٍ حَبِيبٍ تَخْضُرُكَ الْأُمُورُ  
أَخُوكَ خَلِيفَةُ اللَّهِ ابْنُ حَرْبٍ وَأَنْتَ وَزِيرُهُ نِعَمَ الْوَزِيرُ

وكانت سياسة الحجاج المرغمة للناس للدخول في طاعة بني أمية، تجعل الشعراء يمدحونه خوفاً من بطشه. كما حدث للشاعر العذيل بن الفرخ العجلي (... - ١٠٠ هـ / ... - ٧١٨ م) الذي هجا الحجاج وفرّ إلى قيصر الروم. فهدد الحجاج القيصر بغزوه، فأرسل إليه عذيل الذي مدحه بقصيدة يقول فيها<sup>(٣)</sup>:

- 
- (١) الأصمعي: أبو الفرج: عل بن الحسين الأغاني. ج ١، ص: ٢٩٨.  
(٢) الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك ج ٢، ص: ٧٨.  
(٣) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم (٢١٣ - ٢٧٦ هـ / ٨٢٨ - ٨٨٩ م) الشعر والشعراء. ط. دار المعارف بمصر. ص: ٢٤٥.

بَنَى قُبَّةَ الْإِسْلَامِ حَتَّى كَانَمَا هَذَيْنِ النَّاسَ مِنْ بَعْدِ الضَّلَالِ رَسُولُ  
 خَلِيلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ وَسِيفُهُ لِكُلِّ إِمَامٍ مُصْطَفَى وَخَلِيلُ  
 وَمِنْ هَذَا الْقَبِيلِ، بِأَخَذِ أُعْشَى هَمْدَانَ (...) - ٨٣ هـ / ... -  
 ٧٠٢ م) سِياسةُ الْوَلَاءِ لِبَنِي أُمَيَّةَ، وَيَقُولُ فِي الْحِجَاجِ، بَعْدَ قَضَائِهِ  
 عَلَى ثَوْرَةِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَشْعَثِ (...) - ٨٥ هـ / ... - ٧٠٤ م):  
 أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمِّمَ نُورَهُ وَيُطْفِئَ نَارَ الْفَاسِقِينَ فَتُخْخَدَا  
 وَيُنْزَلَ ذُلًّا بِالْعِرَاقِ وَأَهْلِهِ لِمَا نَقَضُوا الْعَهْدَ الرَّثِيقَ الْمُوَكَّدَا  
 وَهَكَذَا نَجَدَ الشَّعْرَ فِي عَصْرِ بَنِي أُمَيَّةَ يَتَطَوَّرُ تَحْتَ تَأْثِيرِ السِّيَاسَةِ،  
 وَنَجَدَ الشَّعْرَاءَ يَتَوَزَّعُونَ عَلَى الْأَحْزَابِ، وَيَنْظُمُونَ شَعْرَهُمْ مَعْبَرِينَ  
 عَنْ نَظَرِيَّاتٍ سِيَاسِيَّةٍ جَدِيدَةٍ، تَصِبُّ كُلُّهَا فِي خِاتَةِ الْوَلَاءِ لِمَنْ يَسِيرُونَ  
 السِّيَاسَةَ وَيَقْدِرُونَ زَمَانَهَا، فَخَسِلَ أَشْعَثُهَا عَلَى الْقَصَائِدِ وَلَاءُ لَهُمْ.  
 الْحَيَاةُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ:

كَانَتِ الطَّبَقَاتُ الْاجْتِمَاعِيَّةُ، تَقْسَمُ فِي عَصْرِ بَنِي أُمَيَّةَ إِلَى أَرْبَعِ  
 طَبَقَاتٍ هِيَ: طَبَقَةُ الْمُسْلِمِينَ وَهِيَ. الطَّبَقَةُ الْحَاكِمَةُ. وَطَبَقَةُ الْمُوَالِي.  
 وَطَبَقَةُ أَهْلِ الذِّمَّةِ. وَطَبَقَةُ الرِّقِيِّ. فَالطَّبَقَةُ الْحَاكِمَةُ هِيَ الطَّبَقَةُ  
 الْارِسْتِقْرَاطِيَّةُ. وَعَلَى رَأْسِهَا أَسْرَةُ الْخَلِيفَةِ، وَالْارِسْتِقْرَاطِيَّةُ الْمُؤَلَّفَةُ مِنْ  
 الْعَرَبِ الْفَاتَحِينَ. وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ عَاصِمَةَ الْخِلَافَةِ (دِمَشْقُ) كَانَتْ  
 قَدْ اصْطَبَحَتْ فِي آخِرِ الْعَهْدِ الْأُمَوِيِّ بِصِبْغَةِ الْإِسْلَامِ. فَإِنَّ سُورِيَةَ  
 بِوَجْهِ عَامٍ ظَلَّتْ مُحَافِظَةً عَلَى صِبْغَتِهَا النَّصْرَانِيَّةِ حَتَّى الْقَرْنَ الثَّالِثَ  
 لِلْهِجْرَةِ. وَلَقَدْ حَافِظَتِ الْمَدْنَ الصَّغِيرَةَ وَالْقُرَى بَنُوْعٍ خَاصَّ الْمَنَاطِقِ  
 الْجَبَلِيَّةِ - مَأْوَى الْمَغْلُوبِينَ وَالْمُضْطَّهَدِينَ - عَلَى طَائِعِيهَا الْوَطْنِيِّ،

ومميزات حضارتها القديمة. وقد بقي لبنان نصراني المذهب سرياني اللغة إلى ما بعد الفتح بأجيال طويلة. ولم يقرّر الفتح فيه إلاّ أمراً واحداً، هو انتهاء النزاع الحزبي. أمّا من حيث الدين والجنس والاجتماع وبنوع أهمّ اللغة، فإن هذا النزاع في الواقع، لم يبدأ إلا بعد انتهاء الفتوح<sup>(١)</sup>. وطبقة الموالي كانت تتمتع ولو إسمياً، بحقوق الرعية الإسلامية. وقد قامت الأثرة العربية سداً منيعاً في وجه تلك الحقوق، وحالت دون تطبيقها. وشر الموالي أنهم احطّ الطبقات الاجتماعية في البيعة الإسلامية، فاستنكروا هذا الوضع وأخذوا يناصرون كل حركة تقوم ضد الحكم الأموي. وطبقة أهل الذمة، شملها أمان الإسلام وعهده. وتمتعت بقسطٍ وافرٍ من الحرية لقاء تأديتهم الجزية والخراج. وارتبطت قضاياها في الأمور المدنية والجنائية والقضائية برؤسائها الروحيين، إلاّ إذا كانت القضية تمسّ المسلمين. أمّا الشريعة الإسلامية فلم تطبق عليهم، لأنّها لم توضع لهم. وفي الأماكن المنيعة كأرجاء لبنان، بقيت للتصارى السيطرة، بحيث استطاعوا أن يتخذوا خلفاء بني أمية، حتّى عبد الملك نفسه. وكانوا حتّى استخلاف عمر بن عبد العزيز يعاملون بالحسنى. وكانت ميسون زوجة معاوية نصرانية وكذلك شاعرة. أمّا الطبقة الرابعة، وهي طبقة الرقيق، فكانت من أجناس شتى، فمنهم الاسود من أفريقيا. ومنهم الأصفر من فرغانة أو تركستان الصينية. ومنهم الأبيض من الشرق الأدنى أو شرقي أوروبا وجنوبها. ونصت الشريعة الإسلامية، أن مولود الأمة من غير سيدها عبداً، سواء أكان الوالد

(١) حني: فليپ: تاريخ العرب. ص: ٢٩٦.

عبداً أم حراً. وكذلك يحسب ولدها من سبلها ما لم يخترف بينوته. أما أولاد العبد من زوجة حرة فأحرار. ولم يكن غريباً أن يقتني الأمير الأموي من الحشم ألف عبدٍ يقومون على خدمته<sup>(١)</sup>.

وقد اقتنى خلفاء بني أمية المغنين والمغنيات. وقد أرسل يزيد بن عبد الملك (٧١ - ١٠٥ هـ / ٦٩٠ - ٧٢٤ م) في طلب القيان من الحجاز<sup>(٢)</sup>. وقد دخل الشعراء الأمويون، حلقات الغناء وأخذوا يؤلفون القصائد لمنشدي الغناء، في حلقات الخلفاء، تحت ظل ذوق جديد وحضارة جديدة. وكان في أغلبه شعر شباب مدني يسوقونه للمرأة التي يجلدونها في دور الغناء. وتحوّل الشعر في الحجاز والشام، من قصائد إلى مقطوعات تُقال في المرأة لتعبّر عن أحداث ووقائع وجدانية حاضرة. ومن المغنين عرفت دور الغناء: طوئس وسائب وخائر ومعبد وابن مسيحيج وابن سريج والفريض. ومن المغنيات: جميلة وسلامة وحبيبة وعقيلة والزلفاء. وكل هؤلاء أجانِب على العرب والعربية. فلا بد للشاعر أن ينزل بأساليب شعره إلى اللغة اليومية، وحتى يُرضي ذوقهم<sup>(٣)</sup> ولم يعد الشعر العربي في الحجاز والشام، يؤلف في هذا العصر بالصورة القديمة، بل بصورة جديدة، يميل إلى السهولة المفرطة، ويختص بالحب وأحداثه ووقائعه المعاصرة. وأصبحت المقطوعات الشعرية لا تزيد عن عشرة أبيات إلا في القليل النادر. وكان للمغنيات دورٌ كبير في حذف كلمة ووضع كلمة

---

(١) السعودي: أبو الحسن: علي بن الحسين (٣٤٦ هـ / ٩٥٧ م) مروج الذهب ومعادن الجوهر. نشر دي غوتيه. ليدن (١٨٩٣ م) ج ٤، ص: ٢٥٤.

(٢) حتي: فيليب: تاريخ العرب ص: ٢٩٦.

(٣) الأصمهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين. الأغاني: ج ١٣، ص: ١٤٩.



مكانها تناسب الصوت واللحن. وأصبح الشعر الغنائي فناً معتمداً على فن الغناء المؤثر فيه، تارةً عن طريق تهذيب المغنين. وتارةً عن طريق فرض ألحانهم على الشعراء. وكانوا يُدخلون ألحاناً أجنبية كثيرة<sup>(١)</sup> فشاعر مكة والمدينة ودمشق في هذا العصر لم يكن حراً، بل كان مقيداً بنظرية الغناء الجديدة التي يحتاج فيها المغني إلى مدد في بعض الحروف وهنّس وتقصير في الحروف الأخرى. وهو ما تعود العروضيون أن يسمّوه بالزحافات ولا نشك في أن كثيراً من زحافات الشعر في هذا العصر، أريد بها تلبية حاجات مغنٍ أو مغنية<sup>(٢)</sup> وقد مال الشعراء - أيضاً - إلى الأوزان الخفيفة من مثل الوافر والهجج والمتقارب والرملي والسريع والخفيف. وكذلك مالوا إلى هجر الأساليب الجزلة والأوزان المعقدة، إرضاءً لهوى المغنين والمغنيات. وكان الشعر في غالبه يدور حول قصة حب، ويتناول الغزل بأساليبه وألفاظه وأوزانه.

وهذه الطبقة المترفة، التي انتجت حياتها الاجتماعية هذا الغزل الجديد، كان يقابلها في الكفة الثانية من العرب، طبقة عامة، اتخذ أدبها وشعرها صوراً مخالفة، مستمدة من شظف العيش، وحياة البادية وسموّ الدين وروحه الخلقة العالية. فشعراء نجد، كانوا ينشرون الغزل العفيف، لأنهم لم يعرفوا الترف، ولا أفسدتهم الحضارة. وقد رقق الاسلام نفوسهم وصفّاها. فكان طبيعياً، أن لا يكون غزلهم لإباحياً صريحاً، وفيه حرمان وطهارة، وارتفاع عن الحسّ والمادة<sup>(٣)</sup> وإذا تركنا نجداً إلى العراق ومدينتيه الكبيرتين البصرة

(١) المرجع نفسه: ج ١، ص: ٢٥٠.

(٢) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي ص: ١٠٦.

والكوفة. وجدنا العرب الذين نزلوها، يشتغلون بالحروب والفتوح. فلم يكونوا آمنين مستقرين بل كانوا على أهبة القتال. ولذلك لم يتم للعرب اندماج فيهما لينسوا حياتهم القديمة. ومن هنا غلب على المدينتين طابع الحياة الجاهلية. وإذا كانت المدينة في الحجاز اشتهرت «بدار جميلة» حيث المغنون والمغنيات. فإن البصرة اشتهرت بسوق «المريد» والكوفة بسوق «كناسة» وهما سوقان عامتان، على غرار سوق «عكاظ» في الجاهلية. وتطورت الحياة الاجتماعية مع سوقى «المريد» و«كناسة» وذاع صيت المريد حيث كانت تتحلق القبائل حول شعرائها. فالشاعر جرير له حلقتة. والشاعر الفرزدق له حلقتة<sup>(١)</sup> ويؤم الناس هاتين الحلقتين وغيرهما من الحلقات، ليسمعوا قصائد الشعراء، وما يتعلق منها بالعصبيات القبلية وبعد حرب صفين، أخذت الحياة الاجتماعية، وصفاً آخر للشعر، يتخذ شكل الفخر والهجاء. وكان الهجاء، هو الشغل الشاغل للطبقة الفارغة من العرب في العراق حين يهدأون. فترى الناس يتحلقون في حلقات المريد والكناسة، ليسمعوا قصائد شعرائهم المثيرة في الفخر بقبائلهم، وذم خصومهم، فيطربون، ويفادرون الحلقات معترين متصرين. وهكذا احتدمت في هاتين السوقين، العصبيات التي كانت تقوم بين الأصول والجرائم الكبيرة بين العرب، كما تقوم بين الفروع والشعب الصغيرة. وكان لكل بطن من قبيلة في البصرة والكوفة شعراء ينافحون عنه في هذه الحرب اللسانية الداخلية التي أشرعت فيها أسنة الشعر. وفي الكتب صور كثيرة من هذا الذي ذكرنا. فمساوير العنسي

(١) الأصمهاني: أبو الفرج: علي بن الحسن. الأغاني ج ٨، ص: ٢٩ و٧٧.

(... - ٧٥ هـ / ... - ٦٩٥ م) يتهاجى مع المرار الفقهي الأسدي  
 (... - ... هـ / ... - ... م) ولبن مياده الرماح بن لُبرو بن ثوبان  
 الليثاني (... - ١٣٦ هـ / ... - ٧٥٤ م) كان يتهاجى مع الحكم  
 الخُضري الحاربي (... - ١٥٠ هـ / ... - ٧٦٧ م) ويتهاجى  
 زياد الأعجم مولى عبد القيس (... - ١٠٠ هـ / ... - ٧١٨ م)  
 مع كعب الأشقرى (... - ٨٠ هـ / ... - ٧٠٠ م) والمغيرة بن  
 حَبْنَاء التميمي (... - ٩١ هـ / ... - ٧١٠ م)<sup>(١)</sup> ونفذ في أثناء  
 ذلك جرير والفرزدق من جهة وجرير أيضاً والأخطل من جهة ثانية  
 إلى أهاجر كانت تُلقى في مسرح المريد. وكانت تأخذ شكل لعبة  
 طريفة، يتجمع الناس لمشاهدتها. وسميت هذه الأهاجي بالنقائض.  
 وكان يعيش مع هذه الطبقة العامة من العرب والطبقة الارستقراطية،  
 طبقة ثالثة هم الموالي. وكانوا كثيرين في المدن الاسلامية إذ كانوا  
 يملغون في الكوفة والبصرة، نحو نصف السكان. والعرب في عصر  
 بني أمية، رفضوا نظرية الاسلام التي تدعو الى التسوية بين الشعوب  
 والقبائل. وهناك أخبار وروايات تحكي هذا الرفض. والموالي وان  
 كانوا طبقة ثالثة إلا أنهم أدّوا دوراً عظيماً في خدمة الثقافة والدين  
 الاسلامي. فكان أكثر حملة العلم والدين منهم. وكذلك كان منهم  
 شعراء اشتهروا. وكان أكثر شعرهم يذهب في المديح. ولَوْن شعر  
 نفرٍ منهم بتزعة شعوية. وقد اشتهر بهذه النزعة في العصر الأموي

(١) الأصماني: أبو الفرج: علي بن الحسين. الأغاني. ج ٢، ص: ٢٨٣. ج ١٠،  
 ص: ٣١٨. ج ١٣، ص: ٩٩. ج ١٤، ص: ٢٨٧.

إسماعيل بن يسار النسائي ( ... - ١٣٠ هـ / ... - ٧٤٨ م ) وفي  
الآغاني نجد طرفاً من هذه النزعة في قوله<sup>(١)</sup>:

رُبُّ خَالٍ متَوَجِّحٍ لي وعَمُّ مَاجِدٍ مُجْتَدِي كَرِيمِ النَّصَابِ  
إِنَّمَا سُمِّيَ الفَوَارِسُ بالفَرِّ من مَضَاهَاةٍ رَفَعَةِ الْأَنْسَابِ  
وقد فخر بنزعه الفارسية في قصيدة يمتدح بها هشام بن عبد  
الملك يقول فيها:

أَصْلِي كَرِيمٌ وَمَجْدِي لَا يُقَاسُ بِهِ وَلِي لِسَانٌ كَحَدِّ السِّيفِ مَسْنُومٍ  
مِنْ مِثْلِ كِسْرَى وَسَابُورِ الْجُنُودِ مَعَاً وَالْمُرْزَانِ لِفَخْرٍ أَوْ لِنَفْظِمْ  
وهذا الشعر، هو صورةٌ عن الحياة الاجتماعية في تقسيم طبقاتها،  
وجوحياتها الشعرية عند الموالي وموقف العرب منهم داخل العصبية  
وصراعها المصور في قصائد شعرائها.

#### الحياة الاقتصادية:

كان المترفون من قريش، يعيشون حياةً منعمة. وكان شعرهم  
صدى حالتهم الاقتصادية المتقدمة في نعيم وغنى. وكان هؤلاء من  
أهل المدن. أما أولئك الذين بقوا في البوادي، فلم ينعموا بالترف،  
واصطبغ شعرهم ببصغة حزينة يظللها الحرمان. وغلب على شعرهم  
روحية من الاسلام. وكان للتأثيرات الاقتصادية نتائج مهمة في  
نفوسهم. فالعامل الاقتصادي، كان له أثره العميق في حياة الناس  
والشعراء. وهذا ملاحظ في جميع جوانب الشعر الأموي، حتى في  
الشعر الحماسي، الذي كان ينظم في الفتح والجهاد في سبيل الله،

(١) الأصماني: أبو الفرج: علي بن الحسين. الآغاني. ج ٤، ص: ٤١١.

ويتضمن الأثر المادي الاقتصادي. وكانت دمشق وأموالها، محط أنظار الشعراء، الوافدين إلى الشام، من أقصى البوادي إلى أقصى الحواضر، فهم يسعون إليها مهرولين، من الحجاز والعراق، يلتصقون لدى الخلفاء عطاءً وفيراً على مدائحهم. وخير من يصور ذلك الشاعر جرير في مدحه عبد الملك بن مروان، على لسان زوجه أم حذرة<sup>(١)</sup>:  
تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتُ الْوَارِدِينَ ذَوِي إِقْلَاحٍ<sup>(٢)</sup>  
تُقِلُّلُ وَهِيَ سَاغِيَةٌ بَيْنَهَا بِأَنْفَاسٍ مِنَ الشِّيمِ الْقَرَّاحِ<sup>(٣)</sup>  
أَغْنَسِي بِمَا فِدَاكَ أُنْهِي وَأُنْهِي بِسَبَبٍ مِنْكَ إِنْكَ ذُو أَرْزَاقِ<sup>(٤)</sup>  
سَأَشْكُرُ إِنْ رَدَدْتَ عَلَيَّ رِيْشِي وَأَتَّبْتُ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي  
ومثل هذا العطاء، كان جاذباً فعلاً لجذب الشعراء، فيسيل له لعابهم ويقفون في صفوف بني أُمَيَّة. حتى الشعراء المعارضون، كانوا لا يجدون غضاضة في الذهاب إلى مورد المال، وترك المعارضة جانباً في سبيل كسبه والحصول عليه، كما فعل ابن قيس الرقيات، وكثير الطرماح. الذين لم يجدوا بأساً في مدح بني أُمَيَّة لينالوا عطاءهم. ومن أجل كسب المال وفد الشعراء على الولاة الأمويين ومدحهم، لينالوا منهم ما يملأوا به جيوبهم. فكان جرير شاعر الحجاج، قبل أن يكون شاعر عبد الملك وكان زياد بن أبيه وابنه عبيد الله، وكثيرون غيرهم، يصلون الشعراء ويسبقون عليهم عطاياهم. حتى قال فيهم وبأمثالهم ذو الرمة:

(١) الأصماني: أبو الفرج: علي بن الحسين الأغاني. ج ٨، ص: ٦٨.

(٢) الإقلاح جمع لقحة. وهي الناقة الحلوب.

(٣) تطل: تشغل وتلهي. الشيم: البارد القراح: الصافي.

(٤) السبب: العطاء.

وَمَا كَانَ مَالِي مِنْ تَرَاثٍ وَرِثَةٍ وَلَا دِيَّةٍ كَانَتْ وَلَا كَسَبَ مَأْتَمٍ  
وَلَكِنْ عَطَاءُ اللَّهِ مِنْ كُلِّ رَحْلَةٍ إِلَى كُلِّ مَحْجُوبٍ السُّرَادِقِ خِضْرَمٍ<sup>(١)</sup>

وقد امتلأت دواوين العصر بمدائح هؤلاء الشعراء الذين لزموا  
إلى جانب الولاة القواد، ومنهم المهلب قائد الجيوش الأموية ضد  
الترك في خراسان، كما أشادوا بلبائنه وخاصة يزيد. وكان المهالبة في  
دولة بني أمية، كما كان البرامكة في دولة بني العباس. وفيهم يقول:  
بُكَيْرُ بْنُ الْأَخْنَسِ<sup>(٢)</sup>:

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمُهَلَّبِ ثَانِيًا فَقِيرًا بَعِيدَ الدَّارِ فِي سَنَةِ مَحَلٍ  
فَمَا زَالَ يَمِي إِيَّائِهِمْ وَافْتَادُهُمْ وَإِكْرَامُهُمْ حَتَّى حَسِبْتُهُمْ أَهْلِي

ويشتهر هذا العصر بكثرة الأجواد الكرماء، وقد رغدتهم الفتوح  
والغزوات، بما يشاؤون من الأموال، فأغدقوها على الشعراء. وبالقدر  
الذي رفع فيه الشعراء شأن الباذلين أموالهم في سبيل إسعادهم، فإنهم  
ذموا البخلاء، ونعتوهم بالصفات القبيحة، كقول جرير في قوم  
ينتهم لشدة بخلهم:

مُخَالِفُهُمْ فَقَرَّ قَدِيمٌ وَذِلَّةٌ وَبِئْسَ الْخَلِيفَانِ الْمَذَلَّةُ وَالْفَقْرُ

والتفاعل الاقتصادي في عصر بني أمية أظهر آفة لم نعهدها من  
قبل. ذلك أَنَّ ضرورات الحياة الاقتصادية في المدن، جعلت بعض  
الناس يحرصون على أموالهم، فتصدّر لهم بعض الشعراء بشعرهم،  
وأغلظوا لهم القول في هجائهم، فلم يزددهم ذلك إلا شدة في الحرص.

(١) الخضرم: الخير.

(٢) الجاحظ عمرو بن بحر: البيان والتبيين ج ٣، ص: ٢٣٣.

ومن اشتهر في هذا الهجاء أبو الأسود الدؤلي (١ ق هـ - ٦٩ هـ / ٦٠٥ - ٦٨٨ م)، الذي كان شديد البخل، حتى إنه دعا إليه وحيداً ودافع عنه بقوله<sup>(١)</sup>:

يَلُومُونَنِي فِي الْبُخْلِ جَهْلًا وَضَلَّةً وَلِلْبُخْلِ خَيْرٌ مِنْ سُؤَالِ بَخِيلٍ

وقد كَوَّنَ المَالُ إلى جانب البخلَاء، جماعةً من الصعاليك الذين يتخلدون إظهار الفقر والتصعلك وسيلتهم إلى طلب المال من الأغنياء الموسرين. وأشهر من احترفوا هذه الوسيلة الحكم بن عبد الكوفي (... - ١٠٠ هـ / ... - ٧١٨ م) الذي يقول متصعلكاً في شعره<sup>(٢)</sup>:

يَا أَبَا طَلْحَةَ الْجَوَادُ أَغْنَيْ بَسِجَالٍ مِنْ سَيْبِكَ الْمَقْسُومِ

أَخِي نَفْسِي فَذُنُكَ نَفْسِي فَإِنِّي مُفْلِسٌ قَدْ عَلِمْتَ ذَاكَ عَدِيهِ

لَيْسَ لِي غَيْرُ جُرَّةٍ وَأَصِينِرْ وَكِتَابٍ مُنَمِّنٍ كَالْوُشُومِ

وَإِكَافٍ أَغَارِيْبٍ نَشِيْطٍ هُوَ لِحَافٍ لِكُلِّ ضَبْفٍ كَرِيْمٍ<sup>(٣)</sup>

ولكي يُكثر من عطف ممدوحه عليه، يَصَوِّرُ داره ملاءى بالحشرات والجُرذَان والعناكب التي تنسج بيوتها في الجدران الخالية من أيِّ أثاث أو شيء يغطيها ويمنع حالة البؤس التي هي فيها. وهذا يدل على أنَّ الشخص لا يستطيع في عصر بني أُمَيَّة أن يحصل على قوته، بدون إلحافه في السؤال، واحتياله في الطلب، وإظهار الدلِّ والمسكة. فإذا فعل ذلك ملأ بطنه وجيبه، وإذا لم يفعل عاش فقيراً مهملاً. فلا

(١) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد: العقد الفريد ج ٣، ص: ٣٢٨.

(٢) الجاحظ: عمرو بن بحر: كتاب الحيوان ج ٥، ص: ٢٩٧.

(٣) الإكاف: البرذعة.

توسط بين الناس. ولا رزق يأتي دون جرأة تصل إلى حد الوقاحة. وحياة المدن لا ترحم من يقصدها. فحياتها تتطلب وفرة اقتصادية على المرء أن يسعى في سبيل الحصول عليها بالحيلة والخداع. ومن هذا المنطلق، ارتفع صوت المال في القصيدة الأموية، وصار لغة التخاطب لدى الشعراء، وأصبح أساساً في شعرهم ودعامة من دعائم الفن الشعري في قصائدهم. وإذا كان الشعر تعبيراً عن الحياة. فإن الشعر الأموي أعطى الصورة الواضحة عن المال والمادة والحياة الاقتصادية، إلى جانب النظم الاقتصادية الموضوعية وما فيها من اضطراب، إن من جهة كثرة الاقطاعات للولاة وزعماء العرب<sup>(١)</sup> وإن من جهة الضرائب الكثيرة التي فرضت على الناس باسم الضرورات الاستثنائية التي تغنن الولاة في فرضها تارة باسم أجور عمال الخوارج. وطوراً باسم نفقات العقود وسك النقود وغير ذلك<sup>(٢)</sup>.

وبسبب هذه الحجج المصطنعة، تمكن الولاة من جمع الأموال والثروات حتى ملأوا بيوتهم بكل غالٍ ونفيس. ويذكر أن الحجاج حين صرف المهلب عن الأهواز إلى خراسان، كان عليه بيت المال ألف ألف درهم<sup>(٣)</sup> وحين عزل يزيد بن المهلب عن خراسان، كان عليه بيت المال، ستة آلاف درهم<sup>(٤)</sup> وكلما توغلنا في حياة العصر الأموي الاقتصادية نشاهد ظاهرة لا إثناء غير المشروع، لدى الولاة،

(١) البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر (٢٧٩ هـ / ٨٩٢ م) فتوح البلدان ليدن

(١٨٦٦ م).

(٢) الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك ج ٢، ص: ١٣٦٦ وما بعدها.

(٣) للرجع نفسه: ج ٢، ص: ١٠٢٤.

(٤) للرجع نفسه: ج ٢، ص: ١٢١٣.



وعَمَّال الخراج مما يجمعون من الأموال. ونشاهد في ديوان جرير والفرزدق وغيرهما من شعراء هذا العصر، شكوى كثيرة، من جُباة الخراج، وما يتبعون من عَنَفٍ وظلم في استخراج المال من الناس. وهناك وثائق عن عمال العراق وأصحاب الخراج في عصر ابن الزبير، وما فعلوه من أكل حقوق، واستثمار ما ليس لهم حق فيه. وفي إحدى تلك الوثائق، نجد شكوى من أحد الشعراء المغمورين إلى ابن الزبير، بحق أولئك العمال المتعصين يقول فيها:

يَا ابْنَ الزُّبَيْرِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَلَمْ يَبْلُغَكَ مَا فَعَلَ الْعُمَالُ بِالْعَمَلِ  
بَاعُوا التَّجَارَ طَعَامَ الْأَرْضِ وَاقْتَسَمُوا صُلْبَ الْخَرَاجِ شِحَاحاً قِسْمَةَ النَّفْلِ  
أَشَدُّ مَذْيَكَ يَزِيداً إِنَّ ظَفَرْتَ بِهِ وَاشْفَى الْأَرَامِلَ مِنْ دُخْرُوجَةِ الْجَعْلِ<sup>(١)</sup>

وقد سبب هذا الظلم الاقتصادي، كثيراً من الثورات في العراق. وكلما ثار ناثر هناك، مثل عبد الرحمن بن الأشعث، أو يزيد بن المهلب (٥٣ - ١٠٢ هـ / ٦٧٣ - ٧٢٠ م) وجدنا العراقيين يلتفون حوله. وخاصة الموالي الذين كان يلحقهم الظلم لكثرة ما يؤدون من خراج، وضرائب استثنائية. وقد وقف هذا كله عندما ولي الحكم الخليفة عمر بن عبد العزيز. وتمتعت العراق وخراسان وسائر البلاد الإسلامية بازدهار اقتصادي، وطمأنينة مالية. وهكذا نجد أن الشعر في عصر بني أمية، مثل الحياة الاقتصادية من جميع أطرافها، وما أصابها من تطور، وصور نظم الدولة الاقتصادية، وما أصاب تطبيقها من خلل واضطراب.

---

(١) دخروجة الجعل: عسر بن مسعود الذي ولي الكوفة لابن الزبير ثم عزله يزيد: مولى لعناب بن ورقاء. وكان خازن دخروجة الجعل.

# **الفصل الثاني**

## **جرير**

- نشأته
- مكان إقامته
- ثقافته
- صفاته
- وفاته



## جرير

٢٢ هـ - ١١٥ هـ / ٦٥٢ م - ٧٢٢ م

هو جرير بن عطية، بن حذيفة الملقب بالخطفي، بن بدر.... ابن كليب بن يربوع من تميم كان في الطبقة الوسطى من قبيلته، بل في الدنيا وإذا صح ما نقله الأغاني، وأورد في ما نقل، أن عطية والد جرير، عاش عيشة فقير مدقعة أوصلته إلى الدناءة والبخل الشديد. وكان إذا اشتد به الجوع، عمد إلى عنز فاعتقلها وجعل يمص ضرعها «مخافة أن يُسمع صوت الحليب فيطلب منه لبن»<sup>(١)</sup> ولكن الشعر فعل فعله في حياته، فأعلاه في نظر الناس ورفع من شأنه في المجتمع. فصار صاحب وجاهة، وانهالت عليه الأموال. وكان هذا المال خير قوة دافعة به إلى الجرأة وقد ملك ما يحمي كلامه. ورغم المفاخر التي تزعمها، فقد ظل به الكثير من ماضٍ علق به، وجعله ينسى السؤال والتذلل في المسكنة، والإلحاف في الطلب. وفوق ذلك، فإن بعض بيوت يربوع، كانت على جانب كبير من الشهرة في الجاهلية والإسلام. فقد كانت الردافة في بيت منهم اسمه رياح. ومن آخر

(١) الأصماني: أبو الفرج: علي بن الحسين: الأغاني: ج ٧ - ص ٥٨.

اسمه العنبر ظهرت سَجَاح التي تثبت في حركة الرّدة. وقد غلب بنو يربوع في أيام الفتنة على البصرة والكوفة وخراسان. غلب على البصرة سلّمة بن ذؤيب الرّياحي. وغلب على الكوفة مطّر بن ناجية اليربوعي (... بعد ٨٢هـ - ... بعد ٧٠١م) لابن الأشعث، وأخرج منها عامل الحجاج. وغلب على خراسان وكيع بن لمي سود اليربوعي ثم الغواني، وقتل قتية بن مسلم الباهلي (٤٩ - ٩٦هـ/٦٦٩ - ٧١٥م) ويذكر جرير ذلك في أبيات يقول فيها<sup>(١)</sup>:

وَيَوْمَ عُبَيْدِ اللَّهِ خُضْنَا بِرَأْيِهِ وَزَافَرَةَ تَمَّتْ إِلَيْنَا تَمِيمُهَا<sup>(٢)</sup>  
لَنَا ذَاذَةً عَنِ الْخِفَاطِ وَقَاذَةً مَقَادِيمُ لَمْ يَنْهَبْ شُعَاعًا عَزِيمُهَا  
عَنِ الْمُنْبَرِ الشَّرْقِيِّ ذَاذَتْ رِمَاحُنَا وَعَنْ حُرْمَةِ الْأَرْكَانِ يُرْمَى حَطْمُهَا

ويقصد بالمنبر الشرقي منبر البصرة في خراسان. ويقصد بمنع الحطيم اتجاد الخوارج لابن الزبير، حين حاصره الحجاج في ملك يزيد. وكان معظم الخوارج وتذاك من تميم. والظاهر أن بيت صاحبنا في كليب بن يربوع، لم يكن نلبها ولا مشهوراً، وإن كنا نعرف أن الخطفي جدّ جرير كان ثرياً فيما يروى في خبر أبياته المشهورة التي يعاتبه بها (وهي الأبيات التي عاتب بها يزيد أباه معاوية وأدعاها لنفسه، لأن جريراً لم يكن قد اشتهر وتذاك)<sup>(٣)</sup> ومن

(١) محمد حسين محمد: المهجاء والمجاؤون في صدر الإسلام: ط ٢. دار النهضة

العربية للطباعة والنشر: بيروت (١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م) ص: ١٧٤.

(٢) الزافرة الأعوان: يوم عبيد الله بن زياد. ذلك حين ترك الإمارة بعد موت يزيد ابن معاوية.

(٣) محمد حسين محمد: المهجاء والمجاؤون: ص: ١٧٥.

تلك الأبيات قوله:

فردّي جمال الحيّ ثم تحملي      فما لك فيهم من مقام ولا ليا  
فأنت أيّ ما لم تكن لي حاجة      فإن عرّضت أبقت أن لا ليا ليا  
وأنسي لمفرّور أعيل بالمني      لئالي أرجو أن مالك مالي<sup>(١)</sup>

وهي قصيدة طويلة أضاف إليها جرير في وقت متأخر أبياتاً في هجاء الفرزدق. وهي تصور صاحبنا جيد الشعر في ذلك الوقت. وإن كان خاملاً غير معروف<sup>(٢)</sup> وهناك صعوبة في تحديد مولد الشاعر، رغم اتفاق المؤرخين أن ولادته كانت في أواخر أيام الخليفة عثمان ابن عفان (٤٧ق.هـ - ٣١هـ / ٥٧٧ - ٦٥٦م) وإذا أخذنا قول ابن قتيبة<sup>(٣)</sup> نجد أن ولادته كانت قبل السنة ٣٤ للهجرة (٢٢ تموز ٦٥٤ - ١١ تموز ٦٥٥). وبذلك نجد أن شاعرنا أصغر من الأخطل والفرزدق بأكثر من عشر سنوات. ويقول صاحب الأغاني<sup>(٤)</sup> أنه ولد لسبعة أشهر. وكان الفرزدق يعيره بقوله: «وأنت ابن صغرى لم تتم شهورها» ويذكر صاحب الأغاني أخوين لجرير هما: عمرو، وأبو الورد. ولعل اسمه حكيم ولم يكن على وفاق منهما. وعندما توفيّا رثاهما بيتين رقيقين<sup>(٥)</sup> وكان ولده بلال عاقاً، كما هو كان عاقاً بأبيه<sup>(٥)</sup> وكذلك لم يكن على وفاق مع جدّه الذي كان

(١) يقول لجدّه: لقد غررت نفسي حين زعمت لها أن لا فرق بين مالك ومالي.

(٢) ابن قتيبة: عبد الله بن سلام الشعر والشعراء: ص: ٢٨٣.

(٣) الأصبهاني: أبو الفرج: علي بن الحسن: ج ٧. ص: ٥٦.

(٤) المصدر نفسه: ج ٧: ٥٩.

(٥) المصدر نفسه: ج ٧: ٥٩.

بخيلاً وكان هو طامعاً بهماله أما أولاده فذكر الشاعر منهم ثمانية ذكور ولبتان، وأكبرهم حزرة، ابن خالدة، وبه يكنى الشاعر، ثم نوح وبلال، وهو أشهرهم وأفضلهم من زرة الديلمية. ثم عكرمة الذي حمله آخر قصيدة قالها في مدح هشام بن عبد الملك. وكانوا كلهم شعراء وله ولد اسمه سودة توفي بالشام فراثه بآيات رائعة<sup>(١)</sup> ويذكر ابنة لها اسمها زينب، وابنة لا يسميها، خطبها ناشر من كليب فكرهتهم. ونذكر من أزواجه أمانة أم زينب. وزرة الديلمية أم نوح وبلال. وخالدة أم حزرة التي رثاها بقصيدته المشهورة.

### نشأته:

في بحثنا عن نشأة الشاعر نجد أنه لطيفٌ ليرَّ إذا شاء اللين، صلبٌ جافٌ مجافٍ إذا تعمَّد الجفاء.. وأنه واضحٌ سهلٌ على أيِّ حال، سواء في ذلك الفكرة والصورة والدياجة. هو البدوي في حياته وفي شعره<sup>(٢)</sup>. وهذه النشأة بلغت نيفاً على ثمانين عاماً. ويؤيد ذلك ما يذكر جريرٌ من شبيه في أول قصيدة مدح بها عبد الملك ابن مروان، حين أوفده الحجاج إليه، حين ولي العراق سنة (٧٥٥هـ / ٦٩٥م) وهذا يتنافى من أن شاعرنا كان ترعيَّةً يرعى عن أبيه الغنم<sup>(٣)</sup> وكانت نشأة جرير الشعرية تقوم على الرجز شأن معظم شعراء عصره. فاشتبك بشاعر معروف من قومه اسمه غسان السليطي (... - نحو ١٠٠هـ / ... - نحو ٧١٨م) فكأنما يتبادلان السبَاب بالرجز. ثم لحم بينهما التهاجي شعراً. فلم يزلَا يتناقضان حتى دخل

(١) المصدر نفسه: ج ٧: ٤٠-٤١.

(٢) البستاني: فولد أفرام: الروائع. ٦. (١٩٨٣) رقم ٤٠ ص: ٣٣١.

(٣) محمد حسين: محمد: المجاه والمجاؤون : ص: ١٧٧.

بينهما البعيث. وقد أتاح ذلك لجريماً شيئاً من الشهرة الضيقة في قبيلته. ولكنه لم يظهر في الحياة العامة إلا في خلافة يزيد بن معاوية. ويروي صاحب الأغاني بسنده عن جرير أنه قال: وفدت على يزيد بن معاوية وأنا شابٌ يومئذٍ. فاستؤذن لي عليه في جملة الشعراء. فخرج الحاجب إلي وقال: يقول لك أمير المؤمنين إنه لا يصل إلينا شاعر لا نعرفه. ولا نسمع بشيء من شعره. وما سمعنا بشيء فتأذن لك على بصيرة. فقلت له: تقول لأمر المؤمنين أنا القائل:

وَإِنِّي لَعَفُّ الْفَقْرِ مُشْتَرِكُ الْغِنَى سَرِيعٌ إِذَا لَمْ أَرْضَ دَارِي أَنْتَقَالِيَا

فدخل الحاجب عليه فأنشده الأبيات. ثم خرج إلي وأذن لي فدخلت وأنشدته. واخذت الجائزة مع الشعراء. فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة وكانت نشأة الشاعر زبيريّة. شأنه في ذلك شأن قومه من بني يربوع، الذين كانوا من أظهر فروع تميم تعصباً لابن الزبير. ولكن جريراً لم يكن من وجهاء قومه، وأصحاب رأيهم حتى يدخل في ذلك. وكان مسالماً في نشأته. حريصاً على أن يبعد نفسه عن مواطن الشبهة. وما قد يعرضه عنده لشرّ. فهو يكفي أن يؤيد ابن الزبير بقلبه ولم يكن معنياً بشؤون الناس ومشاكل السياسة. فكل مواهبه المهجائية تنجلي في مهاجمة الأفراد ولا تتجاوز ذلك إلى الجماعات. وعندما تجاوز نشأته الأولى، وذاع صيته، كان له ما اراد من خطوة وصولات وإرادة يسيرها بشعره كيفما شاء<sup>(١)</sup>.

مكان إقامته:

إن مكان إقامة شاعرنا، يتبع المكان الذي كانت تنزل فيه كليب

(١) الأصماني: أبو الفرج: علي بن الحسين: الأغاني ج ٧ - ص ٢٦.



ابن يربوع وهو اليمامة. وكان جرير ينزل قريةً منها اسمها «أثيفية» وقد تركها لولده من بعده<sup>(١)</sup> وكانت أمه وهي أم جرير أم قيس بنت مُعَيْد بن عُمَيْر بن مسعود بن حارثة بن عوف بن كليب بن يربوع تقيم في نفس القرية وقت ولادته. وبها عرف مكان إقامته وقد تكون بقربها تلك البئر التي نازعه ملكيتها بنو حَمَان، وادّعى جرير أنه أوّل من حفرها، فتحاكموا إلى المهاجر بن عبد الله الكلابي (... بعد ١٢٥هـ / ... - بعد ٧٤٣م) أمير اليمامة والبحرين في خلافة هشام والوليد بن يزيد. فحكم بها للشاعر. فهجاه الفرزدق بقوله:

وَإِذَا الْيَمَامَةُ أَثْمَرَتْ حَيْطَانُهَا وَقَعَدَتْ يَا ابْنَ خُضَافٍ فَوْقَ سَرِيرِ  
لَوَيْتَ بَيْنِي شِدْقَيْكَ تَحْسَبُ أَنَّنِي أَغْيَا بِكُومِكَ يَا ابْنَ عَبْدِ كَثِيرٍ<sup>(٢)</sup>

وأقام جرير مدةً بـ «المروت» حتى إذا لجّ الهجاء بينه وبين الفرزدق، أرسل إليه بنو يربوع: «إِنَّكَ مَقِيمٌ بِالْمُرُوتِ لَيْسَ أَحَدٌ يَرُوي عَنْكَ، وَالْفَرَزْدَقُ بِالْعِرَاقِ قَدْ مَلَأَهَا عَلَيْكَ مِنْذُ سَبْعِ حَجِيجٍ» فانحدر إلى العراق، فأقام بالبصرة<sup>(٣)</sup> ومن البصرة، أخذ يتنقل منتجعاً أرباب

(١) الحموي: باقوت ابن عبد الله الرومي (٥٧٤-٦٢٦هـ/١١٧٨-١٢٢٩م)

معجم الأدباء القاهرة (١٩٣٦) ج ١. ص: ١٢١.

(٢) يشير في الشطر الأخير إلى «كثير بن الصلت الكندي» وكان هو السبب لانصال المهاجر أو بني أمية. ولما ابن خضاف فكلمة يُسَبُّ بها ويقول الزبيري: محمد مرتضى الحسون (١١٤٥-١٢٠٥هـ / ١٧٣٢-١٧٩٠م) في فاموس تاج العروس ج ٦ ص: ٨٩: «ويقال للمسبوب يا ابن خضاف كخدا».

(٣) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء ص: ٢٨٦-٢٨٧.

السلطان من خلفاء الأمويين وولاتهم. فطوَّف في الحجاز والعراق والبحرين، واليمامة. وقدم دمشق على عبد الملك بن مروان <sup>(١)</sup> وادرك هشاماً في الرصافة في آخر عمره.

#### ثقافته:

اتفقت العرب على أنَّ جريراً كان يسبك الشعر بفاعلية رقيقة محكمة، ويسكبه في قالب مضمون المعاني، محكم الشكل، يمتاز بنكهة المعرفة المجولة بثقافة فطرية امتاز بها شعره. ويذكر صاحب الأغاني لون ثقافته ضمن حديث ذكره محمد بن سلام <sup>(٢)</sup> حين قال: رأيت أعرلياً من بني أسد أعجني ظرفه وروايته، فقلت له: أيهما عندك اشعر (يقصد جريراً والفرزدق). فقال: بيوت الشعر أربعة: فخرٌ ومدحٌ وهجاءٌ ونسيبٌ. وفي كلها غلب جريراً قال في الفخر: إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْنِكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمُ غَضَبًا

#### وقال في المديح:

الْتَمَّ خَيْرٌ مِنْ رَكِبِ الْمَطَابَا وَأُنْدَى الْعَالَمِينَ بُطُونَ رَاحِ

#### وقال في الهجاء:

فَقُضُّ الطَّرْفِ إِلَيْكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَعْبًا بَلَفَتْ وَلَا كِلَابًا

#### وقال في النسيب:

إِنَّ الْعِيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوَرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنْ قَتْلَانَا  
وهذا إن دلَّ على شيء فيدلُّ على موهبةٍ تتفقت بها نفس الشاعر،

(١) الأصبهاني: أبو الفرج علي بن الحسين الاغانى ج٧: ص: ٦٥.

(٢) المصدر نفسه: ج ٨ ص: ٦.

فصارت أريحية فيضٍ تنساب رقةً وعلوبة. وتلك الأريحية تجيش ثورةً عارمةً في وجه من يتصدى لها. فقد كان ينهشه ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره، ويرمي بهم واحداً واحداً. ويقول صاحب الأغاني أيضاً للتدليل على سعة ثقافته: «كان جرير ميدان الشعر من لم يجر فيه لم يَرَوْ شَيْئاً»<sup>(١)</sup> وقال أيضاً: «كانت لجرير ضروبٌ من الشعر لا يحسنها الفرزدق»

وقد عرف لجرير ما عرف لشراء عصره من ثقافة بدوية، تناول عناصرها، بطريق السماع، عن ماثورات العرب الجاهلية، وعمّا نشره الإسلام من عقائد وعبادات. سمع بها وحفظها دون أن يميّز صحيحها من فاسدها، ودون أن يهضم هذه العناصر فيحوّلها إلى كيانه. فحفل شعره بكثير من الذكريات القديمة، دينية وتاريخية، وجاهلية، وإسلامية، صحيحة وظرفية<sup>(٢)</sup> فهو يشير إلى رسم «بهذي البيض» وإلى رسم «بدوّار».

إذا أقولُ تَرَكْتُ الْجَهْلَ هَبَجْنِي

رَسَمَ «بهذي البيض»<sup>(٤)</sup> أَوْ رَسَمَ «بدوّار»<sup>(٥)</sup>

كما يشير إلى الضمّ «دوّار» ويجعله من معبودات المجوس:

لَا تَفْخَرْنَ فَإِنَّ دِينَ مُجَاشَعٍ دِينَ الْمَجُوسِ تَطُوفُ حَوْلَ (دَوَارِ)<sup>(٦)</sup>

(١). المصدر نفسه: ص ٨.

(٢). المصدر نفسه: ص ٩.

(٣). البستاني: فولد أفرام: الروائع. رقم ٤٠ / ص: ٣٩٧.

(٤). ذي البيض: من بلاد بروج.

(٥). دوار: سار بني أسيد.

(٦). دوار: صنم كان الجاهليون يطوفون حوله كما يطوف المسيحيون اليوم حول الكعبة.

ويظلُّ على اعتقاد الجاهلية بالصدى:  
 سَيِّئِي صَدَى فِي قَبْرِ سَلْمَى بْنِ جَنْدَلٍ نِكَاحُ أُمِّي الدُّهْمَاءُ بِنْتُ سَعِيدٍ<sup>(١)</sup>  
 ويأتي على ذكر «عاد»:

رَفَعُوا الْبِنَاءَ بَنُو الْوَلِيدِ وَأَسَّسُوا بُنْيَانَهُ وَصَلَتْ أَرْوَمَهُ عَادٍ  
 كما يأتي على ذكر «ثمود»:

وَمِثَّبَتْ نَفْسَكَ أَشْقَى «ثمود» فَقَالُوا: ضَلَلْتَ وَلَمْ تَهْتَدِ  
 ويقول أيضاً في ثمود:

وَأَنَّ أَهْلَ الضَّلَالَةِ خَالَفُوكُمْ أَصْلَبَهُمْ كَمَا لَقِيتَ «ثمود»

ويأتي على ذكر يوسف ويعقوب فيقول:  
 اللَّهُ فَضَّلَهُ، وَاللَّهُ وَفَّقَهُ تَوَفَّقَ يُوسُفَ إِذْ وَصَّاهُ يَعْقُوبُ  
 وهكذا تسير ثقافته من خلال شعره في ذكر موسى وريّة  
 والسَّامِرِيِّ وضلاله، وداود والزُّبُور وصنعة الدُّرُوع، حتى لا يترك  
 نبياً أو وصياً إلا ويشعبه توضيحاً وتاريخاً وذكرأً ويجعلنا نقف  
 معجبين، مقدرين سعة اطلاع هذا الشاعر، والملمه بعلم ما يرفع من  
 قدر أهل الشعر ويُعليهم في مجالس عصرهم.

صفاته:

إذا وقفنا على حياة جرير، نجد في صفاته الغثَّ والسمين. فعنده  
 من السجايا التي تجعله في صفوف أهل القدر والفضل، وعنده من

(١) أُمِّي الدُّهْمَاءُ وسعيد: أبناء عمٍّ من أبناء نهشل.

الخصال القبيحة التي تمنى لو كانت ليست له. ومن الصفات التي اشتهر بها العاطفة القوية المبالغ فيها من قبل بعض الرواة، حين يقللون بينه وبين الفرزدق. ويذهبون إلى التأثير بالتضاد. ومن رواياتهم تلك أنهم جمعوا الشاعرين بمنى في أحد مواسم الحج. فقال الفرزدق مخاطباً جريراً:

فاتك لاقٍ بالمنازل من منى فخاراً، فخيري بمن أنت فاخر؟

فيحيه هذا الأخير: «ليك اللهم ليك!»<sup>(١)</sup>.

ومما يروى عنه أنه كان يُملئ بعض شعره حين مرت جنازة به، فقطع الإنشاد اتعاضاً بها، وترقرقت الدموع في عينيه واشتد عليه البكاء وهو يردد «شيتني هذه الجنازة» وكان عمرو بن العلاء سامعاً له فقال: «فعلام تقذف المحصنات منذ كذا وكذا؟» فيجيبه مبرراً: «إنهم يبدؤونني ثم لا أعفو»<sup>(٢)</sup>، والذين رواوا عنه هذه العاطفة القوية الجياشة، وجعلوه سريع التأثر، ربطوا بين عاطفته ونبيل خلقه، فميزوه بالعفة التي أرجعوا ذكرها إلى الخليفة عمر بن عبد العزيز، ففضله بها على الفرزدق. ونحن إذا بحثنا عن تلك العفة التي رويت عنه، فلا نفر عليها، ولا نجد في شعره بداءة تقلُّ عن بداءة نظيره الفرزدق. والذي عزز الاعتقاد بالعفة في نظر الناس، ما روي عنه بأنه لم يعشق ولم ينزع في شعره إلى الغزل. ومن تلك الروايات أن جريراً قال: «ما عشقت قط». ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه العجوز فبكي ما فاتها من شبلها»<sup>(٣)</sup> وسرعان ما يثبت لنا عكس هذا القول حين

(١) الأصبهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين: الأغاني ج ٧ ص: ٥١.

(٢) المصدر نفسه: ص: ٥٩-٦٠.

(٣) المصدر نفسه: ص: ٥٥.

نطالع شعره الغزلي، فنجد عكس الرواية التي رويت عنه، وليس ما يكذب الرواية، سوى غزل جرير الناعم الرقيق.

ويعود الرواة الى ذكر ما يتناقض مع العقدة. حين يقولون بأنه كان عاقاً لأبيه. وعلى ذكر المثل القائل: «كَمَا تَدِينُ تُدَانُ» جاءَ بُنَاؤُهُ عَاقِينَ لَهُ. ويقول صاحب الأغاني في هذا الصدد: أَنَّ جَرِيرًا نَاقَشَ ابْنَهُ بِلَالَ يَوْمًا. فَشْتَمَهُ بِلَالُ شَتْمًا بِذِيهَا. فَصَاحَتْ بِهِ أُمُّهُ قَائِلَةً: «يَا عَدُوَّ اللَّهِ، أَتَقُولُ هَذَا لِأَبِيكَ؟» فَقَالَ جَرِيرٌ: «دَعِيهِ، فَوَاللَّهِ لَكَأَنَّهُ سَمِعَهَا مِنِّي وَأَنَا أَقُولُهَا لِأَبِي»<sup>(١)</sup> وكان جرير يميل إلى البخل في حياته، ويقتصر على نفسه في معاشه، مع كثير من الحرص. والغريب في أمره، أنه مع شدة بخله، يذكر الكرم والعطاء في قصائده. وكان يوصي ابنه حزره بأن يشبهه في السخاء، وحسن الضيف، وحسن البيان وتحدث الجاحظ عن شدة بخله فقال: «وَمَنْ الْأُمُّ مِنْ جَرِيرِ بْنِ الْخَطَّيِّ وَلِبْخَلٍ؟»<sup>(٢)</sup> وعرف عن جرير أنه فيه شيء من الجبن، وكان يخاف الولاة الأمويين واشتد به القلق والخوف إثر انكسار أبناء الزبير. ومهما قيل في خوفه وجبنه، فهو لم يبلغ الجبن الذي عرف عن الفرزدق.

وفاته:

أصيب جرير بعلّة كانت سبب مرض وفاته. وقد زاره نفرٌ من قريش يعودونه قبل أن يموت، فخاطبهم بقوله<sup>(٣)</sup>:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِقَوْمٍ زَيْنُوا حَسْبِي    وَإِنْ مَرَضْتُ فَهُمْ أَهْلِي وَعَوَادِي  
إِنْ تَجَرَّ طَيْرٌ بِأَمْرِ فِيهِ عَاقِبَةٌ    أَوْ بِالْفِرَاقِ فَقَدْ أَحْسَنْتُمْ زَادِي

(١) الأصبهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين: الأغاني. ج ٧ ص: ٧٠.

(٢) الجاحظ: عمرو بن بحر: البخل: ص: ٢٨٤.

(٣) الأصبهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين: الأغاني ج ٧: ص: ٨٧.

لَوْ أَنَّ كَيْثًا لَهَا شَيْلَمِنْ أَوْ عَلَيَّيْ لَمْ يُسَلِّمُونِي لِلْبَيْتِ الْعَلِيِّ  
وَقَدْ تَوَفَّى جَرِيرٌ، فِي السَّنَةِ الَّتِي تَوَفَّى فِيهَا الْفَرَزْدَقُ. وَقَدْ اخْتَلَفَ  
فِي الْمُدَّةِ الَّتِي تَأَخَّرَ فِيهَا جَرِيرٌ عَنِ الْفَرَزْدَقِ. فَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ تَأَخَّرَ  
أَرْبَعِينَ يَوْمًا. وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ: إِنَّهُ تَأَخَّرَ ثَمَانِينَ يَوْمًا. أَمَّا صَاحِبُ  
الْأَغَانِي فَيَقُولُ: كَانَ تَأَخَّرَهُ عَنِ الْفَرَزْدَقِ سَنَةً كَامِلَةً<sup>(١)</sup> وَقَدْ ذَكَرَ  
الْبَاحِثُونَ بِأَنَّ وَفَاةَ الْفَرَزْدَقِ كَانَتْ سَنَةَ (١١٤هـ/ ٣ آذار ٧٣٢ -  
٢٠ شباط ٧٣٣) وَعَلَى هَذَا فَكُنْ وَفَاةَ جَرِيرٍ عَلَى أَقْصَى فَرَضِ  
سَنَةِ ٧٣٣. وَكَانَتْ وَفَاتُهُ فِي الْبِمَامَةِ، بَعْدَ أَنْ بَلَغَ الثَّمَانِينَ مِنْ عَمَرِهِ،  
أَوْ زَادَ عَلَيْهَا نِيفًا. وَحِينَ بَلَغَهُ نَبَأُ وَفَاةِ الْفَرَزْدَقِ قَالَ:  
مَاتَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدَ مَا جَدَعْتُهُ لَيْتَ الْفَرَزْدَقَ كَانَ عَاشَرَ قَلِيلًا  
وَقَدْ سَمِعَ الْمُهَاجِرِينَ عَبْدَ اللَّهِ مَا قَالَهُ جَرِيرٌ فَقَالَ لَهُ: بِمَنْ لَعَمْرُ  
اللَّهُ مَا قُلْتَ فِي ابْنِ عَمِّكَ أَتَهْجُو مَيِّتًا أَمَّا وَاللَّهِ لَوْ رَأَيْتَهُ لَكُنْتَ أَكْرَمَ  
الْعَرَبِ وَأَشْعَرَهَا. فَقَالَ جَرِيرٌ: إِنْ رَأَى الْأَمِيرُ أَنَّ يَكْتُمَهَا عَلَيَّ فَاتَّيَّهَا  
سَوْءَةً. ثُمَّ قَالَ:  
فَلَا وَضَعْتَ بَعْدَ الْفَرَزْدَقِ حَامِلًا وَلَا ذَاتُ بَغْلٍ مِنْ نِفَاسٍ تَعْلِي  
هُوَ الْوَافِدُ الْمَيِّمُونَ وَالرَّبِيقُ الشَّأْيُ إِذَا التَّغْلُ يَوْمًا بِالْعَشِيرَةِ زَلَّتِ<sup>(٢)</sup>  
وَكَانَ هَذَا آخِرَ مَا قَالَهُ فِي رِثَاءِ الْفَرَزْدَقِ قَبْلَ وَفَاتِهِ. وَقَدْ عُدَّهَا الْبَاحِثُونَ  
خَاتَمَةً خَيْرٍ بَعْدَ هَجَاءِ شَدِيدِ طَالِ بْنِ ابْنِي الْعَمِّ: الْفَرَزْدَقِ وَجَرِيرِ.

(١) المصدر نفسه: ج ٧ ص ٧٧.

(٢) المصدر نفسه: ج ٧ ص ٨٨.

## الفصل الثالث

### اتصاله بأرباب السلطان

- جرير ويزيد بن معاوية
- جرير ولبناء الزبير
- جرير وعبد الملك بن مروان
- جرير والوليد بن عبد الملك
- جرير وسليمان بن عبد الملك
- جرير وعمر بن عبد العزيز
- جرير ويزيد بن عبد الملك
- جرير وهشام بن عبد الملك
- جرير والشعراء





## اتصاله بأرباب السلطان

لم يكن عطية أبو جرير مثل غالب أبي الفرزدق، في سؤدده وشرفه، إذ كان من طبقة أخرى. ولكنه لم يقل عنه رتبة في اتصاله بوجهاء القوم، وأرباب السلطان، لأنه اذا فاته شيء من النسب، فإنه لم يفته شيء من عزة السلطان، وأرباب الملك والتاج والصولجان. وقد وقف العصر الأموي موقفاً سلبياً من الاعاجم. وكان مدح واحد منهم، يُعد كبيرة من الكبائر. أما جرير فكان اتصاله بسلطاتهم، إما يعود الى أموال تصب في حجره، أو أن نفسيته، لم تكن تستشعر العصبية العربية، ولا العصبية القبلية، على نحو ما يستشعرها الناس والشعراء في عصره ومن شعره الذي يقوله في الأعاجم<sup>(١)</sup>.

ويجمعنا والغرُّ اولادَ سارة      أبّ لا نبالي بعده من تعذراً  
إلى جانب الأعاجم، اتصل بيني أُمّية. وأوّل خليفة أموي وفد عليه، هو يزيد بن معاوية. وأوّل جائزة حصل عليها هي جائزته، وحين تبع العراق لابن الزبير كان جرير على رأس المتصلين بولائه،

---

(١) الأصماني: لبو الفرج: علي بن الحسين: الأغاني (طبع دار الكتب) ج: ٨، ص: ٦٥.

مما جعله يصطدم بلبن عمّه الفرزدق، وسرعان ما دخل جرير فيما دخل فيه أهل العراق، فمدح بشراً<sup>(١)</sup> ولماً ولي العراق الحجاج الثقفي القيسي، قرّ به منه، حتى أصبح شاعره الرسمي غير مدافع ولا منازع عليه، وجذبه إليه، وكان شعره في الحجاج يصل الى أذن عبد الملك فكان يغط الحجاج على شاعره، ويتمنى لو يغطي به. ولم يطل الأمر حتى أصبح شاعره كما تمنى. ومنه انتقل إلى سائر الخلفاء الأمويين ذوي الجاه والسلطان، وأصبح شاعرهم المفضل، كما سجد لدى استعراضنا العظماء الذين اتصل بهم.

### جرير ويزيد بن معاوية:

كانت الخلافة الأموية بعد وفاة معاوية، حكرًا على يزيد الذي أراد والده أن يكون وحده سيداً بعده. وكان الذين يفدون على الشام - حباً بمن أصبح ملكها، أو حباً في عطاء يأخذونه ممن قلب الموازين، فجعل الملك في بني أمية، بعد أن كان في بني هاشم -، لا يتركون فرصة تمرّ، دون أن يجربوا لمعاوية، صحة ما ذهب إليه، في جعل الخلافة لابنه يزيد، وما كاد هذا الأمر يتمّ، حتى وفد الشعراء على يزيد، يرثون والده، ويعددون صفاته ومزاياه العظيمة، ثم يهتتون يزيداً بمنصبه الجديد، ويدعون له بطول العمر، والاطراد في الابداع والتجديد ليكون خير خلفٍ لخير سلف. وكانوا يلقبونه بـ «مهندس بني أمية» وبأنه زينة العرب، ومفخرة خلق الشام. وكان شاعرنا جرير بسبب تعمق الإسلام فيه من جهة، وبسبب التواضع

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ١٥٤.

في نشأته وأسرته من جهة ثانية، يجد أنه قد أطلال الوقت، في مدح الأعاجم وقيس، وأن الأوان قد آن ليمدح بمدح بني أمية. ولذا يمم وجهه ناحية الشام، وقصد أول خليفة بمدحه، وينال عطاياه. وفي ذلك نسمعه يقول: « وفدت إلي يزيد وأنا شاب، فاستؤذن لي في جملة الشعراء... فدخلت وأتشدته، وأخذت الجائزة معهم، فكانت أول جائزة أخذتها من خليفة»<sup>(١)</sup> ونحن إذا رجعنا إلى ديوان جرير، نتفاجأ بما يعكس هذه الرواية، ويقلبها رأساً على عقب فليس هناك أي بيت يشير ولو إشارة بعيدة إلى أن الشاعر مدح يزيداً. ويذهب الباحثون إلى تعليل ما فوجئوا به، كما فوجئنا، فيقولون: إما أن يكون ما نظمه جرير في يزيد قد ضاع، أو أن الرواية التي تقول باتصال جرير بيزيد غير صحيحة، ورغم هذا الغموض الذي نلمسه إزاء التناقض الذي نعيش فيه، نصرّ على إيراد الرواية كما وصلت إلينا، علّه يتوافر لنا في المستقبل القريب، من يميّط اللثام عن هذه المعضلة التاريخية.

### جرير، وابنا الزبير:

عندما ولي يزيد الخلافة، رأى عبد الله بن الزبير أنه أحق بها من يزيد، وسرعان ما بايعه الناس في الحجاز والعراق. وعندما تمت له البيعة أرسل أخاه مصعباً والياً على العراق. ومن هنا بدأت علاقة جرير بابني الزبير. ورأيناه يتقرب إلى كلّ من كان زبيرياً الهوى. والفرزدق لاحظ تقرب ابن عمه لولاء ابن الزبير، وعلى رأسهم القباع، فجن جنونه، وطاب له أن يناقسه ويتصر عليه، فاحدم

(١) الأصمعي: أبو الفرج: علي بن الحسين: الأغاني طبع دار الكتب: ج ٨ ص:

المهجاء بين الشاعرين الكبيرين وقد استطاع جرير أن يأخذ زمام المبادرة في التفوق، فظل في نقائضه مع الفرزدق، يذكر قتل قومه للزبير بن العوام، فإن قاتله كان من مجاشع<sup>(١)</sup>. وربما كان من الأدلة على زبيريته، واتصاله بسلطان آل الزبير في هذه الحقبة، أن نجد بشر ابن مروان، حين يؤلى على العراق بعد القضاء على ابن الزبير، يعده عنه، ويدعو الشعراء إلى هجائه، وكأنه يراه شاعر خصومه<sup>(٢)</sup> ثم يحدثنا الرواة، أن جريراً كان موالياً لآل الزبير، شديد الارتباط بسلطانهم، وأن الخليفة الأموي، عبد الملك بن مروان، كان « لا يسمع من شعراء مضر، ولا يأذن لهم لأنهم كانوا زبيرية<sup>(٣)</sup> فكان طبعاً أن لا يأذن لجرير. وهنا نقع في التناقض الذي وقعنا فيه، لدى بحثنا في صلة جرير بيزيد بن معاوية لأننا لا نرى، في ما وصل إلينا من شعر جرير، بيتاً واحداً، في مدح أبناء الزبير، أو التشيع لهم، اللهم ما يُشتم في أهاجيه للفرزدق، من احتجاج للزبير، وتعبير بني مجاشع بأنهم خفروا ذمامه. وقد يتصف هذا الاحتجاج بشيء من الميل، فيسمى جرير الزبير «حواري الرسول، ويدعو يوم قتله «يوم الحواري» ويقول في ذلك:

يُقْبَحُ جَبْرِيلٌ وَجُؤَةٌ مُجَاشِيعٍ وَتَنْعَى الْخَوَارِيُّ النَّجُومُ الطُّولُعُ

ويذكره كلما دعت حمامة هذيلها. أمّا أبناء عبد الله ومصعب، فليس في الديوان إلا ذمهما، والتعريض بهما، والتشنيع على ما قاما به من ثورة على الأمويين. ويتزلف في ذلك الى أصحاب السلطان، وكان أراد أن

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ١٥٤.

(٢) الأصمهاني: لبو الفرج: علي بن الحسين: ج ٨ ص: ١٨ وص: ٣٥.

(٣) المصدر نفسه ج ٧ . ص: ٥٩.

يؤيد قول الحجاج عند ماله الى عبد الملك فقال: « ان جريراً لم يكن ممن  
والى ابن الزبير ولا نصره يده ولا لسانه »<sup>(١)</sup>.

جريرو وعبد الملك بن مروان:

لم يكف اتصال جريرو بعبد الملك اتصالاً مباشراً، بل جاء عن  
طريق الحجاج عامله ووالي العراق آنذاك. فقد توسّم الحجاج بجريرو،  
شاعريةً تصلح لنشر إعلام تجذب الناس إليه، وإلى آل بني أمية.  
فقربه به منه، ووسّد له وسادة الولاية بشكلها الرسمي، فانبهر جريرو  
بهذا التقريب من والٍ كبير، وراح يغدق على الحجاج أوصافاً ونعوتاً  
ترفع من مقامه، وتجعله يتّبع سياسة حازمة لم يمارسها حكيمٌ غيره:

مَنْ سَدَّ مُطْلَعَ النِّفَاقِ عَلَيْكُمْ أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ  
إِنْ ابْنَ يُوْسُفَ فَاعْلَمُوا وَتَبَيَّنُوا مَاضِيَّ الْبَصِيرَةِ وَاضِحُ الْمُنْهَاجِ  
مَاضٍ عَلَى الْغَمَرَاتِ يُمَضِي هُمُ وَاللَّيْلُ مُخْتَلَفُ الطَّرَائِفِ دَاجِي  
مَنْعَ الرُّشَادِ أَرَاكُمْ سَيْلَ الْهَدْيِ وَاللَّصَّ نَكْلَهُ عَنِ الْإِذْلَاجِ<sup>(٢)</sup>

ولا يكفي الحجاج بما قدم من آياتٍ ليس لها مثال في رفع شأن  
الحجاج، بل زاد على ذلك آياتاً يقول فيها:

---

(١) المصدر نفسه ج ٧ ص: ٦٦.

(٢) إن جريراً يصف الحجاج بالشجاعة ونفاذ البصرة، ووضوح المنهاج واختراق  
عزيمته للشدائد، وتطلائه في الأمور. ويعطف على سياسته فيبين رشداه، وما  
أنفادت على الناس. فقد منع الرشوة، ولقّن الطرق من اللصوص. وأصبح الحجاج  
لا يخافون على حقائبهم نهياً ولا سلباً. وبذلك قضى الحجاج على كل فساد  
في العراق، سواء كان مادياً أو معنوياً. فإن هذه امتدت أيضاً إلى الفساد النفسي،  
والى هذه الآفة التي تسمى النفاق فعالجها في أصحابها. وقضت على سمومها  
وأفاعيها.

وَيَتَنَانِ فِي الْحِجَاجِ لَا تَرُكُ ظَالِمٌ سَوِيًّا وَلَا عِنْدَ الْمُرَاشَةِ نَائِلٌ  
قَلِمْتَ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمِنْهُمْ مُخَالِفُ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَخَاذِلُ  
فَكَنتَ لِمَنْ لَا يَرَى الدِّينَ قَلْبَهُ شِفَاءً وَخَفَ الْمُنْعِنُ الْمَشَاقِلَ<sup>(١)</sup>

وهكذا تجد تكرار التبجيل والتعظيم لشأن الحجاج العالم الحكيم.  
وكان الخليفة عبد الملك بن مروان يطرب لدى سماعه هذه الأبيات،  
يفدقها الشاعر على واليه، فيغبط الحجاج على هذا الإعلام القليل  
النظير، ويتمنى لو يتسنى له أن يلحق هذا الشاعر ببلاطه. وعرف  
الحجاج بحب عبد الملك لشعر جرير، ورغبته في أن يكون من شعرائه.  
فبعث به إلى الخليفة مع ابنه محمد. وحين مثل الشاعر بين يدي عبد  
الملك نفحه قصيدته المشهورة التي يقول فيها:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَانِي وَأُنْذَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَاحِ

ولكثرة إعجاب عبد الملك بشعره، نفحه مائة ناقة وثمانية من  
الرِّعَاءِ<sup>(٢)</sup> ومنذ ذلك، صار جرير شاعر بني أمية. بدءاً بعبد الملك، وانتهاء  
بأبنائه، يمشي لهم، ويدعو دعوتهم، وينفخ مع أنصارهم في بوقهم، بكل  
ما أوتي من حول فني وقوة. وكانت صلة جرير بعبد الملك أشد قوة  
وصلابة من صلة الفرزدق. فعلاقة جرير ببني أمية، تبدأ من عهد عبد  
الملك. أما علاقة الفرزدق بهم، فلم تبدأ إلا في عهد سليمان. وجرير لم

(١) يقول جرير: خصلتان في الحجاج رفعت من قدره: الأول القضاء على الظالم.  
والثانية قطع دهر الرشوة. ثم يقول مخاطباً الحجاج. عندما جئت العراق  
وجدت للنحرف عن الدين، والمتخاذل من الدفاع عنه. فشفيت الأول من  
علته، وجعلت المتخاذل يسرع للدفاع عن الدين.

(٢) الأصمهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين الأحملي ج ٨ ص: ٦٦.

يكن متمرداً، بل كان فيه ضراعة، أعدته للحاق بعبد الملك الذي عرف كيف يرضيه ليصبح داعية له ولأبنائه في العراق والعالم الإسلامي. وليصبح شعره يذاع في كل مكان، يترنم به الشعراء، وينشده المنشدون. ومن أمثال ذلك قوله في عبد الملك:

لَوْلَا الْخَلِيفَةُ وَالْقُرْآنُ يَقْرَأُهُ مَا قَامَ لِلنَّاسِ أَحْكَامٌ وَلَا جُمُعٌ  
أَنْتَ الْأَمِينُ أَمِينُ اللَّهِ لَا سِرْفَ فِيمَا وَلَيْتَ وَلَا هَيْبَةَ وَرِعٍ<sup>(١)</sup>  
أَنْتَ الْمُبَارَكُ يَهْدِي اللَّهُ شَيْعَتَهُ إِذَا تَفَرَّقَتِ الْأَهْوَارُ وَالشَّيْعُ  
فَكُلُّ أَمْرٍ عَلَى يَمَنِ أَمَرْتَ بِهِ فِيمَا مُطَاعٌ وَمَهْمَا قُلْتَ يُسْتَمْعُ  
بِنَا آلَ مَرْوَانَ إِنَّ اللَّهَ فَضَّلَكُمْ فَضْلاً عَظِيماً عَلَى مَنْ دِينُهُ الْبِدْعُ<sup>(٢)</sup>

ولا أظن شاعراً يلتصق ولاءاً لخليفة كما التصق جرير بعبد الملك. ويزيد تعظيم الشاعر للخليفة حين يقول في مكان آخر من قصيدة له:

اللَّهُ طَوْقُكَ الْخِلَافَةَ وَالْهَدَى وَاللَّهُ لَيْسَ لِمَا قَضَى تَبْدِيلُ<sup>(٣)</sup>

(١) ورع: هنا الجبن.

(٢) يصف الشاعر عبد الملك، فيجعله عمود الدين، ولولاه ما اتعقدت أحكام الإسلام، ولا اتعقدت صلواته. فهو أمين الله في أرضه وعلى عياده. وهذا القرآن يقرؤه. وهذه أوامره تستمد كلها منه، وهي كلها أوامر بمن يأتيها الناس عن طاعة ورضى. ويقول أيضاً: إن هذا فضل عظيم اختص به الله سبحانه آل مروان، ورفعهم به درجات فوق الناس من خوارج وشيعة وغيرهما ممن يتبدعون البدع في الدين. فهم أهل الكتاب والسنة. وخصومهم أهل البدعة والإلحاد.

(٣) وفي هذا البيت إشارة إلى فكرة المهدي من جهة، وإشارة إلى مذهب الجبرية من جهة ثالثة. فكل شيء بقضاء وقدر، ولا سبيل إلى التبديل والتغيير في أي شيء.



وقد يتساءل القارىء، كيف تسنى لجبرير أن يخرق الحصار الذي كان يفرضه الأخطل بشاعريته على بني أمية؟ وكان للأخطل وزن كبيرٌ عندهم لا يعادله وزن شاعر آخر. فتلكم القصة التي تبدأ بموالة جرير لابن الزبير الذي ما كادت تخمد حركته، حتى تلتطف شاعرنا كيما تسنى له دخول واسط خفية لأن رقابة الحجاج عابها لا تسمح أن يدخلها إلا من كان موالياً له. واسرع جرير لاجئاً إلى أحد اشراف الأمويين، عنبسة بن سعيد بن العاص الذي شفع له إلى الحجاج. واستغل شاعرنا هذه الشفاعة فأسرع إلى مدحه - كما سبق وقدمنا - وذم أعداءه من الزبيريين والخوارج وأهل العراق عامة. وكانت هذه الثمرة الأولى التي نفذ منها جرير لمزاحمة الأخطل في كسب عطف بني أمية. أما الثمرة الثانية فجاءت بوصول الشاعر إلى مجلس عبد الملك، وقدمه إليه مرثاً في المواسم. وكان الهجاء قد لجأ بينه وبين الأخطل والفرزدق. فالتقى مرتين أو ثلاثاً بالأخطل في مجلس الخليفة. فخاف منه الأخطل مرة، على ما في رواية عُمارة ابن عقيل<sup>(١)</sup> ومرة أفحمه بجواب مسكت. وانتصر عليه مرة ثالثة بانشاده «خف القطون». ورغم ذلك، فإن جريراً يعرف أنه دخل قلب عبد الملك، وإن الأخطل لن يستطيع إبعاده عن مجلسه. وكان له ذلك، والمؤسف أننا لم نجد من قصائد جرير الموسمية في مدح عبد الملك سوى ثلاث تدل على ذكاء الشاعر في حسن تقربه من الخليفة. وأما القصائد الأخرى التي ذكرها المؤرخون، فلم نعلم ماذا حل بها، وأين ذهبت. هل إلى الضياع انتسبت، أم إلى الإهمال درجت؟ هذا ما نتمنى الكشف عنه إذا وفق الباحثون.

(١) الأصمعي: أبو الفرج: علي بن الحسين: ج ٧، ص: ٦٩.

## جرير والوليد بن عبد الملك:

لقد ترسخت فكرة الموالة لبني أمية في شعر جرير. وصار لازماً عليه أن يتنقل بشعر ولائه لهم كلما حلّ خليفة قادم، مكان خليفة راحل. وهذا كان شأن شاعرنا، حين وفد على الوليد في دمشق وكان قد تجاوز الخمسين من عمره، وذهب صيته في المدح والمجاء. ووافق وجوده في دمشق داخل المسجد، وجود الفرزدق فيه. وكون الشاعر من المادحين للموالي والفرس، فقد أفرد الفرزدق بنفر قليل من خندف، بينما هبّ الناس الى جرير يحمّونه، ومن ثم يسألونه: «كيف أنت، يا أبا حزره، في سيرك؟ وكيف أهلك وأسبلك؟»<sup>(١)</sup> وعرف الشاعر كيف يصل الى قلب الوليد، كما وصل من قبل الى قلب عبد الملك. وكانت له في الوليد مدحية يقول فيها:

حَيُّ الدِّيارِ بِعَاقِلٍ وَالْأَنْفَمِ      كَالْوَحْيِ فِي رَقِّ الْكِتَابِ الْمُعْجَمِ<sup>(٢)</sup>  
طَلَلْتُ تَجْرِهُ الرِّيحُ سَوَارِيأَ      وَالْمُدْجَنَاتُ مِنَ السَّمَاءِ الْمِرْزَمِ<sup>(٣)</sup>  
عَضَّ الْمَنَازِلَ كُلُّ جَوْنٍ مَاطِرٍ      أَوْ كُلُّ مُغْصِفَةٍ حَصَاها مُرْتَمِي<sup>(٤)</sup>  
أَصْرَمَتْ حَاجَتَكَ الَّتِي قَضَيْتَهَا      وَمَعَ الضَّغَائِنِ حَاجَةً لَمْ تَصْرَمِ  
بَقَرٌ أَوْ أَيْسَ لَمْ تُصِيبْ غِرَّتِهَا      نَبْلُ الرُّمَاءِ وَلَا رِمَاحُ الْمُسْنَمِي<sup>(٥)</sup>

(١) الأصمهاني: أبو الفرج: على بن الحسين: ح ٧، ص: ٦٥.

(٢) عاقل والأنفم: موضعان.

(٣) السماء: مطر ينسب إليه المطر السماكي. المزم: الكثير الرعد.

(٤) الجون: السحاب الماطر.

(٥) الإستماء: أن يهيج الوحش في كتله عند شدة الحر حتى يخرج منه ثم يفعل

به ذلك مراراً حتى يتحمّر ولا يفارق الكلب فيهم عليه.

ويستمر على هذا المنوال، حتى يصل الى إشارة مذهب الجبرية، والقضاء والقدر والمهدوية التي سعى بنو أمية الى نشرها بين الناس، حتى ينصرفوا عن التفكير في خلافتهم ومحاولة تبديلها أو صرفها عنهم، لأن الله شاء أن يكونوا هم خلفاء رسوله. ويعزز جبر هذا المبدأ، حتى يصل بها - في مدحه للوليد - الى المغالاة، وكأنه يريد أن يقرها تقريراً، من خلال فكرته التي يقول فيها:

إِنَّ الْوَلِيدَ هُوَ الْإِمَامُ الْمُصْطَفَىٰ  
بِالنَّصْرِ هُزْ لَوَاوُهُ وَالْمَغْنَمِ  
ذُو الْعَرْشِ قَدَرٌ أَنْ تَكُونَ خَلِيفَةً مَلَكْتَ فَاعِلٌ عَلَى الْمَنَابِرِ وَسَلَّمٌ<sup>(١)</sup>

وعلاقته بالوليد كانت على هذه الشاكلة التي استمرت بعد الملك حيث يدعو للأمويين الى هذا الجبر في القضاء، فخلافتهم قدرٌ مقدور منذ الأزل. وكذلك أوامره وسياستهم، وكل قول أو فعل يصدر عنهم حتى إن السفك للدماء مبرر في فعلهم. وهو تابع للقضاء المبرم. والقدر المقدر على البشر. فأعمال الإنسان تحكم بقوة إلهية خارجة عن سلطانه وهي قوة أعطى الله صولجاناتها لبني أمية. فهم خلفاء الله ورسوله في الأرض، وعلى العباد بتنفيذ مشيئته وإرادته. وعليهم أن يرضوا عنهم، ويصدقوا بمشيئتهم، لأنها مستمدة من مشيئة الله. وأثبت علاقة جبر بالوليد أربع قصائد، تذكره في مجلسه. منها واحدة فيها يحضه على البيعة لابنه عبد العزيز حيث يقول:

غَفَا نِهْجًا حَمَامَةً فَالْجَوَاءُ لَطُولِ تَبَائِنِ جَرَتِ الظُّبَاءُ<sup>(٢)</sup>

(١) إنه يقول في الوليد ما قاله في أبيه من أن خلافته قدر مقدور قدره العلي العظيم صاحب العرش والأمر الذي تصدر عنه أعمالنا في الكون صدور الشمس، فلا يمكن ردها لأنها تصدر بقضاء نافذ محموم.

(٢) غفا: درس واتمى. النهي: انتهى السيل وموضع الشرب. الحمامة والجواء:

فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ نَوَىٰ قَذُوفٌ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ هُوَ الْجَلَاءُ<sup>(١)</sup>

وبعد هذا المطلع التقليدي، يصل الى الغاية التي يريد بها بالوصول الى البيعة التي يريد بها لعبد العزيز بن الوليد، فيقول:

إِلَىٰ عَبْدِ الْعَزِيزِ سَمَتْ عِيُونُ الـ رَعِيَةِ، إِنْ تُخَيَّرَتِ الرَّعَاءُ

إِلَيْهِ دَعَتْ ذَوَاعِيَهُ إِذَا مَا عِمَادُ الْمُلِكِ حَزَّتْ وَالسَّمَاءُ

وَقَالَ أُولُو الْحُكُومَةِ مِنْ قُرَيْشٍ عَلَيْنَا الْبَيْعُ إِذْ بَلَغَ الْغَلَاءُ<sup>(٢)</sup>

رَأَوْا عَبْدَ الْعَزِيزِ وَلِيَّ عَهْدٍ وَمَا ظَلَمُوا بِذَلِكَ وَلَا أَسَاوُوا

فَرَحْلِفَهَا بِأَزْفَلِهَا إِلَيْهِ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، إِذَا تَشَاءُ<sup>(٣)</sup>

فَإِنَّ النَّاسَ قَدْ مَدُّوا إِلَيْهِ أَكْفُهُمْ، وَقَدْ بَرَحَ الْخَفَاءُ

وَلَوْ قَدْ بَايَعُوكَ وَلِيَّ عَهْدٍ لَقَامَ الْقِسْطُ وَاعْتَدَلَ الْبِنَاءُ<sup>(٤)</sup>

وبينا نحن نسترسل معه في ما طلبه لعبد العزيز بن الوليد، ونظن أنه لن يرضى عن عبد العزيز بذيلاً لولاية العهد، إذا بنا نجده يسارع لتهتة أيوب بن سليمان، حين سارت ولاية العهد إليه، ويمدح والده، ويبدأ قصيدته بقوله:

هَلْ يَنْفَعُنكَ إِنْ جَرَيْتَ تَجْرِبُ أَمْ هَلْ شَبَّابُكَ بَعْدَ الشَّيْبِ مَطْلُوبُ

---

= اسمان لموقعين يرد ذكرهما كثيراً في شعر جرير. تباين: فرقة وتباعد. جرت

الطباء: جرت بالشوم.

(١) النوى: القذوف: البيعة. الجلاء: التفرق أو الخوف.

(٢) الغلاء: هو المسابقة في رفع الثمن.

(٣) زحفها: دفعها اليه. بأزفلها: كاملة لا نقصان فيها.

(٤) القسط: العدل.

أَمْ كَلَمْتُكَ بِسُلْمَتَيْنِ مَنْرَلَةً يَأْمَنْزِلَ الْحَيَّ جَادَتْكَ الْأَهَاضِيبُ<sup>(١)</sup>  
 كَلَّفْتُ مَنْ خَلَّ مَلْحُوبًا فَكَاطِمَةً أُنْهَاتَ كَاطِمَةً مِنْهَا وَمَلْحُوبٌ<sup>(٢)</sup>  
 حَتَّى يَقُولَ فِي الْوَلَاءِ لِبَيْعَةِ أَيُّوبَ:

إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي تُرَجَّى نَوَافِلُهُ بَعْدَ الْإِمَامِ، وَلِيُّ الْعَهْدِ أَيُّوبُ  
 مُسْتَقْبَلُ الْخَيْرِ لَا كَابٍ وَلَا جَحْدٌ<sup>(٣)</sup> بِذَرِّ بَغْمٍ نُجُومَ اللَّيْلِ مَشْبُوبٌ<sup>(٤)</sup>  
 ومنها قصيدة مطوَّلة، يذكر فيها فتوحات الوليد الواسعة في الهند  
 والصين والروم والفرس حيث يقول:

وَلَقَدْ قَطَعْتَ مَجَاهِلًا وَمَسَاحِلًا وَجِمَامَ آجِنَهَا كَلَوْنِ الْعَنْدَمِ<sup>(٥)</sup>  
 ثم يذكر بعد ذلك كيف سما على النصارى، ويمدحه بهدمه  
 كنيسة النصارى في دمشق فيقول:

وَلَقَدْ سَمَوْتَ إِلَى النَّصَارَى سَمَوَةً رَجَعْتَ لَوْقَعِيهَا جِبَالُ الدَّيْلَمِ<sup>(٦)</sup>  
 إِنَّ الْكَنِيسَةَ كَانَ هَذَا بِنَائِهَا قَسْرًا، فَكَانَ هَزِيمَةً لِلْأَخْرَمِ<sup>(٦)</sup>  
 فَأَرَاكَ رَبُّكَ إِذْ كَسَرْتَ صَلَبَهُمْ نُورَ الْهُدَى وَعَلِمْتَ مَا لَمْ نَعْلَمْ  
 وكذا يهنته بكل انتصاراته ويمدح أولاده بقوله:

(١) سلماتين: اسم وادٍ في صحراء الدهناء. الأهاضيب: السحاب المطر.

(٢) كاطمة وملحوب: أسماء مواقع.

(٣) جحد: نكران الجميل. مشبوب: الواضح. الظاهر.

(٤) الأجان: واحدما آجن أو هو المتخير. العندم: الدم، أو الصباغ الأحمر.

(٥) جبال الديلم: الجبال التابعة لأعاجم الديلم.

(٦) الأخرم من ملوك الروم. وفي البيت إشارة إلى هدم الوليد لكنيسة مار يوحنا،  
 حيث آله أن يسمع قراءة النصارى، وهو متوجه إلى صلاة العصر في المسجد  
 المعروف اليوم بالمسجد الأموي في دمشق.

وَبَنُو الْوَلِيدِ مِنَ الْوَلِيدِ يَمْتَزِلُ كَالْبَنْرِ حُفٌّ بِوَاضِحَاتِ الْأَنْجُمِ  
وَكُنَّ جَرِيرًا لَا يَكْفِيهِ مَا حُلُّ بِهِ حِينَ تَهَاجَى مَعَ الْأَخْطَلِ فِي  
حَضْرَةِ الْخَلِيفَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَأَمَرَ هَذَا الْأَخِيرُ أَنْ يَرْكَبَ الْأَخْطَلُ ظَهْرَ  
جَرِيرٍ كَمَا يُرْكَبُ الْحِمَارُ حَتَّى يَسِيرَ فِيهِ وَيَدُورُ، وَعَبَدَ الْمَلِكُ مَسْرُورًا  
بِإِذْلَالِهِ، لِأَنَّ جَرِيرًا أَقْدَعَ الْأَخْطَلُ وَأَفْحَشَ فِي هَجَائِهِ، حَتَّى حُلُّ بِهِ  
فِي حَضْرَةِ الْوَلِيدِ نَفْسَ مَا حُلُّ بِهِ سَلْبًا. فَقَدْ اجْتَمَعَ الشَّاعِرُ بَعْدِيَّ  
بْنُ الرَّقَاعِ الْعَامِلِيُّ شَاعِرُ الْوَلِيدِ الْخَاصُّ، فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِ، حَتَّى غَضِبَ  
الْخَلِيفَةُ، وَأَمَرَ بَانَ يُوكَفُ جَرِيرًا<sup>(١)</sup> فَيَرْكَبُهُ ابْنُ الرَّقَاعِ. وَلَمْ يَنْقُذِ  
الشَّاعِرُ مِنْ هَذِهِ الْمَخْنَةِ، إِلَّا شَفَاعَةُ عَمْرِ بْنِ الْوَلِيدِ<sup>(٢)</sup> تَلَكُمُ هِيَ عِلَاقَةُ  
الشَّاعِرِ بِالْوَلِيدِ وَمَا أَصْلَبَهُ فِي حَضْرَةِ سُلْطَانِهِ مِنْ مَسْرَةٍ وَأَفْرَاحٍ إِذَا  
أَصْلَبَهُ الرِّضَى، وَنَغِيصَةٍ وَأَحْزَانٍ إِذَا وَقَعَ عَلَيْهِ الْغَضَبُ.

جَرِيرٌ وَسُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ:

وَهَكَذَا يَسْتَمُرُّ جَرِيرٌ فِي مَوَالَاتِهِ لِبْنِي أُمَيَّةَ، خَلِيفَةً بَعْدَ خَلِيفَةٍ، حَتَّى يَصِلَ بِهِ  
الْأَمْرُ إِلَى سُلَيْمَانَ بْنِ عَبْدِ الْمَلِكِ، فَيَصِفُهُ بِالْمَهْدِيِّ، أَسْوَأَ بِالْفَرَزْدَقِ وَيَقُولُ  
فِيهِ ضَمَنَ مَقْدَمَةَ قَصِيدَةٍ، يَهْنِي بِهَا وَلَدَهُ فِي وِلَايَةِ الْعَهْدِ:

قَدْ تَبَيَّنَ الْقَلْبَ حَتَّى زَادَهُ خَبَلًا مَنْ لَا يُكَلِّمُ إِلَّا وَهُوَ مَحْجُوبٌ<sup>(٣)</sup>

قَدْ كَانَ يَشْفِيكَ لَوْ لَمْ يَرْضَ خَازِنُهُ رَاحَ يَبْرُدُ قَرَارِ الْمَاءِ مَقْطُوبٌ<sup>(٤)</sup>

كَأَنَّ فِي الْخَدِّ قَرْنَ الشَّمْسِ طَالِعَةً لَمَّا دَنَا مِنْ جِمَارِ النَّاسِ تَحْصِيبٌ<sup>(٥)</sup>

(١) يوكف: أي يوضع عليه الإكاف. وهو البردعة.

(٢) الأصمهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين: ج ٧ . ص: ٧٣.

(٣) خبلاً: ولماً.

(٤) الراح: الخمر، مقطوب: ممزوج.

(٥) التحصيب: رمي الحجارة بوادي منى.

تَمَتَّ إِلَى حَسَبٍ مَّا فَوْقَهُ حَسَبٌ • مَجْدًا وَرَيْنَ ذَلِكَ الْحُسْنُ وَالطُّوبُ  
تَبْدُو قَتْبِي جَمَالًا زَانَهُ خَفَرٌ إِذَا تَرَاوَاتِ السُّودُ الْعَنَاقِيْبُ<sup>(١)</sup>

ويستمر على هذه النفحة في شعره، كما يكرر معها نفمة تفضيل  
الله لبني أمية على الناس، إذ اختصهم بفضله، وجعل الخلافة فيهم  
دون غيرهم، ثم يعود الى تكرار صفات الكرم والعدالة والاقتداء  
بالكتاب والسنة في قصيدة أخرى يقول فيها:

عَلَامَ تَلُومُ عَاذِلَةَ جَهْلُوقٍ وَقَدْ بَلَى رَوَاحِلَنَا الرَّحِيلُ  
فَإِنَّ السَّيْفَ يُخْلِقُ مِخْلَاهُ وَيَسْرِعُ فِي مَضَارِيهِ النَّحُولُ  
قَطَعْنَ إِلَيْكُمْ مُتَشَنَعَاتٍ مَهَابِهِ مَا يُعَدُّ لَهُنَّ مِثْلُ  
ويظلّ على نهجه المديحي حتى يصل الى محطة المهدوية التي يقف  
عليها منادياً بالخليفة إماماً مرسلًا من الله فيقول:

سُلَيْمَانُ الْمُبَارَكُ، قَدْ عَلِمْتُمْ هُوَ (المهدي) قَدْ وَضَعَ السَّبِيلُ  
أَجْرَتْ مِنْ الْمَظَالِمِ كُلِّ نَفْسٍ وَأَدْبَتِ النَّدَى عَهْدَ الرُّسُولِ  
صَفَتْ لَكَ بَيْعَةٌ بِشَبَاتِ عَهْدٍ فَوَزَنَ الْعَدْلُ أَصْبَحَ لَا يَمِيلُ  
أَلَا هَلْ لِي لَخْلِيْفَةٍ فِي نَزَارٍ فَقَدْ أَمْسَوْا وَأَكْثَرُهُمْ كَلُولُ  
وَتَدْعُوكَ الْأَرَامِلُ وَالْيَتَامَى وَمَنْ أَمْسَى وَلَيْسَ بِهِ حَوِيلُ<sup>(٢)</sup>  
وَتَشْكُو الْمَاشِيَاتُ إِلَيْكَ جُهْدًا وَلَا صَبَّ لَهُنَّ وَلَا ذُلُولُ

(١) خفر: حياء، تَرَاوَاتِ: سارت مسرعة، السود العناكب: النساء اللصيمات.

(٢) الحويل: البأس والقوة.

وَأَكْثَرَ زَادِهِمْ وَهَنْ سَفَع حُطَامُ الْجِلْدِ وَالْمَصَبُ الْمَلِيلُ<sup>(١)</sup>

ويمضي في وصفه لسليمان، فيجمله منقذاً للناس بعدله، راداً عنهم مظالم المتعسفين، لأنه مهدي زمانه المبارك من ربه لأنه اختط لنفسه سبيل السنة النبوية، فصار من اتبعه سلك سبيل الهدى، ومن تركه سلك طريق الضلال، وكانت شدة موالاة جرير لخلفاء بني أمية تجعله ينتصر لكل رأي يريد به الخليفة، وهو حين سمع بأن الخليفة سليمان يرغب في جعل ولاية العهد لابنه أيوب، أسرع الى القول:

إِنَّ الْإِمَامَ الَّذِي تُرَجَّى نَوَافِلُهُ بَعْدَ الْإِمَامِ وَلِيِّ الْعَهْدِ أَيُّوبُ  
اللَّهُ أَعْطَاكُمْ مِنْ عِلْمِهِ بِكُمْ حُكْمًا وَمَا بَعْدَ حُكْمِ اللَّهِ تَغْقِبُ  
أَنْتَ الْخَلِيفَةُ لِلرَّحْمَنِ تَعْرِفُهُ أَهْلُ الزُّبُورِ وَفِي التَّوْرَةِ مَكْتُوبُ

وكانت عادة جرير، أن يستجيب دائماً لمثل هذه الرغبة، حين يريد خليفة أن يصرف ولاية العهد دون أخيه لابنه. صنع ذلك مع عبد الملك حين أراد أن يحول ولاية العهد من أخيه عبد العزيز الى ابنه الوليد. وصنع ذلك مع الوليد، حين أراد أن يترك سليمان الى ابنه عبد العزيز. وهو الآن يصنع الصنيع نفسه مع سليمان في ولده، حين أراد أن يصرف ولاية العهد عن أخيه يزيد الى ابنه أيوب. وقد رأى أخيراً أن يصرفها إلى عمر بن عبد العزيز<sup>(٢)</sup>.

جرير وعمر بن عبد العزيز:

وحين كانت الخلافة في عهدة الوليد، جاء جرير المدينة، وعليها

(١) السفع: الاحمرار يملوه السواد.

(٢) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ١٥٨.



عمر بن عبد العزيز. فما كان منه إلا أن اتصل به، واغدق عليه مديحه. وكان الفرزدق في المدينة. فأراد عمر أن يعرف أيّ الشعارين أصلح. وحين اطلع على شعرهما، وجد الفرزدق صاحب فجور وخلاعة، وجريراً صاحب عفة. فمال الى جريز وفضله على الفرزدق الذي نفاه وقال فيه «عجبت لقوم يفضلون الفرزدق على جريز مع عفة جريز... وفجور الفرزدق وخيئته وقلة ورعه وخوفه من الله عز وجل»<sup>(١)</sup> ومن القصائد التي مدحه بها واعجبته، قوله:

لَجَتْ أَمَامَهُ فِي لَوْمِي وَمَا عَلِمْتَ عَرَضَ السَّمَاءِ رَوْحَاتِي وَلَا بُكْرِي<sup>(٢)</sup>  
وَلَا تَقْفَعُ أُلْحِي الْعَيْسَ قَارِيَةً بَيْنَ الْمِرَاجِ وَدَغْنِي، رِجْلَتِي بَقَرِ<sup>(٣)</sup>  
مَا هَوَّمَ الْقَوْمُ مَذْ شَدُّوا رِحَالَهُمْ إِلَّا غَشَّاشاً لَدَى أَعْضَادِهَا الْبُسْرِ<sup>(٤)</sup>

ويستمر على هذه السجية في مدحه حتى ينبري قائلاً:

أَصْبَحْتُ، لِلْمَنِيرِ الْمَعْمُورِ مَجْلِسُهُ زَيْنًا وَزَيْنَ قِيَابِ الْمَلِكِ وَالْحَجَرِ  
نَالَ الْخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا كَمَا أَتَى رُؤْيُ مُوسَى عَلَى قَدْرِ  
فَلَنْ تَزَالَ لِهَذَا الدِّينِ مَا عَمِرُوا مِنْكُمْ عَمَارَةً مُلْكٍ وَاضِحِ الْفُرَرِ

ولا يملُ جريز تكرار هذه النغمة الشيقة في مدائحه لعبد العزيز، وهو واحدٌ من عصبة الدوحة الأموية التي يريد لهم دوام الحكم على الأساس الذي يحكمون به. وقد أُمِنَ في وصفهم لصفاتٍ جليلة

(١) الأصماني: أبو الفرج: علي بن الحسن ج ٧ ص: ٧٤.

(٢) السماوة: صحراء السماوة.

(٣) المراج ورغني ورجلتي بقرة: أسماء مواقع.

(٤) هوم: نام قليلاً، الغشاش: السرعة.

سارت مثلاً بين محبيهم ومؤيديهم. كما أصبحت تلك التي ينال بها خصومهم منتشرة بين من قال عنهم انهم ضلّوا سواء السبيل. ومن هنا انتشرت في شعره المقارنة بين الثائرين على الأمويين وقوم نوح وهود وتمود من مثل قوله في يزيد بن المهلب حين ثار وقتله الأمويون:

آلُ الْمُهَلَّبِ فَرُّطُوا فِي دِينِهِمْ وَطَفُّوا كَمَا فَكَلْتُ تَمُودُ فَبَارَوْا

فهو بعدهم خارجين على الدين مارقين منه لثورتهم على حفظته وحرسته. كما بعدهم طاغين باغين كما بنت تمود وطفت. فأذاقها الله عاقبة طغيانها جزاءً وفاقاً<sup>(١)</sup> ورغم أن عمر بن عبد العزيز فضل جريراً على الغزدق، إلا أن هذا التفضيل لم يمنعه من عقاب جرير عندما لجأ الهجاء في المدينة، بينه وبين الشاعر عمر بن لجأ، فتقاذفا وأفحشا في القول. ويذكر صاحب الأغاني ما حصل فيقول<sup>(٢)</sup>: كان الذي هاج الهجاء بين جرير وعمر بن لجأ، أن عمر كان ينشد أرجوزة له يصف فيها إبلاً وجرير حاضرٌ فقال فيها:

قَدْ وَرَدَتْ قَبْلَ إِنَاءِ ضَحَائِهَا تُفَرِّسُ الْحَيَاتِ فِي خِرْشَائِهَا<sup>(٣)</sup>

جَرَّ الْعَجُوزِ الثِّيَّ مِنْ رِدَائِهَا

فقال له جرير: أخفقت. فقال: كيف أقول؟ قال تقول:

جَرَّ الْقُرُوسِ الثِّيَّ مِنْ رِدَائِهَا

فقال له التيمي أنت أسوأ قولاً مني حيث تقول:

وَأَوْثَقُ عِنْدَ الْمُرْدَقَاتِ عَشِيَّةً لِحَاقاً إِذَا مَا جَرَّدَ السَّيْفَ لَامِغٌ

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ١٥٩.

(٢) الأصبهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين، الأغاني: ج ٨ ص: ٦٩.

(٣) إلانا: الوقت، والضحاء: الضحى، وتفريس: تقتل، والخرشاء: جلد الحكة.

فجعلتهن مُرَدَفَاتٍ غُدُوَّةٌ ثُمَّ تَدَارَكَهُنَّ عَشِيَّةٌ. فقال: كيف أقول؟  
قال تقول: وَأَوْتَقُ عِنْدَ الْمُرَهَفَاتِ عَشِيَّةٌ. فقال جرير: والله لهذا البيتُ  
أحبُّ إليَّ من بِكَرِيَّ حَرْزَةٍ. ولكنك مجلب<sup>(١)</sup> للفرزدق وقال فيه  
جرير:

هَلَا سِوَانَا أَذْرَأْتُمْ يَا بَنِي لَجَأٍ شَيْئاً يُقَارِبُ أَوْ وَحْشاً لَهَا غِرْرٌ<sup>(٢)</sup>  
أَحْيَيْنَ كُنْتُ سِمَاماً يَا بَنِي لَجَأٍ وَخَاطَرْتُ بِي عَنْ أَحْسَابِهَا مُضْراً  
خَلَّ الطَّرِيقَ لِمَنْ يَبْنِي الْمَنَارَ بِهِ وَهَرَزُ بَرْزَةٍ حَيْثُ اضْطَرَّكَ الْقَدَرُ<sup>(٣)</sup>  
أَنْتَ ابْنُ بَرْزَةٍ مَنَسُوباً إِلَى لَجَأٍ عِنْدَ الْعَصَارَةِ وَالْعِيدَانُ تُعْتَصَرُ  
وقال ابن لجأ يردُّ عليه:

لَقَدْ كَذَبْتَ وَشَرُّ الْقَوْلِ أَكْذَبُهُ مَا خَاطَرْتُ بِكَ عَنْ أَحْسَابِهَا مُضْراً  
بَلْ أَنْتَ نَزْوَةٌ خَوَارٍ عَلَى أُمِّهِ لَا يَسْبِقُ الْحَلَبَاتِ اللَّوْمُ وَالْخَوَرُ  
مَا قُلْتَ مِنْ هَذِهِ إِلَّا سَأْتَقُضُهَا بِابْنِ الْأَتَانِ يَمِثْلِي تَنْقُضُ الْمِرْرُ

وكان جرير شيخاً، قد أَسُنَّ وضعف، وعمر شاب كانه حصان.  
فأمر بهما عمر بن عبد العزيز، فقيدا وقرنا أحدهما بالآخر، وأقيما  
في سوق المدينة مشهرين موقوفين للناس. وكانا بهتشتان ويضطربان  
في الحبل، فيسقطان الى الارض فأما ابن لجأ فيقع قائماً. وأما جرير

(١) المجلب: الممين

(٢) اذرأتم: خلتهم غرر: غفلات.

(٣) برزة: أم عمر بن لجأ.

فينحر لركبتيه ووجهه. فإذا قام نفض الغبار عنه<sup>(١)</sup> وفي رواية أخرى أن الوليد أمر بضربهما وتقيدهما، حين قدم المدينة فسمع بهما جيهما وقذفهما المحصنات<sup>(٢)</sup>.

وعندما بويع لعمر بن عبد العزيز، وفد عليه جرير، فطال وقوفه على الباب، لأن عمر لم يكن يأذن للشعراء ولا يعطيهم. حتى إذا وُفّق إلى المثل بين يديه، مدحه بالقوى، وشكا الفقر والجذب في قوله:

يَا رَبُّ سَجَلٍ مُّغِيثٍ قَدْ نَفَخْتَ بِهِ مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ مَزْرُوحٍ وَلَا كَدَرٍ  
أَذْكَرُ الْجَهْدَ وَالْبَلَوَى الَّتِي نَزَلَتْ أَمْ قَدْ كَفَّائِي الَّذِي بُلَغْتَ مِنْ خَبَرِي  
مَا زِلْتُ بِعُنْكَ فِي دَارٍ تَعْرِفُنِي قَدْ عَمِيَ بِالْحَيِّ إِصْنَادِي وَمُنْخَدِرِي  
كَمْ قَدْ دَعَوْتُكَ مَنْ دَعَا مُخْلَلَةً لَمَّا رَأَيْتُ زَمَانَ النَّاسِ فِي دَهْرٍ<sup>(٣)</sup>  
لَتَنْتَشَ الْيَوْمَ رِيْشِي ثُمَّ تَنْهَضُنِي وَتَنْزِلَ الْيُسْرَ مِنِّي مَوْضِعَ الْعُسْرِ  
فَمَا وَجَدْتُ لَكُمْ نِدَاءً يُعَادِلُكُمْ وَمَا عَلِمْتُ لَكُمْ فِي النَّاسِ مِنْ خَطَرٍ  
إِنِّي سَأَشْكُرُ مَا أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنٍ وَخَيْرٍ مَنْ يَلْتُ مَعْرُوفًا ذَوُو الشُّكْرِ

وكان ينتظر، أن ينفحه عمر على أبياته هذه. ولكن عمر حرمه واعتذر إليه بأن في المسلمين من هو أحوج إلى العطاء من الشعراء. فانصرف جرير راضياً، يقول لأصحابه من الشعراء المنتظرين، وفيهم الفرزدق: «خرجت من عند رجل بقرب الفقراء، ويباعد

(١) الأصماني: أبو الفرج: علي بن الحسن: ج ٧: ص: ٧٤.

(٢) المصدر نفسه: ج ٧: ص: ٦٩.

(٣) دير: عودة إلى وراء.

الشعراء»<sup>(١)</sup> وهناك من يقول بأن كبار الأمويين أرضوه من أموالهم. ومهما يكن من أمر فإن الشاعر عاد الى استجداء عمر بأبيات يذكر فيها أمله بخير الخليفة العاجل في مطلع يقول فيه:

هَلْ رَأَى أَمَّ لَمْ تَرَمْ ذُو السُّدْرِ فَالْتَلَسُمُ ذَاكَ الْهَوَىٰ مِنْكَ لَا دَانَ وَلَا أُمَمُ<sup>(٢)</sup>  
إِنْ طَلَبَكَ شَيْعاً لَسْتُ نَائِلُهُ جَهْلٌ، وَطُولُ كَبَانَاتِ الْهَوَىٰ سَقَمُ

حتى يصل الى الاستجداء الذي يقول فيه:  
أَنْهَضُ جَنَاحِي فِي رِيْشِي فَقَدْ رَجَعْتُ رِيْشَ الْجَنَاحِيْنَ مِنْ آبَائِكَ النَّعْمُ  
أَتَتْ ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ الْخَيْرَ لَا رَهَقُ غَمْرُ الشَّبَابِ وَلَا أَزْرَى بِكَ الْعَدَمُ  
ورغم ذلك، لم يتل منه ما يؤمله، لأن عمر بن عبد العزيز، كان بعيداً عن جوِّ المباهاة والمفاخرة بمدح الشعراء. وكان همه كله محصوراً في السير على ما يُرضي الله، وإعطاء المسلمين حقوقهم وهكذا، فعلاقة جريبه، لم تتل منه ما كان يؤمله.

جبري ويؤيد بن عبد الملك:

وملك يزيد بن عبد الملك في اليوم الذي توفي فيه عمر بن عبد العزيز، وهو يوم الجمعة لخمسِ بَقِيْنِ من رَجَبِ سنة إحدى ومائة هجرية (٧٢٠ م) وَيُكْنَى أبا خَالِدٍ، وَأُمُّهُ عَاتِكَةُ بنت يزيد بن معاوية ابن أُمِّي سَفِيَّانٍ<sup>(٣)</sup> وكان جبري كمادته مع بني أُمَيَّة، قد تقرب إلى يزيد ومدحه بقصيدة يقول في مطلعها:

(١) الأصمهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين ج ٧ ص: ٥٨.

(٢) الأُم: القاسي.

(٣) السعدي: علي بن الحسين: مروج الذهب ج ٣، ص: ١٨٢.

انْظُرْ حَلِيلِي بِأَعْلَى ثَرَمَدَاءِ ضَحَى وَالْعَيْسُ حَائِلَةٌ أَغْرَاضُهَا خُنْفٌ<sup>(١)</sup>  
 اِسْتَقْبَلَ الْحَيُّ بَطْنَ السَّرَامِ عَسَفُوا فَالْقَلْبُ فِيهِمْ رَهِينٌ أَيْنَ مَا انْصَرَفُوا<sup>(٢)</sup>  
 مِنْ مَحْوِ كَابَةِ تَحْتَتُ الْحِدَاةُ بِهِمْ كَيْ يَشْفَعُوا الْفَاحِبًا فَقَدْ شَفَعُوا<sup>(٣)</sup>  
 ثم يخاطب بعد ذلك يزيداً بمثل ما كان يخاطب به مَنْ سبقه  
 من الخلفاء في تبجيل وتعظيم الله لهم، وتفضيلهم على سائر الناس  
 بقوله:

يَا ابْنَ الْأَرْوَمِ فِي الْأَعْيَاصِ مَنِيتُهَا لَا قَادِحَ يَرْتَقِي فِيهَا وَلَا قَصَفَ<sup>(٤)</sup>  
 إِنِّي لَزَائِرُكُمْ وَدَا وَتَكْرِمَةٌ حَتَّى يُقَارِبَ قَيْدَ الْمَكْبَرِ الرَّسْفُ  
 أَرْجُو الْفَوَاضِلَ إِنْ اللَّهُ فَضْلُكُمْ يَا قَبْلَ نَفْسِكَ لَا قَى نَفْسِي التَّلَفُ  
 اللَّهُ أَعْطَاكَ فَاشْكُرْ فَضْلَ نِعْمَتِهِ أَعْطَاكَ مُلْكَ التِّي مَا فَوْقَهَا شَرَفُ  
 هَذِي الْبَرِيَّةُ تَرْضَى مَا رَضِيتَ لَهَا إِنْ سِرْتَ سَارُوا وَإِنْ قُلْتَ ارْمَعُوا وَقَعُوا  
 وبعد هذا المدح والإطراء، يستطرد في شعره الى هجاء أبناء المهلب  
 في ثورتهم عليه<sup>(٥)</sup> فيقول:

(١) الخنف: التي تلعب برأسها بمنة ويسرة، ثرمدا: اسم مكان، الأغراض:

الأحزمة.

(٢) عسفوا: ضلوا عن الطريق.

(٣) كابة: موضع لبني تميم، شفعوا: نال الحب منهم نصيباً.

(٤) القادح: العفن الذي يصيب العود، القصف: الضعف.

(٥) كان يزيد بن المهلب بن أبي صفرة (٥٣ - ١٠٢ هـ / ٦٧٣ - ٧٢٠ م)

قد هرب من سجن عمر بن عبد العزيز. وصار آل البصرة وعليها علي بن  
 أرطاة الفزاري (.... - ١٠٢ هـ / ... - ٧٢٠ م). فلأخذه يزيد، فأوثقه ثم  
 خرج يره الكوفة، مخالفاً على يزيد بن عبد الملك. وحشدت له الأزد  
 وأحلافها. وانحاز اليه أهله وخاصته، وعظم أمره واشتدت شوكة. فبعث-

يَا رَبُّ قَوْمٍ وَقَوْمٍ حَاسِدِينَ لَكُمْ مَا فِيهِمْ بَدَلٌ مِنْكُمْ وَلَا خَلْفُ  
 آلِ الْمُهْلَبِ جَزَّ اللَّهُ ذَلِيلَهُمْ أَمْسُوا رَمَادًا فَلَا أَصْلَ وَلَا طَرَقَ<sup>(١)</sup>  
 مَا نَأْتِي الْأَزْدُ مِنْ دَعْوَى مُضِيلِهِمْ إِلَّا الْمَعَاصِمَ وَالْأَعْنَاقُ تُخْتَطَفُ  
 وَالْأَزْدُ قَدْ جَعَلُوا الْمَتَوَفَّ قَائِدَهُمْ فَقَتَلْتَهُمْ جُنُودُ اللَّهِ وَاتَّقُوا<sup>(٢)</sup>

وهي قصيدة طويلة جداً. وفي قصيدة أخرى يقول:  
 لَقَدْ تَرَكْتُ فَلَا نَعْدَمَكَ إِذْ كَفَرُوا لِابْنِ الْمُهْلَبِ عَظَمًا غَيْرَ مَجْجُورٍ  
 يَا ابْنَ الْمُهْلَبِ إِنَّ النَّاسَ قَدْ عَلِمُوا أَنَّ الْخِلَافَةَ لِلشُّمِّ الْمَغَاوِيرِ  
 وَلَمْ يَنْسَ أَنْ يَمْدَحَ أَخَا يَزِيدَ، مسلمة بن عبد الملك بقوله:

مُسْلِمٌ جَرَّارُ الْجِيُوشِ إِلَى الْعِدَى كَمَا قَادَ أَصْحَابَ السَّفِينَةِ نُوحٌ<sup>(٣)</sup>

- إليه يزيد أخاه مسلمة بن عبد الملك (... - ١٢٠ هـ / ... - ٧٣٨ م)  
 وابن أخيه العباس ابن الوليد بن عبد الملك (... - ١٣١ هـ / ... - ٧٤٩ م)  
 في جيش عظيم. فلما شارف رأى يزيد بن المهلب في عسكره اضطراباً.  
 فسأل عن سببه فقيل له عن مجيء مسلمة والعباس، فقال: فوالله ما مسلمة  
 إلا جرادة صفراء. وما العباس إلا نسطوس بن نسطوس (النطوس: الذي  
 يستخرج الشيء إذا تضرع لإخراجه). وقد التقى جيشه بجيش مسلمة والعباس.  
 فاقتلوا قتالاً شديداً، وولّى أصحاب يزيد عنه، قُتِلَ في المعركة، وقُتِلَ جميع  
 اخوته. فلما ورد الخبر على يزيد بن عبد الملك، استبشر واتخذ الشراء جميعاً  
 يهجون آل المهلب ومنهم جرير.

[للسعودي: علي بن الحسين: مروج الذهب ج ٣ ص: ١٩٩ - ٢٠٠].

- (١) في نسخ أخرى وردت: جز (جذ) بالذال.
- (٢) في نسخة ثانية وردت: واتسفا (واتسفا) بالسون بدل التاء.
- (٣) المقصود ابن مسلمة بن عبد الملك، يهود الجيوش، كما قاد نبي الله نوح السفينة في أهله وأصحابه إلى النجاة.

يَذْكُوكَ: يَذُّ تَسْقِي السَّمَامَ عَلَوْنَا وَأُخْرَى بِرَمَاتِ السُّحَابِ تَفُوحُ<sup>(١)</sup>

وهكذا وفي جرير ليزيد بن عبد الملك، ما وجب عليه أن يوفيه  
لبنى أمية، وقيمت علاقته معه كشتاتها مع آباءه الأمويين.

جرير وهشام بن عبد الملك:

وآخر خليفة اتصل به جرير هو هشام بن عبد الملك. وكان قد  
تجاوز السبعين من عمره، عندما يبيع لهشام في اليوم الذي توفي فيه  
أخوه يزيد بن عبد الملك، وهو يوم الجمعة لخمس بقين من شوال  
سنة خمس ومائة للهجرة، الموافق (٧٢٤ م)<sup>(٢)</sup> ويقول المسعودي،  
صاحب مروج الذهب: وكان هشام أحوَلَ خشناً فظاً غليظاً، يجمع  
الأموال، ويعمر الأرض، ويستجيد الخيل، وأقام الحلبَةَ فاجتمع له  
فيها من خيله وخيل غيره أربعة آلاف فرس، ولم يعرف ذلك في  
جاهلية ولا إسلام لأحد من الناس. وقد قوى الثغور، واتخذ القنى  
والبرك بطريق مكة، وغير ذلك من الآثار التي أتى عليها داود بن  
علي في صدر الدولة العباسية<sup>(٣)</sup> ورغم كبر سن جرير، والهرم والشيب  
الذي بلغه، فقد تجشَّم المشاق إلى زيارة هشام في الرصافة، منافساً  
الفرزدق في مدحه، وقال مخاطباً الخليفة بقوله:

أَصْبَحَ حَبْلٌ وَصَلِكُكُمْ رِمَامًا وَمَا عَهْدُكُمْ كَعَهْدِكَ يَا أَمَامًا<sup>(٤)</sup>

(١) اعتبر لكل يد من يدي مسلمة وظيفة، فالأولى تفتك بالأعداء، والثانية تقوم  
بتقديم النوال والعطاء.

(٢) للمسعودي: علي بن الحسين: مروج الذهب: ج ٣: ص: ٢٠٥.

(٣) المصدر نفسه: ج ٣: ص: ٢٠٥.

(٤) الرماح: البالي.



إِذَا سَفَرْتُ فَمَسَفَرَهَا جَمِيلٌ      وَبُضْعِي الْعَيْنَ مَرْجِعُهَا اللَّثَامُ  
نُرِي صَدْمَانِ مَشْرَعَةً سِقَاءً      فَخَامٌ وَلَيْسَ وَارِدَهَا وَحَامًا  
أَمْنِيَتِ الْمُنَى، وَخَلَبْتُ، حَتَّى      تَرَكْتُ ضَمِيرَ قَلْبِي مُسْتَهَامًا

ونجد عنده نفس الصورة ونفس الصفات السامية، في وصف  
بني أمية حيث يقول:

إِلَى الْمَهْدِيِّ نَفَرَعُ إِنْ فَرَعْنَا      وَنَسْتَسْقِي بِغُرَّتِهِ الْفَعَامَا  
وَمَا جَعَلَ الْكَوَاكِبَ أَوْ سُهَيْلًا      كَضَوْءِ الْبَدْرِ يَجْتَابُ الظَّلَامَا  
وَحَبْلُ اللَّهِ تَعْصِيكُمْ قُوَاهُ      فَلَا تَخْشَ لِعُرْوَتِهِ انْفِصَامَا  
وَيَخْسَرُ مَنْ تَرَكْتَ فَلَمْ تُكَلِّمْ      وَيَغْبِطُ مَنْ تَرَاجَعَهُ الْكَلَامَا  
رَضِينَا بِالْخَلِيفَةِ حِينَ كُنَّا      لَهُ تَبَعًا وَكَانَ لَنَا إِمَامَا  
تَبَاشَّرَتْ الْبِلَادُ لَكُمْ بِحُكْمٍ      أَقَامَ لَنَا الْفَرَائِضَ وَاسْتَقَامَا

ولم يترك جرير شيئاً إلا وقاله في هشام. فذكر الأنهر التي شقها  
الخليفة من الفرات بإزاء الرقة، واصفاً بساتين الزيتون والكروم  
والنخل والفاكهة، وسائر المزروعات<sup>(١)</sup> ويذكر «الرُصافة» مكان  
إقامة الخليفة الذي يجمع المكارم والتقى فيقول:

إِنْ (الرُصَافَةُ) مَنَزَلٌ لِحَلِيفَةٍ      جَمَعَ الْمَكَارِمَ وَالْعَزَائِمَ وَالتَّقَى<sup>(٢)</sup>

(١) البستاني: فؤاد أفرام: الروائع رقم: ٣٩ ص: ٣٤١.

(٢) الرصافة: مدينة هشام بن عبد الملك التي عمر أسوارها.

مَا كَانَ جَرْبَ عِنْدَ مَدِّ حَيَالِكُمْ ضَعْفُ التَّوْنِ وَلَا انْفِصَامُ فِي الرَّمَى<sup>(١)</sup>  
 مَا إِنْ تَرَكْتِ مِنَ الْبِلَادِ مَضِلَّةً إِلَّا رَفَعْتَ بِهَا مَنَاراً لِلْهُدَى<sup>(٢)</sup>  
 أُعْطِيتِ غَافِيَةً وَنَصْرًا عَاجِلًا آمِينَ ثُمَّ وَقِيتِ أَسْبَابَ الرَّدَى<sup>(٣)</sup>

ويبقى على هذا الوصف المجلّ لمقام الخليفة، والرافع لقدر بين  
 الناس والأمم، حتّى يصل إلى المحطة المتوجب عليه فيها، أن يذكر  
 بني أمية وما اعتاد أن يقول فيهم، فيقول:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَانَاكُمْ حُسْنَ الصَّنَاعِ وَالْدُسَائِعِ وَالْعُلَى<sup>(٤)</sup>  
 يَا ابْنَ الْخَضَارِمِ لَا يَغِيبُ جَبَاكُمْ صِغَرُ الْخِيَاضِ وَلَا غَوَائِلُ فِي الْجَبَا<sup>(٥)</sup>  
 يَا ابْنَ الْحَمَاقَةِ فَمَا يُرَامُ حِمَاكُمْ وَالسُّلَيْقِينَ بِكُلِّ حَمْدٍ يُشْتَرَى<sup>(٦)</sup>  
 مَا زِلْتَ مُتَعَصِّمًا بِحَبْلِ مِنْكُمْ مَنْ حَلَّ نُجُورَتَكُمْ بِأَسْبَابِ نَجَا<sup>(٧)</sup>  
 وَإِذَا ذَكَرْتَكُمْ شَدَذْتُمْ قُوَّتِي وَإِذَا نَزَلْتُ بِفَيْشِكُمْ كَانَ الْحَيَا<sup>(٨)</sup>

ورغم العزيمة التي كان يتمتع بها جرير في شعره، إلا أن الشاعر  
 عجز، في الموسم التالي عن قصد الخليفة، فأرسل إليه ابنه عكرمة،

- 
- (١) التون: أولسط الجبال. الانفصام: الانقطاع. والتفكك. الرمي: الربوط الوثيقة.  
 (٢) مضلة: أرض لا يهتدي بها أصحاب السفر.  
 (٣) وقيت: حُميت، الردى: الموت.  
 (٤) الدسائع: مفردتها دسعة، وهي الأعطية الجزيلة.  
 (٥) الخضارم: الكرم نسباً وكرماً. الجبا: المياه الموجودة في الخياض. الخياض:  
 أماكن تجمع المياه. غوائل: شقوق تسرب منها المياه داخل الخياض.  
 (٦) يرَام: يستطاع الوصول إليه.  
 (٧) النجوة: الأرض المرتفعة.  
 (٨) الفيث: العشب، ومنها رعت الماشية الفيث، والمقصود هنا الحيا.

بقصيدة كانت آخر شعره، وبها يسمي هشاماً المهدي، ويطلب منه الصفع لعدم تمكنه من الثول بين يديه لضعف الشيخوخة والمهرم الذي يعجزه عن ركوب المطايا، واضطراره الى السير على العصا.

وما دام قد تطرق الى مدح بني أمية تكرهماً لمدوحه هشام، فكان لا بد من ذكر مَنْ يتمون الى الخليفة في حياته. خاصة، معاوية ابن هشام الذي قال فيه:

إِلَى مُعَاوِيَةَ الْمَنْصُورِ إِنْ لَمْ دِينًا وَثِقًا، وَقَلْبًا غَيْرَ حَيَّادٍ  
مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَا ارْتَدَّتْ بَصَائِرُهُمْ مِنْ خَوْفِ قَوْمٍ وَلَا صَمَوًا بِالْحَادِ

ويمضي على هذه السيرة في المدح، حتى يصل الى الغرض الذي يرجوه في كل قصيدة يرفعها الى ممدوحه، الا وهو العطاء الذي يقول فيه:

سِيرُوا فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُمْ غَيْثٌ مُغِيثٌ بَيْتٍ غَيْرِ مِجْحَادٍ<sup>(١)</sup>  
مَاذَا تَرَى فِي عِيَالٍ قَدْ بَرَمَتْ بِهِمْ لَمْ تُحْصَ عِدَّتُهُمْ إِلَّا بِعَدَادٍ  
كَانُوا ثَمَانِينَ أَوْ زَادُوا ثَمَانِيَةً لَوْلَا رَجَاؤُكَ قَدْ قُتِلَتْ أَوْلَادِي

ويخاطبه في قصيدة أخرى فيقول له:

يَا ابْنَ الْخَلِيفَةِ، يَا مُعَاوِيَةَ بْنَ أَبِي أَرْجُو فُضُولَكَ فَاتَّخِذْ عِنْدِي يَدًا  
إِنَّا لَنَأْمَلُ مِنْكَ سَيِّئًا عَاجِلًا يَا ابْنَ الْخَلِيفَةِ ثُمَّ نَرْجُوكُمْ غَدًا  
آبَاؤُكَ الْمُتَخَيِّرُونَ أَوْلَوْا النِّهْيَ يَا ابْنَ الْخَضَارِمِ يُتْرَعُونَ الْمُرْفَدًا<sup>(٢)</sup>

(١) المجاهد: القليل العطاء.

(٢) الخضارم: الأسباط الكرام، يترعون: يملأون، المرفد: الوعاء الضخم.

وَجَدُوا مُعَاوِيَةَ الْمُبَارَكَ عَزَمَهُ صَلَبَ الْقَنَاةِ عَنِ الْمَحَارِمِ مَذُودًا

والى جانب مدحه لمعاوية، فإنه مدح أبا شاعر مسلمة بن هشام  
في قصيدة يقول فيها:

وَوَجَدْتُ مَسْلَمَةَ الْكَرِيمِ نِجَارَهُ    مِثْلَ الْهَيْلَالِ أَغْرُ غَيْرَ بَهِيمِ  
أَتَتْ الْمُؤْتَلَّ وَالْمَرْجَى فَضْلُهُ    يَا ابْنَ الْخَلِيفَةِ، وَلَيْنَ أَمْ حَكِيمِ  
لَلْبَذْرِ وَلَيْنَ غَمَامَةِ رَيْعِي    أَصْبَحْتَ أَكْرَمَ طَائِعِي وَمُعِيمِ  
وَبَنَاتُ عَيْصِكُمْ لَهُ طِيبُ الشَّرَى    وَقَدِيمُ عَيْصِكَ كَانَ خَيْرَ قَدِيمِ

والى جانب هذا، مدح والى هشام على اليمامة والبحرين، المهاجر  
الكلابي ثم واليه على العراق خالد القسري. وهكذا كان في اتصاله  
بآخر أرباب السلطان الذين حرص على حسن علاقته بهم.

### جرير والشعراء:

تمرّس جرير بعدد من الشعراء، فكان يهاجي شعراء قومه وغيرهم  
من الشعراء. ومما قاله الأصمعي عن جرير والشعراء: «كان ينهشه  
ثلاثة وأربعون شاعراً فينبذهم وراء ظهره، ويومي بهم واحداً  
واحداً... وثبت له الفرزدق والأخطل»<sup>(١)</sup>. أمّا الثلاثة والأربعون،  
فقد ذكر منهم جرير، في حديثه للحجاج، عشرين فقط، وهم:  
غسان بن ذهيل السليطي، والبعيث المجاشعي، خدّاني بن بشر (...)  
- ١٣٤ هـ/... - ٧٥١ م/ وكلاهما من قومه. ثم الفرزدق،

(١) الأصمعي: أبو الفرج: علي بن الحسين: ج ٧ ص: ٨.

والأخطل، وعمر بن لجأ التيمي، وسراقة بن مرداس البارقي (... - ٧٩ هـ / ... - ٦٩٨ م) والمستنير بن سيرة العبدي المعروف بالبلغ، وعبيد ابن حصين (... - ٩٠ هـ / ... - ٧٠٩ م) المعروف براعي الإبل. وعباس بن يزيد الكندي، وجفنة الهزاني، والمزار بن منقذ، وحكيم ابن معة، وثور بن الأشهب بن رميلة النهشلي والدلمسي، وقبضة الكلب، وهيرة بن الصلت، والثلاثة الآخرون هم من بني ربيعة بن مالك، وعلقة والسرندي من بني الزباب، وعقبه بن السفيح الطهوي، وسحمة الأعور النبهاني<sup>(١)</sup> وقد كان بدء هجائه مع الفرزدق سنة (٦٦ هـ / ٦٨٥ م) بسبب حادث وقع بين البعيث والمجاشعي، وقد غذى هذا الحادث، بعض أفراد القبائل المتعادية، وزعماء الأحزاب وبعض الولاة والمتأدين، حتى أن سراقه بن مرداس دفع الى هجو جرير في سبيل ان يرد عليه. وعلى طريقة بشر، سار الحجاج أحيانا في اذكاء نار التحريش بين الفرزدق وجرير، حتى أمرهما يوماً بأن يدخل عليه بلباس أبائهما في الجاهلية، فكان ذلك سبباً لدفعة جديدة من الهجاء<sup>(٢)</sup> وهذان الشاعران المتهاجيان، رغم تنافرهما، كانا يأنفان أن يدخل بينهما من ليس كفواً. ومن أمثلة ذلك، أنه لما احتدم الهجاء بين جرير وعمر بن لجأ التيمي لقي الفرزدق عمر بن عطية أخا جرير فقال له: ويلك! قل لأخيك: «ثكلتك أمك! أنت التيمي» من عل كما أصنع أنا بك» وكالفرزدق قد أنف لجرير ان يتعلق به التيمي<sup>(٣)</sup> ومن الشعراء الذين عرض بهم مهدداً، ولم يهجمهم صراحة، الأحوص وذو الرمة، وعدي بن الرقاع

(١) المصدر نفسه: ج ٧ ص: ٤٢ - ٤٩.

(٢) المصدر نفسه: ج ٧ ص: ١٧ - ٢١.

(٣) المصدر نفسه ج ٧ ص: ٧١.

العامل، الذي لم يتخرج عن التهجم عليه في حضرة الوليد<sup>(١)</sup> وكان عقلاء تميم يتألمون لهذه المخازي ينشرها كبيراً شعرائهم، حتى إذا فاتهما شيء منها، تولّى نشره شعراء القبائل المعادية. وكثيراً ما ردّوا «والله ما شعراؤنا إلاّ بلاء علينا ينشرون مساوينا ويهجون أحياءنا وأمواتنا»<sup>(٢)</sup> وهكذا كان رأي أبي عبيدة، إذا سُئل عن الفرزدق وجري، فقال: «وهما بشس الشبخان! ما خلق الله أشأم منهما على قومهما. إنهما أخرجا مثالب بني تميم وعيوبهم، وكانا أعلم الناس بعيوب الناس»<sup>(٣)</sup> ولعلّ في هذا كله ما يلفتنا إلى أن اتصال جرير بسائر الشعراء، لم يغفل الصوت الذي يرتفع في مديح خلفاء بني أمية، بل في مديح كل من له صلة بهم، كما أنه ضمن قصائده، معاني إسلامية جديدة لم ترد على لسان من سبقه من الشعراء. ورغم الضجيج الذي أحدثته قصائده في هجائه، فقد بقي لجرير أصالة الشعر التي جمعتها مع كبار شعراء عصره.

(١) البستاني: فؤاد أفرام، الروائع رقم ٣٩ ص: ٣٤٣.

(٢) الأصمعي: أبو الفرج: علي بن الحسين: ج ٧ ص: ٧١.

(٣) المصدر نفسه ج ٧ ص: ٧٢.



## **الفصل الرابع**

### **اغراضه الشعرية**

- المدح
- الهجاء
- الرثاء
- الغزل
- الفخر
- الخصائص العامة





## أغراضه الشعرية

لقد اتضح لنا من خلال ما قدمناه كيف أنّ جريماً كان يولد المعاني والصور في أغراضه التي تصله بالخلقاء والامراء والوجهاء والولاة. وإن من الممكن على هذا القياس ان نصل الى أغراضه التي سنعرضها في بابها المعد لها حيث يجمع كل ما جاء داخل فكره المبدع، ضمن عقلية النيرة القادرة على توليد المعاني، وتوسيع طاقتها. وفي محاولتنا لاستعراض فنونه الشعرية ستجده على مستوى من الرقي العقلي الذي أحرزه، على ضوء ما كان يسمعه، من المناظرين والمتكلمين في مسائل الإيمان، وخلق الكون وحسن الجمال الذي سوى به الله الإنسان، والقضاء والقدر.... الخ وما رآه عند الشعراء من تثقيف الافكار وتوليدها وسبر أغوارها فذهب يطبق ذلك على أغراضه وينقلها لنا ضمن مناظرات بينه وبين شعراء عصره في قيس وتميم وكليب ودارم وتغلب وغيرها من القبائل، ويخضعها لكل الثروة العقلية التي لقفها من العلماء، وفي اثناء بحثهم ومحاوراتهم، ومداولاتهم، كما يخضعها لكل الظروف السياسية والاجتماعية التي ألمت بعصره. ولا نستطيع ان نستعرض اغراض الشعر، دون ان نذكر معه رفيقيه في المثلث الاموي الاخطل والفرزدق. وفي نصره سريعة

لاستعراض هذه الاغراض، قبل البدء بتحليلها، تبدو لنا المنزلة الرفيعة التي كان ينزلها الفرزدق وجريز في أذهان الناس خاصتهم وعلمتهم لهذا العصر فقد كان الخلفاء والولاة يجلونهما، وكذلك كان الناس من حولهما، لهذا التفوق الفني الذي رأوه فيهما. إذ نهضا بفن الهجاء ذلك النهوض الكبير، واستطاعا ان يحققا له استقلالاً واكتمالاً لم يحققه شاعر من قبلهما ولا من بعدهما، فركبا قصائده ذلك التركيب الذي نطالعه في النقائض، حيث استخرجنا فيه كثيراً من الافكار والمعاني، فتنوعت صور الهجاء وطرقه تنوعاً شديداً. وكان كل من يحاول الوقوف معهما في هذا الميدان، يسقط الى الابد ولم يثبت معهما فيه سوى الاخطل، ولذلك كان بعده النقاد ثالث الثلاثة الممتازين في العراق، بل في العالم العربي كله، حيث<sup>(١)</sup>.

وإذا اخذنا نقارن بين الاخطل وجريز في نقائضهما لنرى أيهما يتفوق على صاحبه، وجدناهما يتهاجيان، بعناصر قديمة من الايام والامجاد الجاهلية، وعناصر جديدة يستمدانها من العصر والسياسة. والأخطل من هذه الناحية، لا يتصل بالعناصر الاسلامية مباشرة ولكنها تتسرب اليه، فهو حين يمدح عبد الملك مثلاً لا يفكر في مدحه بالتقوى وقراءة القرآن الكريم على نحو ما يصنع جريز، وهو لا يمدُّ أطناب المسألة الى نزعة اموية تقبل النزعة الشيعية، على النحو ما عند جريز. ومع هذا تتسرب اليه بعض العناصر، فيصف عبد الملك بأنه خليفة الله. او يصفه بأنه إمام المسلمين ونحو ذلك. والعقل الدائب الذي شاهدناه عند جريز في توليد المعاني وتجديدها، نجده عند الاخطل، وان كنا نلاحظ أنَّ عقل جريز كان أكثر توليداً.

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الاموي ص: ٢٠٢.

وكان جرير يتصدر للأخطل من جانب آخر يحاول ان يشد على خناقه منه، وهو جانب مسيحيته، وقد لعب هذا الجانب دوراً بعيداً في نقائص جرير مع الاخطل وكان هو نفسه يمتدح به. فالرواة يحدّثون عنه انه قال: ارعنت على الاخطل، بكفره<sup>(١)</sup> وكان معاصروه يشعرون بذلك. فقد روى الرواة عن عمر بن عبد العزيز انه قال: «ان الاخطل ضيق عليه كفره القول. وإن جريراً وسع عليه اسلامه قوله»<sup>(٢)</sup> واذا رجعنا الى جرير والفرزدق في ديوانيهما، لنوازن بين شاعرتيهما، نجد جريراً في ديوانه اشعر من صاحبه. وكان جريراً كان يسقط او يضعف امام الفرزدق في المناظرات لعوامل نفسية طارئة، فإذا فصل عن هذه العوامل واصبح حراً استعاد كل مقدرته، واصبح اشعر من صاحبه<sup>(٣)</sup> وقد حاول النقاد أن يحكموا بينهما ووسعوا الحكم الى الاخطل، فذهبوا الى أن الفرزدق يتفوق في الفخر بينما يتفوق الاخطل في المدح ونعت الخمر، أما جرير فاعطوه سبق في المهجاء والغزل والرثاء<sup>(٤)</sup> وقد تقدم الاخطل صاحبيه في نعت الخمر لا لانهما اجريا معه فيه، وسبقهما ولكن لأنه انفرد به. أما المقارنة في المدح، فينبغي ان تكون بين الاخطل وجرير، واذا ذهبنا نقارن بينهما، وجدنا الاخطل يتوّع في مديحه، ولكن تنويحه ينصب في اكثره على الافادة من العناصر القديمة، فهو يمدح بالخصال

(١) الأصماني: ابو الفرج: علي بن الحسين. الاغانى (طبع دار الكتب) ج ٨، ص:

٢٩٩.

(٢) المصدر نفسه ج: ٨، ص: ٣٠٦.

(٣) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الاموي: ص: ٢٠٦.

(٤) الأصماني: ابو الفرج: علي بن الحسين. الاغانى (طبع دار الكتب) ج ٨، ص:

٣٨.

المعروفة عن العرب من كرم وشجاعة ووفاء ومروءة وحلم وصبر على المكروه، ويقف في أكثر مديحه عند ذلك أمّا جرير، فإنه يفيد في مديحه من العناصر الإسلامية الجديدة فيخلع على الخلفاء والولاة صفات دينية كثيرة من اقامة العدل بين الناس، ومن عصيان داعي الهوى والاهتداء بالكتاب والسنة واقامة الفرائض والحدود. وقد تحول الجزء الاكبر من مديحه في الخلفاء الى دفاع حار عن دعوة الامويين وتفضيل حزبهم على الحزب الشيعي وغيره من الاحزاب، وذهب يسبغ عليهم، كل ما يسبغه الشيعة على ائمتهم من خصال وصفات. فإذا نظرنا الى معاني المدح وصلتها بالدين الاسلامي الجديد، قلنا جريراً على الاخطل، واذا نظرنا الى الصياغة وجزالتها ومحاولة استفاد المعاني والصور القديمة والتوليد فيها، قلنا الاخطل على جرير، كما حكم بذلك النقاد<sup>(١)</sup> وكان الفرزدق يمتنع لون وجهه حين يقول له قائل: ان جريراً انشد اليوم في المريد قصيدة<sup>(٢)</sup> وشأن جرير في الغزل، شأنه في الهجاء، كان يسبق صاحبيه سبقاً لا يدع مجالاً للشك والريب. فقد شهد به معاصروه، وشهد به نقاد العصور التالية. ويلاحظ ذلك في وضوح من يرجع الى ديوانه وديوان صاحبيه. وربما كان تخلف الاخطل في الغزل، راجعاً الى انه كان متكلفاً في شعره يسعى به الى الصورة التي نعهد لها عند شعراء الجاهلية من اقتتال زهير والنابعة. ومن اهم ما يحتاج اليه الغزل ان يكون طبعياً صادراً عن شعور حقيقي، لا عن تكلف وافتعال، وهذا ما نلمسه عند جرير. والفرزدق - أيضاً - لم ينجح في هذا الفن،

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الاموي: ص: ٢٠٩.

(٢) ابن سلام الجعفي: محمد طبقات الشعراء. تقدم الاستاذ عبد الحميد فايد بيروت. ص: ٨٦.

لأن نفسه كانت غليظة، ولم تكن رقيقة. فقد كانت خشنة جافة، لم تطيع على شيء من اللين، إنما طبع على القسوة والتمرد وعدم الخضوع والاستكانة<sup>(١)</sup> ولذلك فقد تقدم جرير إذ كانت نفسه لينة حقاً، صافية حقاً، وقد جاءه ذلك من أنه كان متديناً، يذوب في الاسلام فصفى الاسلام جوهر نفسه. وأعد له لين في هذا الفن، ويتفوق على زميله الذي كان يرتبط بالعادات والطباع الجاهلية. واتفق مع ذلك ان جريراً كان من اسرة فقيرة، بينما كان الفرزدق من اسرة شريفة، فكان ذلك سبباً لأن يشعر جرير في اعماقه بشيء من الحزن. فليس ما يتهج به في الآباء، وإنما له ما يؤذيه، وما يشعر معه بالقصور والحزن. وكل ذلك هياً جريراً لأن يتقدم صاحبه في هذا الفن الرقيق من فنون شعره، واستمع الى قوله في بعض غزله<sup>(٢)</sup>:  
 إِنَّ الَّذِينَ غَدَوْا بِلَبِّكَ غَادَرُوا وَشَدَّاءَ بَعِينِكَ مَا يَزَالُ مَعِينَا

غَيْضُنْ مِنْ غَيْرَاتِهِنَّ وَقُلْنَ لِي مَاذَا لَقِيتَ مِنَ الْهَوَىٰ وَلَقِينَا  
 ويتبين لنا بوضوح ما تضمنه البيان من بكاء ودموع، وهما يصدران من نفس يشوبها غير قليل من الحزن. والغزل لا يقف بجرير الى هذا اللون الرقيق، فحسب، بل يتعداه الى شغافية عميقة الرقة حين يقول<sup>(٣)</sup>:

إِنَّ الْعُيُونَ أَلْتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ

قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنَ قَتْلَانَا

(١) ضيف: شوقي التطور والتجديد في الشعر الاموي: ص: ٢١٠.

(٢) الأصمعي: أبو الفرج: علي بن الحسين: الاغانى: ج ٨، ص: ٥٩.

(٣) المصدر نفسه: ج ٨، ص: ٣٩.

يَصْرَعْنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ

وَهُنَّ أضعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أركاننا

اتَّبَعْتُهُمْ مُقَلَّةً إِنْسَانُهَا غَرِقَ

هَلْ مَا تَرَى تَارِكٌ لِلْعَيْنِ إِنْسَانًا

وتلمح صفاء المعاني في وجدانيته المتلونة بعاطفته الجياشة المجبولة  
بمسحة من حزن، يبدو - دائماً - من خلاها شاكياً في غرله،  
متمادياً في الرقة من فرط حساسية مشاعره. وما دما نبحت عن  
مكانه الصحيح، في سير أغراضه، وفنونه الشعرية، فلا بد لنا من  
ذكر فن الرثاء الذي احرز من خلاله تفوقاً ظاهراً على صاحبيه، سببه  
وفرة الشعور في معانيه، وصدق الاحساس في معطياته الفكرية، وإذا  
اضفنا الى ذلك نفسه المهزونة، كان ذلك عاملاً آخر في احسانه  
والبراعة فيه<sup>(١)</sup> وقد سبق وقلنا ان التكلف كان يطنى على شعر  
الاخلطل، ولا يصدر فيه عن طبع ولا ما يشبه الطبع، وأن الفرزدق  
كان فيه خشونة، وميل الى الصلابة كونه غليظاً جافياً، فيبقى لنا إذاً،  
رقة جرير وشغافية عاطفته المتأتية من بؤس اسرته التي طبعت نفسه  
بطابع مفرق في الحزن يقول فيه عند رثاء زوجه أم خزرة:

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَيْتَنِي اسْتَعْبَارُ      وَلَزُرْتُ قَبْرَكَ وَالْحَيْبُ يُزَارُ  
وَلَهْتِ قَلْبِي إِذْ عَلَتْنِي كِبَرَةٌ      وَذَوُّ التَّمَائِمِ مِنْ يَنْبَلِكُ صِغَارُ  
وَلَقَدْ أَرَاكَ كُسَيْتَ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ      وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةً وَوَقَارُ  
صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيَّرُوا      وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ وَالْأَهْرَارُ

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الاموي: ص: ٢١٣.

لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاءُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا لَيْلٌ يَكِيرُ عَلَيْهِمْ وَتَهَارُ

ونحن نلمس في كل لفظة من لفظات هذا الرثاء، شدة الحزن والأسى التي تفيض من تعابيرهِ المتعانة لفقد زوجه التي كان بالأسى يتغزل فيها غزلاً عذباً، وإذا به اليوم يفقدها فتتهيج اشجانه بهذا الرثاء المكبوت الحار ؟ ولا يعزز صورة الرثاء المتفوق على كل من عداه الا حين نلاحظ شعره في رثاء ابنه سواده الذي يقول فيه:

قَالُوا نَصِيبُكَ مِنْ أَجْرِ فَقُلْتُ لَهُمْ كَيْفَ الْعَرَاءُ وَقَدْ فَارَقْتُ أَشْبَالِي  
وَدُعِيتِي حِينَ كَفَّ الدُّهُرُ مِنْ بَصَرِي وَحِينَ صِرْتُ كَعَظَمِ الرُّمَّةِ الْبَالِي

ونلمح في كل لفظة من لفظات هذين البيتين، نفسه المتساقطة على فلذة كبده وسويداء فؤاده فهو ينوح عليه نواحاً لا ينقطع ويُعزِّيه الناس، ويذكرونه ثواب الصبر فلا يزيده ذلك إلا نواحاً وحزناً<sup>(١)</sup> ويختلف الأمر تماماً عند الفرزدق الذي لم تكن نفسه مفطورة على الحزن الذي طبع به شعر جرير، ومما يروى عنه أنه حين توفيت زوجه النوار لم يجد الناحة شعراً له ينوحون به عليها، فناحوا بشعر جرير السابق في رثاء زوجه<sup>(٢)</sup> وهكذا، فإن شعر جرير كان أكثر سيرورة وانتشاراً من شعر صاحبيه، وكان أقرب إلى نفوس معاصريه. إذ اندمج بأغراضه كلها في الحياة الجديدة. وكان طبيعياً أن تصبح أساليبه أكثر ذيوعاً، وأكثر إلفة للناس.

المدح:

كان جرير في مديحه شأن شعراء عصره، يتخذة وسيلة إلى

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ٢١٣.

(٢) الرزباني: محمد بن عمران بن سوس: أبو عبد الله (٢٩٧ - ٣٨٤ هـ / ٩١٠

- ٩٩٤ م). الموشح. ط. دار النهضة. مصر. القاهرة: ص: ١١٦.



التكسب. وحين نذكر التكسب، لا نستطيع أن نجزم بوجود إخلاص ووفاء ووجدانية، رغم ما عرف عن جرير من عاطفة فياضة بالرفقة، وشدة التأثر. ولما كان الأمويون أول من تسلّم الحكم، بعد الخلفاء الراشدين. ولما كان المال متوفراً لديهم، وهو كثير بين أيديهم، فقد مال نحوهم متكسباً. وأول من وفّد عليه، هو، يزيد بن معاوية، وكان خليفة، وجرير حدث فانشده:

إني لعفّ الفقير مشترك الغنى سريع إذا لم أرض داري أنتاليا

وقد شكّ يزيد في أن يكون البيت لقائله، وكان لم يتعرف على جرير بعد، فقال: كذبت، ذاك جرير. فانتفض جرير هلعاً وقال: أنا جرير. والله فارق أمير المؤمنين معاوية الدنيا وهو يرى أن هذا البيت لي<sup>(١)</sup> وقد غالى جرير في مدح بني أمية أملاً في كسب ودّهم ورضاهم، والوصول إلى جزيل نوالهم. وبعد أن انتصر الخليفة عبد الملك بن مروان، على اتباع ابن الزبير، ووطّد الحجاج الأمن في العراق. أخذ جرير يتزلف إلى الأمويين، فمدح الحجاج أولاً في قصيدة قال فيها مبتدئاً بالغزل التقليدي الذي يقول فيه:

هَاجَ الْهَوَى لِفُؤَادِكَ الْمُهْتَاجِ فَانْظُرْ بِتَوْضُّعٍ بَاكِرُ الْأُخْدَاجِ<sup>(٢)</sup>

هَذَا هَوَى شَخَفَ الْفُؤَادِ مَبْرُوحٍ وَنَوَى تَقَاذِفَ غَيْرِ ذَاتِ خِلَاجِ<sup>(٣)</sup>

إِنَّ الْغُرَابَ بِمَا كَرِهَتْ لَمْ تَوْسِعْ بِنُورِ الْأَحِبَّةِ دَائِمُ التُّشْحَاجِ<sup>(٤)</sup>

(١) أبو سلام الجمحي: أبو عبد الله، محمد طيقات الشعراء: ص: ١٣٢.

(٢) توضّح: موضع بلاد بني مروان. باكر الأخداج: فاعل حاج.

(٣) سَفَفَ وَسَقَفَ: بلغ غلاف القلب. الخلاج: الشك.

(٤) التُّشْحَاج: صوت الغراب.

- كَيْتَ الْغُرَابِ غَدَاةً يَنْسَبُ بِالنَّوَى      كَانَ الْغُرَابُ مَقْطَعُ الْأُودَاجِ<sup>(١)</sup>
- وَلَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ سِرِّكَ عِنْدَنَا،      بَيْنَ الْجَوَانِحِ، مُوتِقُ الْأَشْرَاجِ<sup>(٢)</sup>
- وَلَقَدْ رَمَيْتُكَ، حِينَ رُحْتَ بِأَغْيُنٍ      يَنْظُرُونَ مِنْ خَلَلِ السُّتُورِ سَوَاجِي<sup>(٣)</sup>
- وَبِمَنْطِقِي شَغَفَ الْفُؤَادَ كَأَنَّهُ      عَسَلٌ يَجُودُ بِهِ بِغَيْرِ مِزَاجِ!
- قُلْ لِلْجَبَانِ، وَإِذَا تَأَخَّرَ سِرُّهُ:      هَلْ أَنْتَ مِنْ شَرِكِ الْمَيْتَةِ نَاجِي؟<sup>(٤)</sup>
- ثم انتقل من هذا البيت الأخير إلى مدح الحجاج بالصولة والغيرة على النساء، ومنع الرشوة، والانتصار على المشاغبين، ثم يتابع قائلاً:
- فَتَعْلَقُنْ بِنَاتِ نَعْرِ هَارِباً      أَوْ بِالْبُحُورِ وَشَدَّةِ الْأُمُوجِ!
- مَنْ سَدَّ مُطْلِعَ النِّفَاقِ عَلَيْكُمْ؟      أَمْ مَنْ يَصُولُ كَصَوْلَةِ الْحَجَّاجِ
- أَمْ مَنْ يَغَارُ عَلَى النَّسَاءِ حَفِيزَةً      إِذْ لَا يَتَّقَنَ بِغَيْرَةِ الْأَزْوَاجِ<sup>(٥)</sup>
- إِنَّ ابْنَ يُوسُفَ - فَاعْلَمُوا وَتَيَقَّنُوا -      مَاضِيَ الْبَصِيرَةِ وَاضِحَ الْمِنْهَاجِ<sup>(٦)</sup>
- مَاضٍ عَلَى الْغَمَرَاتِ، يُعْضِي هَمَّهُ،      وَاللَّيْلُ مُخْتَلِفُ الطَّرَائِفِ، دَاجِي
- مَنْعَ الرُّشَاءِ، وَارَاكُمُ سُبُلَ الْهُدَى      وَاللَّصْرَ نَكْلَهُ عَنِ الْإِدْلَاجِ<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) الأوداج: جمع الودج: عرق الأخدج في العنف.
- (٢) الأشراج: جمع الشروج: العروة: الرُّوْلُط والعري.
- (٣) سواجي: جمع ساجية: فاترة.
- (٤) تأخر سرجه: إشارة إلى أن الخوف أعجله عن شد حزامه.
- (٥) الحفيظة: اسم من المحافظة والحفاظ للذب عن المحارم والنوع لها. والحفيظة: الغضب والحمية في الشيء الذي ينبغي أن يحفظ.
- (٦) المنهاج: السبيل.
- (٧) نكله: أصله بتأديب يمتنر غيره. الإدلاج مصدر أدلج: سار في الليل، أراد-

فاستوسقوا و تبيّنوا سبيل الهدى و دَعُوا النّجى فليس حين تناجي<sup>(١)</sup>  
يا ربُّ ناكثٍ يبتغي تركه، و خضابٍ لحيتِه دُمّ الأوداج!<sup>(٢)</sup>  
إنّ العدوّ، إذا رموك رميتهم بذرى عمائة أو بغيره سواج<sup>(٣)</sup>  
و إذا رأيت منافقين تحيروا سبيل الضّجاج أقمت كلّ ضجاج<sup>(٤)</sup>  
داويتهم و شفيتهم من فتنه عبّاء ذات دواجن و إجاج<sup>(٥)</sup>  
إني لمرتقب لما خوفتني

و لفضل سيك يا ابن يوسف راجي<sup>(٦)</sup>

و لقد كسرت سنان كلّ منافق

و لقد منعت حقائب الحجاج<sup>(٧)</sup>

وبعد هذه المديحة التي وصلت أصدائها إلى أذني عبد الملك بن مروان، والتي غبط الحجاج بجمال الصفات التي أعزقها عليه، كان لا بد لعبد الملك من أن يرضي سيده الخليفة، ويشيع كبرياء بإرسال جرير إليه. وهكذا كان، فقد انتظر حلول أحد المواسم، وبعث بجرير

= به السّمي ليلاً للسرقة.

(١) استوسقوا: استقيموا. النّجى: تُراد به الثّامر بالسّر.

(٢) يبتغي: يقصد بهما: بيعة الخليفة، وبيعة الحجاج.

(٣) عمائة وسواج: جبلان.

(٤) الضّجاج: السّحب، الجَليلة، وتأتي بمعنى: باطل.

(٥) الدّواجن: من الدّخن: الفساد. الاجاج: جمع الأجنة: شدة.

(٦) سيك: عطاؤك.

(٧) حقائب الحجاج: يقصد أن الحجاج منع اللصوص من سرقة الحجاج.

إلى الخليفة. فرجا الشاعر عبد الملك أن يأذن له بالإنشاد. ففضل الخليفة وأذن له. فمدحه جرير بقصيدة يدأها بالتشكي من الشيب وذكر السفر حيث يقول:

أَتَصْحُوا بَلَّ فَوَادِكَ غَيْرُ صَاحٍ، عَشْبَةٌ هُمْ صَحْبُكَ بِالرُّوَّاحِ (١)  
 يَقُولُ الْعَاذِلَاتُ: عَلَكَ شَيْبٌ أَهَذَا الشَّيْبُ يَمْنَعُنِي مِرَاحِي؟  
 يُكَلِّفُنِي فُؤَادِي، مِنْ هَوَاهُ، ظِعَائِنَ يَجْتَرِّعْنَ عَلَى رُمَاحِ (٢)  
 ظِعَائِنَ لَمْ يَدْنِ مَعَ النَّصَارَى وَلَا يَذَرْنَ مَا سَمَكَ الْقِرَاحِ (٣)  
 فَبَعْضُ الْمَاءِ مَاءُ رَبَابٍ مُزْنٍ؛ وَبَعْضُ الْمَاءِ مِنْ سَيْخٍ مِلَاحِ (٤)  
 سَبَّكَفِكَ الْعَوَازِلُ أَرْحِيْنِي هِجَانُ اللَّوْنِ كَالْفَرْدِ اللَّيَاحِ (٥)  
 يَعْزُّ عَلَى الطَّرِيقِ بِمَنْكِبَيْهِ كَمَا لَبَّرَكَ الْخَلِيعُ عَلَى الْقِدَاحِ (٦)

- 
- (١) كان عبد الملك واجداً على جرير. فلما سمعه ينشد وأتصحوا بل فوادك غير صاحاه قال: هبل فوادك، يا ابن الفاعلة... وظل غاضباً حتى وصل الشاعر إلى قوله: والسنم خير من ركب المطايا فسري عن عبد الملك.
- (٢) الظعائن: جمع الظعينة: الهودج، ما دلمت المرأة فيه. يجترعن: يقطعن. رُمَاح: اسم موضع.
- (٣) القراح: قرية بين النهرين. بقوله: لهن بدويات بعيدات عن مساكن التغلبين النصارى وفي البيت تعريض بالأخطل.
- (٤) الرباب: السجل الأبيض. وأحدثه ربابه. السخفة: أرض ذات قرٍ وملح. ملاح: جمع ملح: صفة المالح. يقال: ماء ملح: أي ليس بعذب. يضي: فضل البدويات على الحضريات كفضل ماء المزن على الماء المالح.
- (٥) أرحني نسبة إلى الرحب: اسم فحل. للمجان: الأبيض. الفرد: التفرد. اللياح: الأبيض من كل شيء الثور الأبيض الوحشي.
- (٦) الخليع: الملازم للقمار. القداح: جمع القدح: سهم المسير.

تَعَزَّتْ أُمُّ حَزْرَةَ ثُمَّ قَالَتْ رَأَيْتُ الْوَارِدِينَ ذَوِي أَمْتِيح<sup>(١)</sup>

و ابتداءً من البيت الأخير، يبدأ بالإشارة إلى فقره يذكر أم حزره وهي تشير إلى عطاء الخليفة. كما يذكر حاجته إلى كرم الخليفة حيث يقول:

تُعَلِّلُ وَهِيَ سَاغِبَةٌ، بَنِيهَا      بَأْتِاسٍ مِنَ الشِّبْرِ الْقَرَّاحِ<sup>(٢)</sup>  
سَأَمْتِاحَ الْبُحُورِ فَجَنِّيْنِي      أَذَاةَ اللَّوْمِ، وَانْتَظِرِي امْتِيَا حِي<sup>(٣)</sup>  
ثِقِي بِاللَّهِ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ      وَمِنْ عِنْدِ الْخَلِيفَةِ، بِالنَّجَاحِ  
أَغْنِنِي، يَا فَدَاكَ أَبِي وَأُمِّي      بِسَبِّ مَنْكَ، إِنَّكَ ذُو ارْتِيَا حِ  
فِيَأْتِي قَدْ رَأَيْتُ عَلِيَّ حَقًّا      زِيَارَتِي الْخَلِيفَةَ، وَأَمْتِدَا حِي  
سَأَشْكُرُ أَنْ رَدَّدْتَ عَلَيَّ رِيْشِي      وَأَتَيْتُ الْقَوَادِمَ فِي جَنَاحِي<sup>(٤)</sup>

وهنا ينتهي توسله إلى الخليفة كيما يمن عليه بالعطاء، ثم يبدأ بمدح الخليفة، ونعتة ونعت الأمويين بالكرم والبطش حيث يقول:

أَلَسْتُمْ خَيْرَ مَنْ رَكِبَ الْمَطَايَا      وَأَنْتَدَى الْعَالَمِينَ بَطُونَ رَا حِ<sup>(٥)</sup>  
وَقَوْمَ قَدْ سَمَوْتَ لَهُمْ، فَدَانُوا      بِدُهُمٍ فِي مُلْمَلَمَةٍ رَدَا حِ<sup>(٦)</sup>

(١) أم حزره: امرأة جريو. إمتح الرجل: اخذ العطاء.

(٢) ساغبة: جالعة. الشبم: البارد من الماء. القراح: الماء الخالص.

(٣) امتاح الماء: اغترفه.

(٤) القوادم: الريش الكبير من الطائر.

(٥) أندى: أكرم. الراح: جمع الراحة: الكف.

(٦) المللمة: المجموع ببعضها إلى بعض. الرдах: الكمية الثقيلة الجبرارة.

أُنْحَتَ جَمِي تِهَامَةٌ بَعْدَ نَجْدٍ وَمَا شَيْءٌ حَمِيَتْ بِمُسْتَبَاحٍ  
لَكَمْ شُمُ الْجِبَالِ مِنْ الرُّوَاسِيِ وَأَعْظَمَ سَيْلٌ مُتَمَلِّجٌ الْبَطَاحُ <sup>(١)</sup>  
دَعَوْتَ الْمُتَلَحِّدِينَ، أُبَا خُبَيْبٍ جِمَاحًا، هَلْ شَفِيتَ مِنَ الْجِمَاحِ <sup>(٢)</sup>  
لَقَدْ وَجَدُوا الْخَلِيفَةَ هَبْرَزِيًّا أَلْفَ الْعِيصِ، لَيْسَ مِنَ النَّوَاحِي <sup>(٣)</sup>  
فَمَا شَجَرَاتُ عَيْصِكَ فِي قُورَمَشٍ بِعِثَاتِ الْفُرُوعِ، وَلَا ضَوَاحِي <sup>(٤)</sup>  
رَأْسِ النَّاسِ الْبَصِيرَةَ فَاسْتَفَاقُوا وَبَنَيْتَ الْمَرَاضُ مِنَ الصَّحَاحِ <sup>(٥)</sup>

وهذه قصيدة أخرى يمدح فيها الحجاج بن يوسف الثقفي، ويذكر في مديحته شيئين لهما أثر فعّال في بسط سلطة الدولة الأموية، الأثر الأول: إن الحجاج استطاع بدهائه و مقدرته، ان يجتث دابر المشاغبين، الذين أقضوا مضجع السلطة، ويجعلهم يستكينون إلى الخوف الذي ملأ قلوبهم رعباً و فرعاً، وكلهم يخشون بطش الحجاج الذي لا يرحم، و سيفه المتكفل بكلّ خارج على القانون. أمّا الأثر الثاني: فهو وصف السفينة، الذي أورده في مديحته هذه، وقد اتت على الشك التالي:

شَفِيتَ بَعْدَ ذِكْرَتِهِ الْمَنَازِلُ وَكِدْتَ تَنَاسِي الْحِلْمَ وَالشِّبَّ شَامِلُ

- 
- (١) احتلج الرمل: اجتمع، تكف.  
(٢) أبو خبيب: عبد الله بن الزبير. وهنا يخاطبه، ويشت به في تكساره. الجمّاح: الخلاف.  
(٣) هبرزي: الذهب الخالص. العيص: منبت خيار الشجر، الأصل.  
(٤) العشة: الشجرة اللينة المنبت. عتات الفروع: دقيقات الفروع. الضواحي: جمع ضاحية: الناحية البارزة من كل شيء. فالشجرات الضواحي: البادية الميدان ولا ورق عليها.  
(٥) بنيت المراض من الصحاح: بنيت المريض من الصحاح: غير المريض.

لَعَمْرُكَ لَا أَنْسَى لَيْسَالِي مَنَعَجٍ وَلَا عَاقِلًا إِذْ مَنَزِلُ الْحَيِّ عَاقِلُ  
وَمَا فِي مُبَاحَاتِ الْحَدِيثِ لَنَا هَوًى وَلَكِنْ هَوَانَا الْمُتَنَفِّسَاتُ الْعَقَائِلُ  
أَلَا حَبِذَا أَيَّامٌ يَحْتَلُّ أَهْلُنَا بِذَاتِ الْغَضَا وَالْحَيِّ فِي الدَّارِ آهِلُ<sup>(١)</sup>  
وَإِذْ نَحْنُ آلَافٌ لَدَى كُلِّ مَنْزِلٍ وَلَمَّا تُفَرَّقِ لِسُلْطَاتِ الْجَمَائِلِ<sup>(٢)</sup>  
وَإِذْ نَحْنُ لَمْ يُولُغْ بَنَا النَّاسُ كُلَّهُمْ وَمَا تَرْتَجِي صَرْمَ الْخَلِيطِ الْعَوَائِلُ  
خَلِيلِيْ مَهْلًا لَا تَلُومَا، فَتَهُ عَذَابٌ إِذَا لَامَ الصَّدِيقُ الْمَوَاصِلُ  
عَجِبْتُ لِهَذَا الزَّائِرِ الرُّكْبِ مُوَهِنًا وَمِنْ دُونِهِ يَبْدُ الْمَلَا وَالْمَنَاهِلُ<sup>(٣)</sup>  
أَقَامَ قَلِيلًا، ثُمَّ بَاحَ بِحَاجَةٍ إِلَيْنَا وَذَمَعَ الْعَيْنَ بِالمَاءِ وَاشْتِيلُ<sup>(٤)</sup>  
وَأَتَى اهْتَدَى لِلرُّكْبِ فِي مُذْلَهَمَةٍ تُوَاعِيسُ بِالرُّكْبَانِ فِيهَا الرُّوَاحِلُ<sup>(٥)</sup>  
أَنَاحُوا قَلِيلًا ثُمَّ هَاجُوا قَلَائِصًا كَمَا هِجَ خَيْطُ مَغْرِبِ الشَّمْسِ جَافِلُ  
وَأَمِّي مَزَارٍ زُرْتُ حَرْفَ شَيْلَةٍ وَطَاوِي الْحَشَا مُسْتَنَاسُ الْقَفَرِ نَاحِلُ<sup>(٦)</sup>  
وَلَوْ لَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَتَهُ إِنَامٌ وَعَدْلٌ، لِلْبَرِيَّةِ، فَاصِلُ  
وَسَطُ يَدِ الْحَجَّاجِ بِالسِّفْرِ لَمْ تَكُنْ سَبِيلُ جِهَادٍ وَاسْتَيْحَ الْخَلَائِلُ

(١) ذات الغضا: إسم موضع.

(٢) الطيات: النوايا. الجمائل: الإبل.

(٣) موهنا: ضعفاً.

(٤) واشل: قاطر.

(٥) المدهمة: الشديدة السواد تواعس، اصلها واعست أي مدت اخافها وسارت سريعاً.

(٦) حرف شملة: الناقة الضعيفة والسريرة.

إِذَا خَافَ ذَرْأاً مِنْ عَدُوٍّ رَمَى بِهِ      شَدِيدُ الْقُوَى وَالنَّزْعُ فِي الْقَوْسِ نَابِلُ  
 خَلِيفَةُ عَدْلٍ، ثَبَتَ اللَّهُ مُلْكُهُ      عَلَى رَاسَاتٍ لَمْ تُزَلَّهَا الزَّلَازِلُ  
 دَعُوا الْجَبْنَ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا      يُبَاسِحُ وَيُشْتَرَى سَبْيُ مَنْ لَا يُغَاثِلُ  
 لَقَدْ جَرَّدَ الْحُجَّاجُ بِالْحَقِّ سَيْفَهُ      لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَا يَمِيلُنَّ مَائِلٌ<sup>(١)</sup>  
 فَمَا يَسْتَوِي دَاعِي الضَّلَالَةِ وَالْهُدَى      وَلَا حُجَّةُ الْخَصْمَيْنِ حَقٌّ وَبَاطِلُ  
 وَأَصْبَحَ كَالْبَارِزِ يُقَلِّبُ طَرْفَهُ      عَلَى مَرْبَا وَالطَّيْرُ مِنْهُ دَوَاحِلٌ<sup>(٢)</sup>  
 وَخَافُوكَ حَتَّى الْقَوْمُ تَنَزُّ قُلُوبُهُمْ      نُزَاءَ الْقَطَا تَفَتْ عَلَيْهِ الْحَبَائِلُ<sup>(٣)</sup>  
 وَمَا زِلْتَ حَتَّى أَسْهَلْتَ، مِنْ مَخَافَةٍ      إِلَيْكَ اللُّوَاتِي فِي الشُّعُوفِ الْعَوَاقِلُ<sup>(٤)</sup>  
 وَثَنَانٍ فِي الْحُجَّاجِ لَا تَرَكَ ظَالِمٌ      سَوِيًّا، وَلَا عِنْدَ الْمُرَاشَةِ نَائِلٌ<sup>(٥)</sup>  
 وَمَنْ غُلَّ مَالَ اللَّهِ غُلَّتْ يَمِينُهُ      إِذَا قِيلَ: أَذُوا لَا يَغْلُنَ عَامِلُ!  
 وَمَا نَفَعَ الْمُسْتَعْمِلِينَ غُلُّو لَهُمْ،      وَمَا نَفَعَتْ أَهْلَ الْعُصَاةِ الْجَمَائِلُ  
 قَلِمْتَ عَلَى أَهْلِ الْعِرَاقِ وَمَنْهُمْ      مُخَالِفُ دِينِ الْمُسْلِمِينَ وَخَاذِلُ  
 فَكُنْتُ لِمَنْ لَا يَتْرَى الدِّينُ قَلْبُهُ      شِفَاءً، وَخَفَ الْمُذْهَبُ الْمُتَاقِلُ

(١) لكم: يخاطب أهل العراق.

(٢) الربا: المرتفع يقف عليه المراقب. دواحل: أي تدخل الدحل مسترة وفي رواية أخرى: دواحل.

(٣) تنزروا قلوبهم: تضطرب، ترتجف. القطا، أو القطة: طائر في جحر الحمام.

(٤) أسهلت: نزلت إلى السهل، الشعوف: جمع الشففة: أعلى الجبل. العواقل: جمع عاقل: الوعل المستعجّل المتحرّز في أعلى الجبل.

(٥) المرشاة: المصلحة، من الرشوة: إعطاء المال للطلال حق أو إحقاق باطل. النائل: العطيّة.



وَأَصْبَحَتْ تَرْضَى كُلَّ حُكْمٍ حَكَمْتَهُ زَارًا، وَتُعْطِي مَا سَأَلَتْ الْمَقَاوِلُ  
صَبَّحَتْ عُمَانَ الْخَيْلِ رَهْوًا كَأَنَّمَا قَطَا هَاجَ مِنْ فَوْقِ السَّمَاءِ نَاهِلٌ<sup>(١)</sup>  
يُسْنَاهِينَ غَيْطَانَ الرِّفَاقِ، وَتَرْتَدِي نِقَالًا، إِذَا مَا اسْتَعْرَضَهَا الْجَرَاوِلُ<sup>(٢)</sup>  
وبعد أن يسترسل جرير في وصفه الهيبة المخيفة لأهل الشر التي  
يتمتع بها الحجاج، ويذكر ما فعله بمن شق عصا الطاعة على الدولة،  
وكيف جعله يذعن للسلطة ذليلاً مدحوراً، يستطرد الى ذكر السفينة  
في شعره، ليأتي بها تشبيهاً متمثلاً لواقعه فيقول:

سَلَكْتَ لِأَهْلِ الْبِرِّ بَرًّا فَلَيْتَهُمْ وَفِي الْيَمِّ يَأْتُمُ السَّيْفُ الْجَوَافِلُ<sup>(٣)</sup>  
تَرَى كُلُّ مِرْزَابٍ يُضْمَنُ بَهْوَهَا ثَمَانِينَ أَلْفًا، زَاهِلَتِهَا الْمَنَازِلُ<sup>(٤)</sup>  
جَفُولٍ تَرَى الْمِسْمَارَ فِيهَا كَأَنَّهُ إِذَا اهْتَزَّ، جِذَعٌ مِنْ سُمَيْحَةٍ ذَلِيلُ<sup>(٥)</sup>  
إِذَا اغْتَرَكَ الْكَلَاءُ وَالْمَاءُ لَمْ تُقْذَ بِأَمْرَاسِهَا حَتَّى تَثُوبَ الْقَنَابِلُ<sup>(٦)</sup>  
تَخَالُ جِبَالُ الثَّلْجِ لَمَّا تَرَفَعَتْ أَجْلَتْهَا، وَالْكَيْدُ فِيهِنَّ كَامِلُ<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) الرهو: السير اسهل المتابع. الساموة: اسم موضع. الناهل: العطشان.  
(٢) الغيطان: جمع العوط والقوط: المططن من الارض. ترتدي: تسرع. نقالاً:  
مصدر ناقل الفرس: أسرع في نقل القوائم متبهاً الحجارة في عدوه. الجراول:  
الحجارة.  
(٣) يأتُم: بقصد الجوافل : جمع الجافلة: السرعة، النافرة.  
(٤) المرازب: السفينة الضخمة. زاهلتها المنازل: أي تركوا بيوتهم.  
(٥) المسمار: الصاري. سميحة: اسم موضع.  
(٦) الكلاء: من كلاء السفينة: أدناها من الشاطئ. والكلاء أيضاً: مرفأ السفن،  
شاطئ النهر القنابل: جمع القنبلة: الجماعة. أي لا تضبط السفينة ففقاد الى  
الشاطئ الا بتعاون جماعة.  
(٧) الاجلة: جمع الجمل: شراع السفينة. الكيد: الحرب، القتال.

تَشْقُ حَبَابَ الْمَاءِ عَنْ وَاسِقَاتِهِ وَتَغْرُسُ حُوتَ الْبَحْرِ مِنْهَا الْكَلَّا كِلَ<sup>(١)</sup>

لَقَدْ جَهَدَ الْحَجَّاجُ فِي الدِّينِ وَاجْتَبَى جَبًّا لَمْ تَعْلَهُ فِي الْحَيَاضِ الْعَوَائِلُ

وَمَا نَامَ إِذْ بَاتَ الْحَوَاضِينَ ذُلْهًا وَهَسُنُ سَبَابًا، لِلصُّنُورِ بِلَابِلِ<sup>(٢)</sup>

أَطِيعُوا! فَلَا الْحَجَّاجُ مِتِّي عَلَيْكُمْ، وَلَا جِبْرِئِيلُ ذُو الْجِنَّاحَيْنِ غَافِلُ

وعندما نصل الى هذا البيت، ونشاهد الولاء الكامل من الشاعر للحجاج. نعجب كيف يقرن اسم الحجاج في الشطر الاول بالقائد الحازم الذي لا يقي على عاص، بذكر جبرائيل في الشطر الثاني وهو الملك المخصص بالوحي على نبينا محمد ﷺ ويتبادر الى اذهاننا، ان هناك مبالغة تصل الى حد الشطط، ان في الشطر الاول من حيث تعظيم الحجاج، او في الشطر الثاني، من حيث ذكر جبرائيل مع السِّفَاح الذي قال عنه المؤرخون إنه لم يكن يعرف الرحمة أو العاطفة الانسانية، وفي هذا المجال يقول شوقي ضيف في كتابه: التطور والتجديد في الشعر الاموي «ومن يقرأ شعره - اي شعر جرير - في الحجاج يكبر من شخصيته، والحق ان الحجاج شوهه الرواة في العصر العباسي إرضاءً للعلويين والعباسيين جميعاً، وطبعاً كانت فيه قسوة، ولكنها كانت قسوة ضرورية، وان من يقرأ وصف جرير له ليعرف انه كان يتبع سياسة حازمة رشيدة»<sup>(٤)</sup>.

ونكمل استماعنا لجرير في مدح الحجاج حيث يقول:  
الْأَرْبُ جَبَّارٌ حَمَلَتْ عَلَى الْعَصَا وَتَابَ اسْتِغْنَاءُ عَنْ مَنِّ الْمَلِكِ زَائِلُ

(١) الواسقات: الحمول.

(٢) اجتنبى: اختار، اصطفى، جمع الجبا: في الاصل: الحوض الذي يجر فيه الماء.

(٣) الحواضن: جمع الحاضنة: التي لها صغير ترضعه.

(٤) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الاموي: ص: ١٤٥.

تَمْنَى شَيْبٌ مُنْبَةَ سَفَلَتْ بِهِ وَذُو قَطْرِي لَقُهُ مِنْكَ وَلَيْلٌ<sup>(١)</sup>  
 تَقُولُ فَلَا تُسَلِّمِي لِقَوْلِكَ نَبْوَ وَتَفْعَلُ مَا أَنْبَأَتْ أَنْتَ فَاعِلُ  
 وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ الْحِجَازَ ظِلٌّ يَتَقَلَّبُ عَلَيْهِ وَلاَ الْاُمَوِيْنَ فِي عَهْدِ  
 عَبْدِ الْمَلِكِ حَتَّى كَانَ آخِرُهُمْ هِشَامُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ (...) - بَعْدَ ٧٨ هـ  
 /... - بَعْدَ ٧٠٦ م) الَّذِي عَزَلَ لِيَحِلَّ مَحَلَّهُ عُمَرُ بْنُ الْعَزِيزِ، قَبْلَ  
 اسْتِخْلَاقِهِ. وَمَا كَادَ يَسْتَقِرُّ فِي وَلايَتِهِ حَتَّى قَصَدَهُ جَرِيرٌ، وَمَدَحَهُ فِي  
 قَصِيدَةٍ يَقُولُ فِيهَا:

أَبَتْ عَيْنَاكَ بِالْحَسَنِ الرِّقَادَا وَأَنْكَرْتَ الْأَصَادِقَ وَالْبِلَادَا<sup>(٢)</sup>  
 لَعَمْرُكَ إِنْ نَفَعَ سَعَادَ عَنِّي لَمَصْرُوفٌ وَنَفَعِي عَنْ سَعَادَا  
 فَلَادِيَّةٌ، سَقِيَتْ وَدَيَّتْ أَهْلِي وَلَا قَوْدًا بِقَتْلِي مُسْتَفَادَا<sup>(٣)</sup>  
 أَلِمَّا صَاحِبِي نَزَرَ سَعَادَا لِقُرْبِ مَزَارِهَا وَذَرَا الْبَعَادَا  
 فَتَوَشَّكَ أَنْ تَشْطُ بِنَا قَذُوفٌ تُكِلَ نِيَاطُهَا الْقُلُوصُ الْجِيَادَا<sup>(٤)</sup>

وبعد هذه التوطئة الغزلية التي كانت مطلعاً تقليدياً لا يُستغنى  
 عنه لدى استفتاح القصيدة يتوجه الى عمر بقوله:

إِلَيْكَ شِمَاتَةٌ الْأَعْدَاءُ أَشْكُو وَهَجْرًا، كَانَ أَوَّلُهُ بَعَادَا  
 فَكَيْفَ إِذَا نَأَتْ وَتَأَبَّتْ عَنْهَا أَعَزِّي النَّفْسُ أَوْ أَرْغُ الْفُؤَادَا<sup>(٥)</sup>

(١) شيب وقطري، من زعماء الخوارج، وفو زائدة.

(٢) الحسن: موقع لبني ضبة كثر الشجر.

(٣) القود: النار.

(٤) شط: ابتعد. القذوف: النوايل. النياط: صعوبة الملك. القلوص: صفة للنياق  
 الجيدة.

(٥) نزع: أغري.

أَتَبِيعَ لَكَ الضَّغَائِنُ مِنْ مُرَادٍ      وَمَا خَطْبُ أَتَاخَ لَنَا مُرَادُ<sup>(١)</sup>  
إِلَيْكَ رَحَلْتُ يَا عُمَرَ بْنَ لَيْلَى      عَلَى ثِقَةٍ أَرْوُوكَ وَأَعِمَّادُ<sup>(٢)</sup>  
تَعَوَّدَ صَالِحَ الْأَعْمَالِ، إِنِّي      رَأَيْتُ الْمَرْءَ يَلْزُمُ مَا اسْتَعَادُ<sup>(٣)</sup>  
أَقُولُ إِذَا أَتَيْتَنِي عَلَى قَرُورَى      وَالْأَيْدِ يَطْرُدُ اطْرَادُ<sup>(٤)</sup>  
عَلَيْكُمْ ذَا النَّدَى عُمَرَ بْنَ لَيْلَى      جَوَادًا سَلْبًا، وَرِثَ الْجِيَادَا  
إِلَى الْفَارُوقِ يَتَسَبَّبُ ابْنُ لَيْلَى      وَمَرُوانَ الَّذِي رَفَعَ الْعِمَادَا<sup>(٥)</sup>  
تَرْوَدُ مِثْلَ زَادٍ لِيُنِكَ فِينَا      فَنِعْمَ الزَّادُ زَادُ لِيُنِكَ زَادَا  
فَمَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ وَابْنُ سَعْدَى      بِأَجْوَدَ مِنْكَ يَا عُمَرَ الْجَوَادَا<sup>(٦)</sup>  
هَنِيئًا لِلْمَدِينَةِ إِذَا أَهَلَّتْ      بِأَهْلِ الْمُلْكِ، أَبْدَأُ ثُمَّ عَادَا  
يَعُودُ الْحِلْمُ مِنْكَ عَلَى قُرَيْشٍ      وَتَفْرُجُ عَنْهُمْ الْكَرْبَ الشَّدَادَا<sup>(٧)</sup>  
وَقَدْ لَيْسَتْ وَحْشُهُمْ بِرِفْقِي      وَتُعْيِي النَّاسَ وَحْشَكَ أَنْ تُصَادَا  
وَتَبْنِي الْمَجْدَ يَا عُمَرَ بْنَ لَيْلَى      وَتُكْفِي الْمُنْجِلَ السَّنَةَ الْجَمَادَا<sup>(٨)</sup>

(١) مراد: ابن مالك المذحجي.

(٢) ليلى: جدة عمر بن عبد العزيز لأبيه.

(٣) استعاد الشيء: جعله عادة لنفسه.

(٤) قرورى: لسم موضع. الآل: ما يرى كالسراب من اضطراب الهواء والحر.

(٥) الفاروق: عمر بن الخطاب الخليفة الراشدي الثاني. ولى: كانت حفيدة

الفاروق ومروان: هو مروان بن الحكم.

(٦) كعب بن مامة الأيادي. وابن سعدى أوس بن حارثة الطائي من أجود العرب

القدماء.

(٧) الكرب: المصائب.

(٨) تعي: تعجز.

وَتَدْعُو اللَّهَ مُجْهِدًا لِيَرْضَى وَتَذْكُرُ فِي رَعِيَّتِكَ الْمَعَادَ (١)  
وَنَعْمَ أَخُو الْخَرْوبِ إِذَا تَرَدَّى عَلَى الرُّغْفِ الْمَضَاعِفَةِ النِّجَادَ (٢)  
وَأَنْتَ لِبَنِ الْخَضَارِمِ مِنْ قُرْنَشٍ هُمْ نَصَرُوا النَّبُوَّةَ وَالْجِهَادَ (٣)  
وَقَادُوا الْمُؤْمِنِينَ وَلَمْ تُعَوِّذْ غَدَاةَ الرُّوْعِ خَيْلَهُمُ الْقِيَادَ (٤)  
إِذَا فَاضَلْتَ مَدَكَ مِنْ قُرْنَشٍ بُحُورٌ غَمٌّ زَاخِرُهَا الشَّمَادَ (٥)  
وَأَنْ تَنْدُبَ خَوْوَلَةَ آلِ سَعْدِ تُلَاقِ الْعِزُّ فِي السَّلَفِ الْجَعَادَ (٦)  
لَهُمْ يَوْمَ الْكَلَابِ وَيَوْمَ قَيْسٍ هَرَاقٍ عَلَى مُسْلَحَةِ الْمَزَادَ (٧)

وبعد ان بويع عمر بن عبد العزيز بالخلافة (٩٩ - ١٠٢ هـ /  
٧١٧ - ٧٢٠م) قصده جرير مادحاً في قصيدة مليحة بالتكسب،  
يشكو فيها الفقر والجذب، ويظهر استجداءه كعادته. وقد أضاف  
الى مدح عمر، مدح أبيه، ووصفه بالقوى والشجاعة. ويبدأ القصيدة  
باستهلاكية الغزل التقليدية حيث يقول:

- 
- (١) المعاد: اليوم الآخر: يوم الحشر.  
(٢) الرغف: الدروع اللينة المحكمة. النجاد: حائل السيف.  
(٣) الخضارم: جمع الخضرم. السيد الكريم، الحمول للفظالم..  
(٤) الرُّوع: الخوف.  
(٥) زاخر: طمى. الشامد: جمع الشمد الحفرة يجيها ماء المطر وقيل: الماء الملح  
القليل.  
(٦) آل سعد: قصد قيس بن عاصم ومالك بن كعب بن سعد الجعاد: جمع :  
الجعد: الكريم والخييل (ضد) والمقصود الأول.  
(٧) أهام قيس ومسلحة والكلاب، مواقع لتصر بها خوولة سعد على البكرين.

لَجَتْ لَمَامَةٌ فِي كَوْمِي وَمَا عَلِمْتُ

عَرَضَ السَّمَاءِ رَوْحَاتِي وَلَا بُكْرِي<sup>(١)</sup>

وَلَا تَقَعُفُ أَلْحِي الْعَيْسِ قَارِبَةٌ

بَيْنَ الْمِرَاجِ وَرَعْنِي رِحْلَتِي بَقَرِ<sup>(٢)</sup>

مَا هَوَمَ الْقَوْمُ مَذْ شَدَوْا رِحَالَهُمْ

إِلَّا غِشَاشًا لَدَى أَعْضَائِهَا الْبُسْرِ<sup>(٣)</sup>

يَصْرُخْنَ صَرَخًا حَصَى الْمَغْزَاءِ إِذْ وَقَدَتْ

شَمْسُ النَّهَارِ وَعَاذَ الظَّلُّ لِلْقَصْرِ<sup>(٤)</sup>

يَوْمًا يُصَادِي الْمَهَارَى الْخَوْصَ تَحْسِبُهَا

عُورَ الْعُيُونِ وَمَا فِيهِنَّ مِنْ عَوْرِ<sup>(٥)</sup>

ويعد ان ينهي مطلعته الغزلي التقليدي، يبدأ بمدح الخليفة، حيث

يقول:

قَدْ طَالَ قَوْلِي، إِذَا مَا قُمْتُ مَبْتَهَلًا:

يَا رَبِّ أَصْلِحْ قِوَامَ الدِّينِ وَالْبَشَرِ<sup>(٦)</sup>

---

(١) السماء: صحراء السماء.

(٢) تقعق: اضطرب، تحرك. المراج: ورعني ورجلتي بقرة: أسماء مواقع.

(٣) هوم: نام قليلاً. الغشاش: السرعة.

(٤) المغزاء: الأرض الكثيرة الحصى.

(٥) يصادي: يقابل.

(٦) يقول هذا بعد ان مدح أيوب بن سليمان بن عبد الملك، بولاية العهد (راجع

الديوان (٣٥ - ٣٦).

خَلِيفَةُ اللَّهِ، ثُمَّ اللَّهُ يَحْفَظُهُ،

وَاللَّهُ يَضْحِكُ الرَّحْمَنُ فِي السَّفَرِ

إِنَّا لَنَرْجُو، إِذَا مَا الْغَيْثُ أَخْلَقَنَا

مِنَ الْخَلِيفَةِ مَا نَرْجُو مِنَ الْمَطَرِ

يَا رَبِّ سَجَلٍ مُّغِيثٍ قَدْ نَفَخْتَ بِهِ

مِنْ نَائِلٍ غَيْرِ مَزْرُوحٍ وَلَا كَذَرٍ<sup>(١)</sup>

أَذْكُرُ الْجَهْدَ وَالْبُلُوَى الَّتِي نَزَلَتْ

أَمْ قَدْ كَفَّايَ الَّذِي بُلِّغْتَ مِنْ خَبَرِي

مَا زِلْتُ بَعْدَكَ فِي دَارٍ تُعْرِفُنِي

قَدْ عَيَّ بِالْحَمَى إِصْعَادِي وَمُنْخَدَرِي<sup>(٢)</sup>

لَا يَنْفَعُ الْحَاضِرُ الْمَجْهُودُ بِأَدِيهِ

وَلَا يَعُودُ لَنَا بَادٍ عَلَى حَضَرِي

كَمْ بِالْمَوَاسِمِ مِنْ شَعَاءَ أُرْمَلَةٍ

وَمِنْ يَتِيمٍ ضَعِيفٍ الصَّوْتِ وَالنُّظَرِ<sup>(٣)</sup>

يَدْعُوكَ دَعْوَةً مَلْهُوفٍ، كَانَ بِهِ

خَيْلًا مِنَ الْجِنِّ أَوْ مَسًا مِنَ النَّشْرِ<sup>(٤)</sup>

---

(١) السجل: الدلو العظيمة فيها ماء، العطاء. مزروح: من نزحت البر: نفذ ماؤها.

(٢) تعرفني: تأكل لحمي عن عظمي. عي: عجز.

(٣) المواسم: جمع الموسم: مجتمع الناس، أراد بها موسم الحج شعاء: موتت أشعت: مفر الشعر، متشبه.

مِمَّنْ بَعْدَكَ تَكْفِي فَقَدْ وَإِلَيْهِ

كَالْفَرْخِ فِي الْعُشِّ لَمْ يَنْدُرْ وَلَمْ يَطِيرْ

يَرْجُوكَ مِثْلَ رَجَاءِ الْغَيْثِ تَجَرُّهُمْ

بُورِيكَتَ جَايِرَ عَظَمٍ هَيْضَ مُنْكَسِرٍ<sup>(١)</sup>

فَبِإِنْ تَدْعُهُمْ فَمَنْ يَرْجُونَ بَعْدَكُمْ،

أَوْ تُنْجِ مِنْهَا، فَقَدْ أَتَجَيْتَ مِنْ ضَرَرِ

خَلِيفَةِ اللَّهِ، مَاذَا تَنْظُرُونَ بَيْنَا؟

لَسْنَا إِلَيْكُمْ، وَلَا فِي دَارٍ مُتَطَرٍّ<sup>(٢)</sup>

أَنْتَ الْمُبَارَكُ، وَالْمَهْدِيُّ سَيِّدُ

تَعْصِي الْمَوْتَى، وَتَقُومُ اللَّيْلَ بِالسُّورِ<sup>(٣)</sup>

أَصْبَحْتَ لِلْمَنْبَرِ الْمَعْمُورِ مَجْلِسُهُ

زَيْنًا وَزَيْنَ قِبَابِ الْمَلِكِ وَالْحَجَرِ،

نَالَ الْخِلَافَةَ إِذْ كَانَتْ لَهُ قَدْرًا

كَمَا أَتَى رَبُّهُ مُوسَى عَلَى قَدَرٍ

فَلَنْ نَزَلَ لِهَذَا الدِّينِ مَا غَمِرُوا،

مِنْكُمْ عَمَارَةٌ مُلْكٍ وَاضِحِ الْغُرَا

---

(١) الخيل: الفساد، اضطراب العقل. النشر: جمع النشرة: الرقية.

(٢) للمهض: الكسر بعد الجبور.

(٣) لَسْنَا إِلَيْكُمْ: أَي لَسْنَا قَرِيبِينَ إِلَيْكُمْ فَتَعْصِي عَنْكُمْ وَلَا فِي دَارِ إِقَامَةٍ.

(٣) بِالسُّورِ: سَورَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ.



هَمْ مَا هُمْ الْقَوْمُ مَا سَارُوا وَمَا نَزَلُوا  
إِلَّا يَسُوسُونَ مُلْكًا عَالِي الْخَطَرِ  
مَا صَاحَ مِنْ حَيَةٍ يَمْسِي إِلَى جَبَلٍ  
إِلَّا صَدَعَتْ صَفَاةَ الْحَيَةِ الذَّكْرِ  
أُخْوَالِكَ الشُّمِّ مِنْ قَيْسٍ إِذَا قَزَعُوا  
لَا يَنْصِمُونَ حِذَارَ الْمَوْتِ بِالْمَذَرِ  
كَمْ قَدْ دَعَوْتُكَ مِنْ دَعْوَى مَحَلَّةٍ  
لَمَّا رَأَيْتُ زَمَانَ النَّاسِ فِي دَهْرٍ (١)  
لَتَنْعَشَ الْيَوْمَ رَيْشِي ثُمَّ تَنْهَضَنِي  
وَتَنْزِلَ الْيُسْرَ مِنِّي مَوْضِعَ الْمُسْرِ  
فَمَا وَجَدْتُ لَكُمْ نِدَاءً يُعَادِلُكُمْ،  
وَمَا عَلِمْتُ لَكُمْ فِي النَّاسِ مِنْ خَطَرٍ  
إِنِّي سَأَشْكُرُكُمْ أَوْلَيْتَ مِنْ حَسَنِ  
وَأَخِيرُ مَنْ نِلْتَ مَعْرُوفًا ذَوُو الشُّكْرِ

وعندما تولى هشام بن عبد الملك الخلافة (١٠٥ - ١٢٦ هـ /  
٧٢٤ - ٧٤٣ م) كان لا بُدَّ لجريِّ من أن يقصده، وينال رضاه  
بمدحجة تكون سبباً في إغداق العطايا والجوائز. وقد مدحه ببضع

(١) دبر: عودة إلى الوراء.

قصائد يذكر في بعضها انه قصده الى الرصافة ويصف شقه الأنهر  
من الفرات وما نشأ عليها من الجنائن والمزروعات. ونحن نراه يبدأ  
القصيدة بالغزل كمادته، فيقول فيها:

عَفَا النُّسْرَانُ بَعْدَكَ وَالْوَحِيدُ وَلَا يَبْقَى لِجَدَّتِهِ جَدِيدُ<sup>(١)</sup>  
وَحَبِيبُ الدِّيَارِ بِصُلْبِ رَهْبَى وَقَدْ كَادَتْ مَعَارِفُهَا تَبِيدُ<sup>(٢)</sup>  
أَلَمْ يَكُ فِي ثَلَاثِ سِنِينَ هَجْرٍ فَقَدْ طَالَ التَّجَنُّبُ وَالصَّدُودُ<sup>(٣)</sup>  
لَعَزُّ عَلَيَّ مَا جَهِلُوا وَقَالُوا: أَفِي تَسْلِيمَةٍ وَجَبَ الْوَعِيدُ  
وَلَمْ يَكُ لَوْ رَجَعْتَ لَنَا سَلَامًا مَقَالَ فِي السَّلَامِ وَلَا حُدُودُ  
أَمِنْ خَوْفٍ تُرَاقِبُ مَنْ يَلِينَا كَأَنَّكَ ضَامِنٌ يَدِمَ طَرِيدُ  
تَصِيدُنَّ الْقُلُوبَ بِنُبْلِ جِنِّ وَتَزِمِينَ بَعْضَهُنَّ فَلَا نَصِيدُ  
بِأَوْدٍ وَالْأَمَادِ لَنَا صَدِيقُ نَأَى عَنْكَ الْإِمَادُ وَأَمِنْ أَوْدُ<sup>(٤)</sup>  
نَظَرْنَا نَارَ جَعْدَةٍ هَلْ نَرَاهَا أَبْعَدُ غَالِ ضَوْءَكَ أَمْ هُمُودُ<sup>(٥)</sup>  
لَحَبَّ الْوَافِدَانِ إِلَيَّ مُوسَى وَجَعْدَةُ لَوْ أَضَاءَهُمَا الْوُقُودُ

وبعد هذه الايات الغزلية التقليدية، ينتقل الى ذكر السفر، فيقول  
في ذلك:

(١) النسران: كتيبا رمل لبني صبة كنا يدعمان بالانقاء.

(٢) تبيد: تحمي.

(٣) الصدود: التباعد والجفاء.

(٤) اود: اقامة بني يروع.

(٥) الهمود: الفتور.

تَعَرَّضْتَ الْمُسُومَ لَنَا فَقَالَتْ جُمَاعَةٌ: أَيُّ مَرْتَحِلٍ تُرِيدُ  
فَقُلْتُ لَهَا الْخَلِيفَةُ غَيْرُ شَكٍّ هُوَ الْمَهْدِيُّ، وَالْحَكَمُ الرَّشِيدُ<sup>(١)</sup>  
فَقَطَعْنَ الدَّوَّ وَالْأَذْمَى إِلَيْكُمْ وَمَطْلَبُكُمْ مِنَ الْأَذْمَى بَعِيدُ<sup>(٢)</sup>  
نَظَرْتُ مِنَ الرُّصَافَةِ أَيْنَ حَجَرٍ وَرَمَلٌ بَيْنَ أَهْلِيهِمَا وَيَدُ<sup>(٣)</sup>  
بِهَا الْيَسْرَانُ تَحْسَبُ حِينَ تَضْحِي مَرَايَةَ لَهَا يَهْرَاءَ عَيْنُ<sup>(٤)</sup>  
كَأَنَّ الْمُنْعَلَاتِ وَمِنْ حَذْبٍ عَصِي الضَّالِّ يَخْبُطُ الْجَلِيدُ<sup>(٥)</sup>  
وَقَدْ لَحِقَ الشَّمَالُ بَعْدَ بُذْنٍ وَقَدْ أَقْنَى عَرَائِكُهَا الْوُخُودُ<sup>(٦)</sup>  
تُقِيمُ لَهَا النَّهَارَ، إِذَا دَلَجْنَا، وَتَسْرِي وَالْقَطَا خُرْدٌ هَجُودُ<sup>(٧)</sup>  
وَكَمْ كَلَفَنَ دُونَكَ مِنْ سُهوبٍ تَكِلُ بِهِ الْمَوَاشِكُ الْوُخُودُ<sup>(٨)</sup>  
إِذَا بَلَغُوا الْمَنَازِلَ لَمْ تُقَيَّدْ وَفِي طُولِ الْكَلَامِ لَهَا قِيُودُ

(١) الخليفة: هشام بن عبد الملك.

(٢) الدَّوَّ: المغارة، أرض لبني تميم بين البصرة والجماعة. الأذْمَى: من ديار بني

مذوع -

(٣) الرُّصَافَةُ: هي رصافة هشام: مدينة سرجيو بوليس القديمة جنوبى غربى الرقة، على نحو ٤٠ كيلومتراً من الفرات، رفع هشام أسوارها وجعلها من بوابه.

(٤) مرآة: جمع مرزبان: الرئيس الوالى عند الفرس. هرقة: مدينة في أفغانستان شبه الثيران في تلاعبها بتلك القفار، بهرقة المجوس في عيدهم.

(٥) المنعلات: الناي التي اتعلت أخفافها، شبهها في أحديدها وهزلها، بعيدان شجر الضال التي خبط الجليل ورقها أي اسقطها.

(٦) الشمال: جمع التهمة: الشاة: بقية الشيء. المرائك: جمع العريكة: أصل السنام. الوخود: جمع الوخذ: نوع من السم.

(٧) خُرْدٌ: ساكت. هجود: نائم.

(٨) سهوب: أرض واسعة. المواشكة: السريمة. الوخود: السائرة الوخذ.

وهذه الايات المتعلقة بالسفر، ما هي إلا تقليد أيضاً - للهيكلية الشعرية التي كانت متبعة في العصر الجاهلي، إذ يتقل الشاعر من المطلع الغزلي الى ذكر المشاق التي تعتره في سفره، والمهموم التي يصادفها ثم يتقل الى غرضه وهذا ما فعله شاعرنا الذي انتقل الى مدح الخليفة، وذكر فضله وكرم اصله حيث يقول:

وَأَعْلَمُ أَنْ إِذْنَكُمْ نَجَاحٌ      وَأَنْتِي إِنْ بَلَّغْتُكُمْ سَعِيدًا  
وَتَبْدَأُ مِنْكُمْ نِعَمٌ عَلَيْنَا      وَإِنْ عُدْنَا فَمَنْعُكُمْ مُعِيدُ  
تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ إِلَى حُبَا      وَذِكْرٌ مِنْ جِبَائِكُمْ حَمِيدُ  
لَوْ أَنَّ اللَّهَ فَضَّلَ سَعْيَ قَوْمٍ      صَفَّتْ لَكُمْ الْخِلَافَةُ وَالْعُهُودُ<sup>(١)</sup>  
عَلَى مَهَلٍ تَمَكَّنَ فِي فُرُشٍ      لَكُمْ عِظَمُ الدَّمَائِعِ وَالرُّفُودُ<sup>(٢)</sup>  
هَيْثَامُ الْمُلُوكِ وَالْحَكَمُ الْمُصَنَّى      يَطِيبُ، إِذَا نَزَلَتْ بِهِ، الصَّعِيدُ  
يَعُمُّ عَلَى الْبَرِيَّةِ مِنْكَ فَضْلٌ      وَتُطَرِّقُ مِنْ مَخَافَتِكَ الْأَسُودُ  
وَإِنْ أَهْلُ الضَّلَالَةِ خَالَفُوكُمْ      أَصَابَهُمْ كَمَا لَقِيتَ ثَمُودُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَمَّا مَنْ أَطَاعَكُمْ فِيرَضَى      وَذُو الْأَضْغَانِ يَخْضَعُ مُسْتَفِيدُ<sup>(٤)</sup>

(١) يريد: لولا ان الله فضل سعي قوم ما خالفكم احد ولم ينازعكم احد فهنئى بكم.

(٢) الدمائع: جمع الدسيعة: الجفنة الكبيرة. العطية الكثيرة. الرفود جمع الرفد: القدر الضخم المعطاء.

(٣) ثمود: قوم كانوا الانبياء، فغضب الله عليهم وانزل بهم أشد العقاب.

(٤) مستفيد: اراد: وهو مستفيد.

وَتَأْخُذُ بِالْوَيْثِقَةِ ثُمَّ تَمْضِي إِذَا ارْزَحَتْ لَدَى الْحَرْبِ الْجُنُودُ<sup>(١)</sup>  
لَكُمْ عِنْدِي مُشَابِعَةٌ وَشُكْرٌ إِلَى مَدْحِ يَرَّاحٍ لَهُ النُّشِيدُ<sup>(٢)</sup>  
بَنِي مَرْوَانَ بَيْتُكَ فِي الْمَعَالِي وَعَاشِشَةُ الْمُبَارَكَةِ الْوُلُودُ<sup>(٣)</sup>  
وَأَوْرَثَكَ الْمَكَارِمَ فِي قُرَيْشٍ هِشَامٌ وَالْمُغِيرَةُ، وَالْوَلِيدُ<sup>(٤)</sup>

وابتداء من هذه الايات الخمسة الاخيرة، حتى نهاية القصيدة  
يذكر جرير بأعمال هشام. ويتلعب شاعرنا ما ذكرناه فيقول:

وَفِي آلِ الْمُغِيرَةِ كَانَ قَدْماً وَفِي الْأَعْيَاصِ مَكْرُمَةٌ وَجُودُ<sup>(٥)</sup>  
وَمِنْ ذُبْيَانَ تَمَّ لَكُمْ بِنَاءٌ عَلَى عَلِيَاءَ ذُو شَرَفٍ نَشِيدُ  
وَأَنْ حَلَبَتْ سَوَابِقُ كُلِّ حَيٍّ سَبَقَتْ وَأَتَتْ ذُو الْخَصْلِ الْمُعِيدُ<sup>(٦)</sup>  
فَرَادَ اللَّهُ مُلْكَكُمْ تَمَاماً مِنْ اللَّهِ الْكَرَامَةُ وَالْمَزِيدُ  
فَيَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ إِذَا نُسِيتُمْ وَفِي الْأَثَرَيْنِ إِنْ حُسِبَ الْعَدِيدُ<sup>(٧)</sup>

(١) الوثيقة: الاحكام في الامر.

(٢) المشابعة: التلعة والمؤالة، او النصرة والتأييد نراخ: يطرب ويهتر لفعل المرفوف.

(٣) عاششة: بنت معاوية بن المغيرة بن ابي العاص، جدة هشام لأبيه.

(٤) هشام: يقصد به هشام بن الوليد بن المغيرة.

(٥) الأعياص: هم خمسة: العاصي، وابو العاصي، والمعص، وابو المعص، والمعويص.

(٦) حلب: حضر السباق والرهان في الحلبة.

(٧) الأثرين: الوافري العدد.

شَقَقَتْ مِنَ الْفَرَاتِ مُبَارَكَاتٍ جَوَارِي قَدْ بَلَغْنَ كَمَا تُرِيدُ<sup>(١)</sup>  
 وَسَخَّرَتْ الْجِبَالَ وَكَنَّ حُرْمًا يُقَطِّعُ فِي مَنَاكِهَا الْحَدِيدُ  
 بَلَغَتْ مِنَ الْهَيْءِ فَقُلْتُ: شُكْرًا هُنَاكَ وَسَهْلُ الْجَبَلِ الصُّلُودُ<sup>(٢)</sup>  
 بِهَا الزُّيْتُونُ فِي غُلَلٍ وَمَاتَتْ عَنَّا قَيْدُ الْكُرُومِ فَهَنْ سُوْدُ<sup>(٣)</sup>  
 فَتَمَّتْ فِي الْهَيْءِ جَنَانٌ دُنْيَا فَقَالَ الْحَاسِدُونَ هِيَ الْخُلُودُ  
 يَعْصُفُونَ الْأَنَامِلَ إِنْ رَأَوْهَا بَسَاتِنًا، يَوَازِرُهَا الْحَصِيدُ<sup>(٤)</sup>  
 وَمِنْ أَزْوَاجٍ فَاسِكِهِ وَنَخْلٍ يَكُونُ بِحَمْلِهِ طَلْعُ نَضِيدُ<sup>(٥)</sup>  
 تَهْنَأُ لِلْخَلِيفَةِ كُلِّ نَصِيرٍ وَعَافِيَةٍ، يَجِيءُ بِهَا الْبَرِيدُ  
 رَضِينَا أَنْ سَبَّكَ ذُو فَضُولٍ وَأَنَّكَ عَنْ مَحَارِمِنَا تَذُوذُ  
 وَأَنَّكُمْ الْحِمَاءَ يَكُلُّ نَغِيرٍ إِذَا لَبَّتْ مِنَ الْعَرَقِ اللَّبُودُ<sup>(٦)</sup>

وفي قصيدة مَدَحَ بها معاوية بن هشام، نشاهد فيها المطلع الغزلي التقليدي الذي يقول فيه:

- 
- (١) الجواري: السواقي الجارية.  
 (٢) الصلود: الصلب، اليلس.  
 (٣) الغلل: الماء الجاري تحت الشجر على وجه الأرض. وقد وردت الهنيء: الحناء في بعض النسخ.  
 (٤) وازره في الأمر: عاونه وقواه. الحصيد: الزرع المحصود، المزرعة الأنهار تحصد. الطلع من النخل: شيء يخرج كأنه نعلان مطبقان والحمل بينهما مقصود والطرف محدد. نضد المتاع: ضم بعضه إلى بعض منسقا مركوما.  
 (٥) العرق: الجبل الغليظ لا يرتفع لصعوبته اللبود: جمع اللبدة: الشجر المجمع بين كفي الأسد. وفي رواية: إذا نبئت من العرق اللبود.

قَدْ قَرَّبَ الْحَيَّ إِذْ هَاجُوا لِإِصْنَادٍ بُزْلاً مُحَيَّسَةً أَرْمَامَ أَقْنَادٍ<sup>(١)</sup>  
صُهْبًا كَأَنَّ عَصِيْمَ الْوَرَسِ خَالَطَهَا مِمَّا تُصَرِّفُ مِنْ خَطَرٍ وَأَنْبَادٍ<sup>(٢)</sup>  
يَحْدُو بِهِمْ زَجَلٌ لِلْبَسَمِ مُعْتَرِفٌ قَدْ كُنْتُ ذَا حَاجَةٍ لَوْ يَرِيعُ الْحَادِ<sup>(٣)</sup>  
أَلَا تَرَى الْعَيْنَ يَوْمَ الْبَيْنِ إِذْ ذَرَفَتْ

هَاجَتْ عَلَيْكَ ذَوِي ضَغْنٍ وَأُخْفَادٍ  
حَلَاتِنَا عَنْ قَرَاحِ الْمَزْنِ فِي رَصْفٍ

لَوْ شِئْتَ رَوَى غَلِيلَ الْهَاشِمِ الصَّادِي<sup>(٤)</sup>  
كَمْ دُونَ بَابِكَ مِنْ قَوْمٍ تُحَادِرُهُمْ يَمَّا أُمَّ عَمْرٍو وَحَدَادٍ وَحَدَادٍ  
هَلْ مِنْ نَوَالٍ لِمَوْعُودٍ يَخْلُتُ بِهِ وَلِلرَّهْنِ الَّذِي اسْتَغْلَقْتَ مِنْ قَادِي<sup>(٥)</sup>  
لَوْ كُنْتُ كَذَّبْتُ إِذْ كَمْ تُوتِ فَاجِشَةً قَوْمًا يَلْجُونَ فِي جَوْرِ وَأَقْنَادٍ<sup>(٦)</sup>  
فَقَدْ سَمِعْتُ حَدِيثًا بَعْدَ مَوْتِنَا مِمَّا ذَكَرْتَ إِلَى زَيْدٍ وَشَدَادٍ<sup>(٧)</sup>  
حَيَّ الْمَنَازِلَ بِالْبُرْدَيْنِ قَدْ بَلَّيْتَ لِلْحَيِّ لَمْ يَتَّقْ مِنْهَا غَيْرُ إِهْلَادٍ<sup>(٨)</sup>

(١) بؤلاً: صفة للجمال مخيصة مروضة. أرمام مفرداً رمة. وهي القطعة من الجبل.

(٢) عصيم الورس: أثر اللون الأحمر.

(٣) الزجل: قاله العسك.

(٤) حلّاتنا: أهدتنا عن الماء. قراح المزن: الماء العذب. الصادي: الظمان.

(٥) استغلق الرهن: عجز عن دفعه.

(٦) الجور: الظلم. الاقناد: الكلب.

(٧) شداد وزيد: أفسها السر.

(٨) الإهلاذ: المعالم.

مَا كِدْتَ تَعْرِفُ هَذَا الرَّبَّ غَيْرَهُ مُرَّ السِّنِّينَ كَمَا غَيْرُنَ أَجْلَادِي<sup>(١)</sup>  
لَقَدْ عَلِمْتُ وَمَا أَخْبِرْتُ مِنْ أَحَدٍ أَنَّ الْهَوَى بَنَى يَزِينُ مُعْتَادِي  
وبعد المطلع الغزلي، ينتقل جرير الى مدح هشام، وذكر والده  
بما كان عليه من صفات عالية، وهمة عالية. ثم يذكر بطشه وظفـره  
على أعدائه من الخوارج. وبني الأشعث، وابناء المهلب، حيث يقول:  
اللَّهُ دَمَّرَ عَبَادًا وَشَبَعَتْهُ عَادَاتُ رَبِّكَ فِي أَمْثَالِ عِبَادِ<sup>(٢)</sup>  
قَدْ كَانَ قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ صِدْقٍ وَاجْتِهَادِ<sup>(٣)</sup>  
مَنْ يَهْدِيهِ اللَّهُ يَهْتَدِ لَا مُضِلَّ لَهُ وَمَنْ أَضَلَّ فَمَا يَهْدِيهِ مِنْ هَادِي<sup>(٤)</sup>  
لَقَدْ تَبَيَّنَ، إِذْ غَبَّتْ أُمُورُهُمْ قَوْمُ الْجَحَافِيِّ لَمُرَا غَبِّ بَادِي<sup>(٥)</sup>  
لَا قُوا بُعُوثَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ لَهُمْ كَالرَّيْحِ إِذْ بُعِثَ نَحْسًا عَلَى عَادِ<sup>(٦)</sup>  
فِيهِمْ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَنِ، مَا لَهُمْ سِوَى التَّوَكُّلِ وَالتَّسْنِيْعِ مِنْ زَادٍ  
أَنْصَارُ حَقٌّ عَلَى بُلُغِي مُسَوِّمَةٍ أَمْدَادُ رَبِّكَ كَانُوا خَيْرَ أَمْدَادِ<sup>(٧)</sup>

(١) الإجلاد: الحسد.

(٢) عبَاد: هو عبَاد الجحافي من خوارج اليمن. وقد قتله يوسف بن عمر الثقفي.

(٣) امير المؤمنين: يقصد هشام بن عبد الملك. إجهاد: مصدر أجهد الحق: ظهر الاجهاد أيضاً: الاحتياط.

(٤) في هذا البيت محاكاة للآية الكريمة: «مَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ» من سورة الأعراف الآية رقم: ١٨٥.

(٥) الجحافي: عبَاد الذي يتناوله في القصيدة. الغب: الفساد.

(٦) عاد: التي عصت امر الانبياء فأرسل الله عليهم ريحاً حاصباً جزاء لهم عما فعلوه.

(٧) بلقي مسومة: الخيول التي يزين سوادها البيضاء.



لَاقَتْ جُحَافًا مَوَلَّاتًا فِي حَيَاتِهِمْ وَمَا تُقْبَلُ مِنْهُمْ رُوحُ أَجْسَادِ  
 إِنَّ الْوَهَّارَ الَّتِي فِي الْغَارِ مِنْ سَيِّئٍ لَنْ تَسْتَطِيعَ غَرْنُ الْمَخْدِرِ الْعَادِي  
 لَمَّا أَضْلَهُمُ الشَّيْطَانُ قَالَ لَهُمْ أَخْلَفْتُمْ عِنْدَ أَمْرِ اللَّهِ مِينَعَادِي  
 مَا كَانَ أَخْلَامُ قَوْمٍ زِدْتُهُمْ حَيَلًا إِلَّا كَجِلْمِ فَرَّاشِ الْمَبُوءَةِ الْغَادِي<sup>(٢)</sup>  
 إِذْ قُلْتُ: عُمَّالُ كُلِّ ظَالِمٍ لَنَا مَاذَا تَقْرُبْتَ مِنْ ظُلْمٍ وَأَفْسَادِ  
 ذُوقُوا، وَقَدْ كُتِّمَ عَنْهَا بِمُعْتَزِلٍ خَرَبًا تَحْرَقُ مِنْ حَمِي وَإِنْقَادِ<sup>(٣)</sup>  
 لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي قَوْمٍ يَغْرُهُمْ قَوْلُ الْيَهُودِ الَّذِي حَقَّقِينَ بَرَادَ  
 أَبْصِرْ فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَهُ

أَعْلَى الْفُرُوعِ، وَحَيْثُ اسْتَجْمَعَ الْوَادِي  
 تَلْقَى جِبَالَ بَنِي مَرْوَانَ خَالِدَةً ثُمَّ الرُّوَاسِي وَبَنِي صَخْرَةَ الرَّادِي<sup>(٤)</sup>  
 إِنَّا حَمِيدُنَا الَّذِي يَشْفِي خَلِيفَتَهُ مِنْ مُرْجَفِينَ ذُرِّي صَفْبٍ وَحُسَادِ  
 لَاقَى بَنُو الْأَشْعَثِ الْكِندِي إِذْ نَكَشُوا وَلَئِنْ الْمُهْلَبَ خَرَبًا ذَاتَ عُصَوَادِ<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) الوهَّار: جمع الوهر: دومة كالسَّور. شبه بها خوارج سيِّئ من بلاد اليمن.  
 المخدر: الأسد في خلده: عرينه: العادي: المستعدي: المهاجم.  
 (٢) الخيل: الفساد. الفَرَّاشِي: الرجل الطَّيَّاش، الخفيف الرأس. المَبُوءَةُ: الغبار.  
 (٣) الحمي: النار القوية.  
 (٤) براد: اسم يهودي، كان عمله الدَّس بين الناس.  
 (٥) بني: مستفقة من تنبيه يقال أتى الشيء دفعه عنه وأخرجه من أرض إلى أرض  
 الرادي: الراسي.  
 (٦) حلوم: عقول المرجفون: من أُرْجِفَ أي خاض في الأخبار السيفة والفتن قصد  
 أن يهيج الناس.  
 (٧) الحرب العصواد: الحرب الشديدة بكل ما فيها من جلبة في الغرب ومن  
 خصومة.

إِنَّ الْعَدُوَّ إِذَا رَامُوا قَتَلَتَكُمْ يَلْقَوْنَ مِنْهَا صَيِّمًا غَيْرَ مُنَادٍ<sup>(١)</sup>  
شَرَفَتْ بُيُوتَانِ أُمْلَاكِ بَنَوْنَا لَكُمْ عَادِيَّةً فِي حُصُونٍ بَيْنَ أَطْوَادِ

ويتهيء جريرو في هذا البيت من ذكر بطش هشام ولبنه معاوية وظفرهما على الاعداء من الخوارج، وذكر هذا دليل ثابت على ان شاعرنا عني في مدائحه للأمويين بأن يدعو لهم على نحو ما يدعو شعراء الاحزاب لأئمتهم. وشعره من هذه الناحية يلم إلاماً كاملاً أنه يكشف لنا عن الاساليب المتبعة عند أرباب السلطة ضد خصومهم إذ هم يبلجأون مرة الى نشر الافكار الداعية للخضوع الى أولي الامر والخلفاء، وهم الذين أوصى الله الناس بعدم القتل حياة للآخرين. ويكشف لنا جريرو بالإضافة الى ما تقدم عن الصفات القدسية التي كان يصف بها الشعراء ومدوحهم من بني أمية وهي الصفات ذاتها التي كان يسبغها الشيعة على آئمتهم<sup>(٢)</sup>.

ومن هذا المنطلق، نشاهد الشاعر ينسبط في شرف المروانيين وانتصارهم حيث يقول:

إِنَّ الْكِرَامَ إِذَا عَدُّوا مَسَاعِيَكُمْ قَبْلَنَا فَضَلَّتْ بِلَاءُ وَأَجْدَادِ  
بِالْأَعْظَمِينَ إِذَا مَا خَاطَرُوا خَطَرًا وَالْمُطْعِمِينَ إِذَا هَبَّتْ بَصَرَادِ<sup>(٣)</sup>  
أَلِ الْمُغِيرَةِ وَالْأَعْيَاصُ فِي مَهَلٍ مَدُّوا عَلَيْكَ بُحُورًا غَيْرَ أُنْمَادِ<sup>(٤)</sup>

(١) الصميم من كل شيء: خالصه ومحضه ويستعمل للواحد والجمع. فضول:

رجل صميم، ورجال صميم. إباد: انحنى وتثنى. والمناد: المعوج غير المستقيم.

(٢) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص: ١٥٨.

(٣) الصرّاد: الغيم الرقيق لا ماء فيه.

(٤) الانماد: جمع النمد: الماء القليل الذي لا مادة له. الحارث هو الحارث بن

مرة بن عوف الغطفاني. أورد الزند: اخرج ناره، صلد الزند وأصلد: صوت

ولم يور وناقة.

وَالْحَارِثُ الْخَيْرُ قَدْ أَوْزَى فَمَا خَمَدَتْ      نَيْرَانُ مَجْدٍ يَزْنِي غَيْرِ مَصْلَادٍ<sup>(١)</sup>  
مَا الْبَحْرُ مُغْلُولًا تَسْمُو غَوَارِيَهُ      يَغْلُو السُّفِينُ بِأَذْيٍ وَارْتَادٍ<sup>(٢)</sup>  
يَوْمًا بِأَوْسَعِ سَبَبًا مِنْ سِجَالِكُمْ      عِنْدَ الْعُنَاةِ وَعِنْدَ الْمُعْتَفَى الْجَادِي<sup>(٣)</sup>  
إِلَى مُعَاوِيَةَ الْمَنْصُورِ، إِنْ لَهُ      دِينًا وَثِيْقًا، وَقَلْبًا غَيْرَ حَيَادٍ  
مِنْ آلِ مَرْوَانَ مَا ارْتَدَّتْ بَصَائِرُهُمْ      مِنْ خَوْفِ قَوْمٍ، وَلَا هُمُوا بِالْحَادِ  
حَتَّى أَتَتْكَ مُلُوكُ الرُّومِ صَاغِرَةً      مُقَرَّنِينَ بِأَغْلَالٍ وَأَصْفَادٍ<sup>(٤)</sup>  
يَوْمَ أَذَلَّ رِقَابَ الرُّومِ وَقَعَّتُهُ      بُشْرَى لِمَنْ كَانَ فِي غَوْرٍ وَاتِّجَادٍ<sup>(٥)</sup>  
يَارُبُّ مَا ارْتَادَكُمْ رَكِبَ لِرَغْبَتِهِمْ      فَأَحْمَدُوا الْغَيْثَ وَانْقَادُوا لِرُؤَادٍ<sup>(٦)</sup>  
سَارُوا عَلَى طَرِقٍ تَهْدِي مَنَاهَجُهَا      إِلَى خَضَارِمٍ خَصِرِ اللَّجِّ أَعْدَادٍ<sup>(٧)</sup>  
سَارُوا مِنْ الْأَذْمَى وَالْدَّامِ مُتَعَلَّةً      قُودًا سَوَّاهَا فِي مَوْرِ أَعْدَادٍ<sup>(٨)</sup>

- 
- (١) مصلاذ: التي تتج وليس لها لبن.  
(٢) اغلولب: تكاثف. الغوارب: أعالي الموج. الأذي: الموج.  
(٣) السجال: جمع السجل: الدلو، أراد به المعروف. العناة: جمع العاني: الأسير. إعتفى فلان: ثأه يطلب معروفه. الجادي: السائل.  
(٤) قرنه: جمعه وشده. الاغلال: جمع الغل: طوق من حديد وجلد يهمل في اليد أو العنق. الاصفاذ: جمع الصفد: الوثاق.  
(٥) الغور: المكان المنخفض. النجد: المكان المرتفع.  
(٦) ارتاد الشيء: طلبه. أحمد الشيء: وجده حميداً. الرؤاد: جمع الرائد: وهو الرسول الذي ارسله القوم لينظر لهم مكاناً يزلون فيه.  
(٧) اللج: جانب الوادي، معظم الماء. الأعداد: المياه الغزيرة.  
(٨) القود: الطويلة الأعناق. المور: سيلان الدم.

سَيَرُوا. فَإِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَكُمْ عَيْثُ مُعِيَتْ بَنَتْ غَيْرَ مَجْحَادٍ<sup>(١)</sup>

وينتهي جرير قصيدته بالاستجداء الذي جعله لازمة لكل قصيدة. وهو لعمري ما أَحَبُّ مادحاً إلا في سبيل هذا الغرض الذي يسعى إليه، هو وأمثاله من الشعراء. فالأمويون حين أغرَقُوا وأكثروا العطاء وشرَّعُوا أبولبهم لم يكن لهم رائد سوى تهافت الشعراء لأخذ النوال، ومن التحدث بجودهم وكرمهم. وفي هذا السبيل يقول جرير:

مَاذَا تَرَى فِي عِيَالٍ قَدْ بَرِمَتْ بِهِمْ لَمْ تُحْصَى عِدَّتُهُمْ إِلَّا بَعْدَادٍ<sup>(٢)</sup>  
كَانُوا ثَمَانِينَ أَوْ زَادُوا ثَمَانِيَةً لَوْلَا رَجَاؤُكَ قَدْ قُتِلَتْ أَوْلَادِي

إنه الختام الذي لا يحسد عليه، لما فيه من اسعاف وإذلال. فأيُّ أبٍ هذا الذي يسأم ويضجر من أولاده. إنه يجعلهم لكثرتهم موضع ازدراء وكره. فلقد ضاق بهم ذرعاً ولم يعد يَفْقَرُ عَلَى تعدادهم الكامن بين الثمانين، أو الثمانية والثمانين ولداً. وتسوء الصورة منظراً، وتحدّر به إلى مهاوي الاحتقار حين يصارح المدحوح بأنه لولا الرجاء الذي ينتظره منه لقتل جميع أولاده، إنه الإبتزاز الذي ينحدّر به إلى مهاوي الاستجداء الرخيص. وهو صورة توضح حالة العصر، وتهافت الشعراء فيه على ابواب الحاكمين. وعلى هذا المنوال يسير بقصائده في المديح. ولعله تبدو صوراً مكررة لا يتغير فيها سوى الأسماء أمّا الهدف والغرض، فهو هو: تعظيم الخليفة، وإعلاء شأن بني أُمَيَّة ونيل العطاء.

---

(١) مجحد: من جحد النبت: لم يطل: أي نبت طويلاً. والمجحد: تأتي أيضاً القليل العطاء.

(٢) برم: سئم وضجر.

كان جرير لا يبالى غير سلامته، فهو لا يهجو إلا من تعرض له من الشعراء ولا يعرض لنقد الولاة والعمال أو مهاجمة سياستهم. وهو لا يرتزق بالهجاء، لأن ذلك قد يعرضه للشر، ولكنه يعول على المدح، وفي سبيل ذلك يسوم نفسه أقبح الذل من أجل الحصول على المال. وقد أفردنا للمدح قصائد بكاملها - كما سبق وقدمنا - لأن المدح كان أساس شعره، وهدف حياته من أجل الارتزاق وما دنا بصدد الهجاء فنقول بأنه إذا هجا، كانت ألفاظه، مشحونة بالسخرية والإستهزاء، تستعمل القارىء بالضحك، قبل أن يفهم ما تضمنت من معنى. يقول للفرزدق:

عَدُّوا خَصَافَ إِذَا الْفُحُولُ تَنَجَّبَتْ      وَالْجَيْثُلُوطَ وَنَخْبَةَ خَوَارٍ<sup>(١)</sup>  
وَإِذَا فَخَرَتْ بِأَمْهَاتٍ مُجَاشِيعٍ      فَاغْفَرَ بِقَبْقَبٍ وَأَذْكَرَ النُّخَوَارِ<sup>(٢)</sup>  
عِنْدَ أَنْكُمْ عُشْرٌ وَلَمْ يَكُ عَوْذُكُمْ      نَبْعاً وَلَا سَيْطَ الْفَرُوعِ نَضَارِ<sup>(٣)</sup>  
قَدْ شَانَ فَخَرَ مُجَاشِيعٍ أَنْ لَمْ تَكُنْ      عِنْدَ الْحَقَائِقِ تُذْرِكِ الْأُوتَارِ<sup>(٤)</sup>  
وَلَقَدْ نَزَلَتْ فَكُنْتَ أَحَبُّ نَازِلٍ      وَظَلَعَنْتَ لَا جَذْلاً وَلَا مُخْتَارِ<sup>(٥)</sup>  
إِنَّ الْفِرَزْدَقَ يَا مُجَاشِيعُ لَمْ يَجِدْ      بِالْأَجْرَعَيْنِ لِمُنْكَبِرٍ إِنْكَارِ

- 
- (١) الجيثلوط: صفة إهانة تطلق على النساء ولا معنى لها في كتب العرب وربما نحت من لفظي جلط وثلط. والنخبة الجبانة.  
(٢) قبقب والنخوار: من نساء مجاشيع.  
(٣) النضار: الشجر الأخضر الطويل الأغصان.  
(٤) شان: حقر وخزى.  
(٥) الجذل: السرور.

مَاذَا يُرِيدُكَ إِذْ تَعُوذُ بِتَغْلِبٍ مِنِّي وَدَمْعُكَ بِسَادِرٍ إِذْ رَارَ  
خَيْرَانِ صَيِّفٍ نَقَشَتْ أَعْرَافَهَا عَالِيْنَ أَسْفَعَ مَلْحَمًا مَيَّكَارَ<sup>(١)</sup>  
تُبْقِي الْمَذَلَّةَ يَا فَرَزْدَقُ وَالْقَدَى وَالْمُخْرِبَاتُ يَعْصِيكَ الْعُورَا  
وَعَرَفَتْ مَنَزِلَةَ الذِّلَّةِ فَلَمْ تَجِدْ إِلَّا التَّلَهْفَ تُمَتِّ الْإِفْرَارَا

وترثنا نقف - دون أن نشعر - أمام تلك الألفاظ بألقها العجيبة  
وبغرابتها المضحكة، في الجيثلوط، وهو لفظ مخترع مركب من  
جلط وجشط. وكذلك الحال مع قبقب والنخوار. ولا يقف الأمر  
عند هذا الحد من الأهاجي الغريبة المضحكة، بل يستمر في اختراع  
الألفاظ التي تزيد من الهزء والسخرية بهجوه. ومن امثال ذلك  
مخاطبته الفرزدق في قصيدة هجاء أخرى يقول فيها:

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ قَدْ تَبَيَّنَ لَوْمُهُ حَيْثُ التَّقَتْ حُشَاوُهُ وَالْأَخْدَعُ<sup>(٢)</sup>  
حَوْقُ الْحِمَارِ لَهْوَكَ فَاغْلَمْ عِلْمُهُ وَتَفَاكَ صَعَصَعَةُ الدَّعْيِ الْمُسَبِّعِ<sup>(٣)</sup>  
وَزَعَمْتَ أَمَكُمْ حَصَانًا حَرَّةً كَلْبًا، قُفَيْرَةُ أَمَكُمْ وَالْقَوْبَعُ<sup>(٤)</sup>  
وَتَوُ قُفَيْرَةً قَدْ أَجَاهُوا نَهْشَلًا بِاسْمِ الْعُبُودَةِ قَبْلَ أَنْ يَتَصَصَّعُوا<sup>(٥)</sup>  
هَذِي الصَّحِيفَةُ مِنْ قُفَيْرَةٍ فَاغْرَأُوا عَنْوَاتِهَا، وَبَشْرَطِينِ تَطْبِعُ

(١) الخيران: الجناء الأسفح: الصقر من الطيور الجارحة. اللحم الكثير اللحم.

(٢) الأخدع: عرق في صفحة العنق حُشَاوُهُ: عظم بازوراء الأذن.

(٣) صعصعة: على بن مدافع.

(٤) القوبع: قلسوة تحمرها العجائر.

(٥) يتصصعوا: يتفرقوا.

كَانَتْ قَفِيرَةً بِالْقَعُودِ مُرِيَّةً تَبْكِي إِذَا أَخَذَ الْفَصِيلَ الرَّوْبَ (١)  
 بِسَ الْفَوَارِسُ يَا نَوَارَ مُجَاشِيعٍ خُورَ إِذَا أَكَلُوا خَزِيرًا ضَفَدَعُوا (٢)  
 يَفْدُونَ قَدْ نَفَخَ الْخَزِيرُ بَطُونَهُمْ رَغْدًا وَضَيْفُ بَنِي عِقَالٍ يُخَفِّعُ (٣)  
 أَمِنْ الَّذِينَ يَسْفِرُ عَمْرُو قَتْلُوا، أَمْ أَمِنْ أَسْعَدُ فَيْكُمُ الْمُسْتَرْضِعُ  
 حَرَبْتُمْ عُمَرَا فَلَمَّا اسْتَوْفَدَتْ نَارُ الْحُرُوبِ بِغُرْبٍ لَمْ تَمْنَعُوا (٤)  
 وَبَاهِرَقِي ضَحْيَانَ لَاقُوا خِزْيَةً تِلْكَ الْمَذَلَّةُ، وَالرَّقَابُ الْخَضَعُ  
 خُورَ لَهُمْ زَيْدٌ إِذَا مَا أَسْتَأْمَنُوا وَإِذَا تَتَابَعَ فِي الزَّمَانِ الْأَمْرُ (٥)  
 وما أن تمر تحت ناظريك هذه الألفاظ: حُشَاوُهُ، الْأَخْدَعُ،  
 الْقَوْبُوعُ، الرَّوْبُوعُ. حتى ترى السخرية الشديدة التي حشر لها جرير  
 مثل تلك الكلمات، المفرقة في التفعير والغربة. ولا تستطيع أن تمنع  
 عنك الضحك حين تصل إلى قوله «ضفدعوا» أي أخرجوا ربما  
 تحدث صوتاً قوياً، لما حشوا به بطونهم من «الخزير» وهي اكلة  
 للعرب. وتستمر حال جرير في هجو الفرزدق بمثل هذه الألفاظ  
 الغريبة النائية، حتى وصل إلى قصيدة ثالثة، يخاطبه من خلالها بقوله  
 في ميمية:

قَفِيرَةٌ وَهِيَ أَلَامٌ أَمْ قَوْمٌ تُوْفِي، فِي الْفَرَزْدَقِ سَبْعَ آمٍ (٦)

- 
- (١) الروب: دابة يصيب الإبل.  
 (٢) ضفدعوا: أصابهم ريح في أعمالهم فأخرجوا صوتاً.  
 (٣) خفف: أصله دوار.  
 (٤) غرّب: إسم موقعة.  
 (٥) الأمرع: الخطيب.  
 (٦) قفيرة: جنة الفرزدق. أم: جمع أمة: وهي العبد.

بَدَا شِبْهُ الزُّبُلَةِ فِي بَيْنِهَا وَعِزُّقٌ مِّنْ قُفَيْرَةٍ غَيْرِ نَامِي<sup>(١)</sup>  
فَإِنْ مُجَاشِعًا، فَتَعَرَّ قَوْمُهُمُ بَنُو جَوْحَى وَخَجَجَخَجَ وَالْقَذَامِ<sup>(٢)</sup>  
وقد وهب جرير، مع هذا الحسن اللفظي الممتاز، عيناً نقادة تقع  
على العيوب، ووجوه النقص من أول نظرة، ونهتدي إلى مواضع  
السخرية، إهداء المغناطيس إلى دقائق الحديد المنتشر، ومن وراء هذه  
الملاحظة الدقيقة النقادة خيال خصب وذكاء نقاد، يمدّه بالصور  
الغريبة في الانتان، البارة اللأذعة، يتناقلها الناس متلترين. فمن  
أمثلة هذا الهجاء الذي يعتمد على الصور، قوله يصف بني مجاشع  
بالسجن والترمل، مع قلة الغناء في الحروب<sup>(٣)</sup>:

مَتَى تَغْمِزُ ذِرَاعَ مُجَاشِعِي نَجِدَ لَحْمًا وَلَيْسَ عَلَى عِظَامِ  
فَمَا صَدَقَ اللَّقَاءُ مُجَاشِعِي وَمَا جَمَعَ الْقَنَاءَ مَعَ اللَّجَامِ  
تَوَلُّونَ الظُّهُورَ إِذَا لُقِيتُمْ وَتَذْنُونَ الصَّدُورَ مِنَ الطَّعَامِ  
ونلاحظ أن جريراً لا يرتوي من إيراد هذه الألفاظ وأمثالها بل  
يفرق في تداولها بين قصائده، حتى نراه يقول:

تَلَقَى ضِفْنٌ مِّجَاشِعٍ ذَا لِحْيَةٍ وَلَهُ إِذَا وَضَعَ الْإِزَارَ حِرَانُ<sup>(٤)</sup>

(١) الزُّبُلَةُ: فَاةٌ كَثْرَةُ الشَّعْرِ فِي وَجْهِهَا.

(٢) بَنُو جَوْحَى، وَخَجَجَخَجَ، وَالْقَذَامُ: هِيَ أَسْمَاءُ بَعْضٍ مِّنْ كَانٍ يَشْتَغِلُ بِالْحَدَادَةِ  
مِنْ رَقِيقِهِمْ. وَتَهُمُ نِسَاءُ مُجَاشِعٍ بِهِمْ وَيَقُولُ: هَؤُلَاءِ الْقَبِيلُ هُمُ آبَاؤُهُمْ.

(٣) مُحَمَّدٌ حَسِينٌ: مُحَمَّدُ الْمَجَاشِعِ وَالْمَجَازُونَ فِي صَدْرِ الْإِسْلَامِ: دَارُ النُّهْضَةِ الْعَرَبِيَّةِ:  
بِهَرُوت (١٩٧٠) ص: ١٩٤.

(٤) الضَّفْنُ: الْقَصِيرُ الْمَكْتَرُ الْحَرُّ: مَوْضِعُ الْعَوْرَةِ فِي الْمِرْفَةِ.



مِنْ كُلِّ مُنْتَفِعٍ الْوَرِيدِ كَأَنَّهُ بَغْلٌ تَقَاعَرَ فَوْقَهُ خُرْجَانِ

ولم يترك جريرَ لفظه حفظها ذاكرته، وتصل به إلى الإيلام إلا  
وخص بها شعره فهو حريص على أن يجمع اللوم كله في هجائه،  
حتى يقول الناس، لقد أقدع جرير. ومن امثال ذلك هجاؤه للميم  
في قوله:

يَا تَيْمُ! مَا الْقَارُونَ فِي شِدَّةِ الْفَرَى      يَتِيمٌ وَلَا الْحَامُونَ عِنْدَ الْحَقَاتِي  
وَتَيْمٌ تَمَاشِيهَا الْكَلَابُ إِذَا غَدَا      وَلَمْ تَمَشِ تَيْمٌ فِي ظِلَالِ الْخَوَافِي  
وَتَيْمٌ يَلْبُوبِ الزُّرُوبِ أَذِلَّةٌ      وَمَا تَهْتَدِي تَيْمٌ لِأَبِ السُّرَادِي  
وَمَا أَحْسَنَ التَّيْمِي فِي جَاهِلِيَّةٍ      مُنَادِمَةَ الْجَبَّارِ فَوْقَ النَّمَارِقِ (١)  
تَعَادَى عَلَى الثَّغْرِ الْمَخُوفِ جِيَادُنَا      وَتَيْمٌ تَحَاسَى جُنْحًا فِي الْمَعَالِقِ (٢)  
وَمَا أَنْتُمْ يَا تَيْمٌ قَدْ تَعْلَمُونَهُ      بِفَرَسَانِ غَارَاتِ الصَّبَاحِ الدَّوَالِقِ

هذه المهاجى الواضحة في شعر جرير تدلُّ دلالةً أكيدةً على الحشد  
الذي أشرنا إليه في أسلوبه المرتكز على إنهالك المهجور بكثرة الألفاظ  
اللاذعة القارصة، ولا ينفك عنه، إلا وقد تركه غارقاً في بحران الذلِّ  
والهوان. وإذا راجعنا الأبيات التي بين أيدينا نشاهد تراكم كلمة «تيم»  
فيها، حتى أنه لا يخلو بيت واحد من ذكرها وهذا على مَ يمل؟  
إنه يدلُّ على التركيز الذي أشرنا إليه، والذي يصرُّ على جعل السمع  
يضحك بذكر «التيم» الفضيحة التي تملأ الكون لكثرة ما تتردد على

(١) النمارق: الوسادات.

(٢) نحاسي: تشرب الحساء. المعالق: واحدها معلق وهو وعاء يحملة الفارس.

السنة الناس، إته الإعلام الذي ابتكره جرير في عصره وجعل خصمه ضحية الشائعة المروجة على لسان الشاعر والتي لا يستطيع منها فكاً.

ولما كان النيل من المرأة يمسُّ شرف القبيلة عند العرب ولما كان العصر الأموي توارث هذا التقليد في مجتمعه، فقد عمد جرير إلى الأخذ بتلك العادة المتبعة، وأدخلها صلب المهجو في شعره، حيث يخاطب الفرزدق هاجباً:

إِذَا أَسْفَرْتَ يَوْمًا نِسَاءً مُجَاشِعٍ    بَدَتْ سَوْدَةٌ مِمَّا تُجِنُّ الْبَرَاغِ  
مَنَاخِرُ شَاتَتِهَا الْقَيْونُ كَانَهَا    تُتَوَفُّ خَتَايِرُ السَّوَادِ الْقَوَاعِ<sup>(١)</sup>  
مَبَاشِئُهُمْ عَنْ عِيبِ الْخَزِيرِ كَانَتْ    تُصَوِّتُ فِي أَعْفَاجِهِنَّ الضَّفَادِعُ<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ قَوَّسَتْ أُمُّ الْبَعِيثِ وَأَكْرَهَتْ

عَلَى الزَّفْرِ حَتَّى شَجَّجَهَا الْأَخَادِعُ<sup>(٣)</sup>

ورغم الزرابة التي كان عليها نسبة من ناحية جدّه وأبيه، فلم يتورّع عن ذمّ نسب الآخرين، والحق كل ذميمة بعرضهم ونسب عائلتهم. ولقد لاحظنا الضعة التي كان عليها والده في الرعي، وامتصاص ثدي الماعز لرضع الحليب، ورغم ذلك فهو يعير الفرزدق بمهنة ينسبها إليه، ويقول فيها:

(١) القوابع: أصوات الخنازير.

(٢) المباشم: الذي يأكل بنهم حتى التخمّة. الخزير والخزيرة: دقيق يخلط بالماء ويوضع على النار حتى يتماسك قوامه. وقد يوضع فيه لحم أو هو مرقّة تتخذ من بلالة النخالة. الأعفاج: الأمعاء. وغب كل شيء: عاقبه.

(٣) الأخادع: عرقان في صفحة العنق.

وَأَوْصَى جُبَيْرٌ إِلَى غَالِبٍ      وَصِيَّةَ ذِي الرُّجَمِ الْمُجْهَدِ  
فَقَالَ: ارْقَنْ بِلَيِّ الْكَثِيفِ      وَحَكَ الْمَشَاعِبِ بِالْمَبْرَدِ<sup>(١)</sup>  
وَجَعَلْنَا حَطُّ بِهَا الْمَنْقَرِيَّ      كَرَجَعَ يَدِ الْفَالِجِ الْأَمْرَدِ<sup>(٢)</sup>  
تَشَاءَبُ مِنْ طُولِ مَا لُبَّرَكَتْ      تَشَاوَبُ ذِي الرُّقِيَةِ الْأَزْرَدِ<sup>(٣)</sup>  
فَهَلَّا تَأَزَّتْ بَيْنَتِ الْقُيُونِ      وَتَتَرَكَ شَوْقًا إِلَى مَهْرَدِ<sup>(٤)</sup>  
وَهَلَّا تَأَزَّتْ بِحِلِّ النَّطَاقِ      وَدَقَّ الْخَلَاحِيلِ وَالْمِقْصَدِ<sup>(٥)</sup>  
فَأَصْبَحْتَ تَقْفِرُ آثَارَهُمْ      ضَحَى مِثْيَةَ الْجَادِقِ الْأَعْقَدِ<sup>(٦)</sup>  
كَلِيلًا وَجَدْتُمْ بَنَى مَنْقَرٍ      سِلَاحَ قَتِيلِكُمْ الْمُسْنَدِ<sup>(٧)</sup>  
تَقُولُ نَوَارٌ فَضَحَّتِ الْقُيُونُ      فَلَبِثَ الْفَرَزْدَقَ لَمْ يُوَلِّدِ  
وَقَالَتْ بِذِي حَوْمَلٍ وَالرَّمَاخِ      شَهِدْتَ وَلَيْتَكَ لَمْ تَشْهَدْ  
وَقَارَ الْفَرَزْدَقَ بِالْكَلْبَتَيْنِ      وَعَدَلَ مِنْ الْحَمَمِ الْأَسْوَدِ

(١) الكثيف: ضباب الحديد. والواحدة كثيفة. وهي حديقة عريضة يخلق بها الباب. المشاعب: جمع مثقب. وهو المثقب الذي يقبض به. وقوله: لي الكثيف: أي طي الحديد.

(٢) المنقري: عمران بن مرة. الفاليج: الإبل ذات السنمين.

(٣) المقصود في هذا البيت: أن من عليه رقية يتشأب عند الرقي والدرد: من خلا فمه من الأسنان.

(٤) المقصود بينت القيون: نوار.

(٥) أراد بهذا البيت: الدعوة إلى الثأر وهل نطاق الإبل استعداداً للمواجهة.

(٦) الحاذق الأعقد: صفات قبيحة تطلق على الكلاب.

(٧) كليلًا: بعد كثير من الجهد المسند: الذي يتسبب إلى القوم وهو غريب عنهم.

فَرَقَعَ لِحْجَتَكَ أَكْبَارَهُ وَأَصْلَحَ مَتَاعَكَ لَا تُفْسِدِ (١)  
وَأَذِنَ الْعَلَاءَ وَأَذِنَ الْقُدُومَ وَوَسَّعَ لِكَيْفِكَ فِي الْمَقْعَدِ (٢)

ولا يكفي بهذا القدر من الإهانة والتحقير، ووضع الفرزدق موضع المهنة الحقيرة حتى يتهم جدته بعلها تجبير، ويقول إنها ولدت ابنها غالباً (والد الفرزدق) منه. ويتقصد أن يبدو في شعره وكأنه يمرُّ بذلك مرور من يُلقى الخير وكأنه حقيقة مفروغ من صحتها لا تحتاج إلى إثبات، حيث يقول:

وَجَدْنَا جُبَيْرًا أَبَا غَالِبٍ بَعِيدَ الْقَرَابَةِ مِنْ مَعْبَدِ (٣)  
أَتَجْعَلُ ذَا الْكَيْفِ مِنْ مَالِكٍ؟ وَأَمِنْ سُهَيْلٍ مِنَ الْفَرَقْدِ (٤)  
وَشَرُّ الْغَلَاءِ ابْنُ حَوْقِ الْحِمَارِ وَتَلْقَى قُفَيْرَةَ بِالْمِرْصَدِ (٥)  
وَعِرْقُ الْفَرَزْدَقِ شَرُّ الْعُرُوقِ خَيْثُ الثَّرَى كَالْيُ الْأَزْنَدِ (٦)

وعند جرير قُدْرَةٌ فائقة، في ضم القبائل بعضها إلى بعض ضمن تحاليل مخبرية ذهنية، تعتمد العرق والأصل لإعلاء من يودُّ رفع قدره، وإسفال من يريد له السفالة والمهانة، كمثل تهكمه في هجاء التيمم بقوله:

- 
- (١) الأكيار: الصلوات.  
(٢) العلاء: السندان.  
(٣) جبير: خادم كان عند جدِّ الفرزدق. معبد: ابن زرارة بن علس الدرامي.  
(٤) الكيف: زق ينفخ فيه. سهيل، والفرقد: من الكواكب.  
(٥) قفيرة: أم الفرزدق وقد أشرنا إلى ذلك.  
(٦) الثرى: التراب والمعنى مجازي يقصد به أصل الفرزدق الكلمي الأزند: الذي لا يُرجى منه خيراً.

لَقَدْ عَجِيتَ قَيْسَ وَكَرُّهُنَّ وَآثِلَ وَقَالَتْ تَعِيْمُهُمْ فِيمَ تَيْمٌ مِنَ الْفَخْرِ  
 فَلَوْ غَيْرُ تَيْمٍ يَفْخَرُونَ عُلُرَتْهُمْ أَتَيْمٌ، لَهْنُ تَيْمِ اللُّؤْمِ يَا سَوَاةَ الدَّهْرِ  
 أَتَفْخَرُ تَيْمٌ بِالضَّلَالِ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ حَسَبٌ ذَلِكَ وَلَا عِلْدٌ مِثْرُ

وبدأ بهذا البيت، ينزل المهانة على قبيلة تيم من ناحية التبذل  
 الأخلاقي، وتكرار المعاني، التي جاءت نتيجة طبيعية الإكثار، حتى  
 لا يسكت عن المجو فيكون مقلوباً. ثم يستمر في الخط من قدر  
 تيم فيقول:

فَمَا فَخَرْتُ تَيْمَ يَوْمٍ عَظِيمَةٍ وَلَا قَبَضُوا إِلَّا بِخَالِفَةٍ صِفْرِ<sup>(١)</sup>  
 بَنَى التَّيْمَ مَا لِلْوَمِ مَعْدَى وَرَاءَ كُمْ وَلَا عَنْكُمْ يَا تَيْمٌ لِلْوَمِ مِنْ قَصْرِ  
 كَسَا اللُّؤْمُ نَيْمًا خُضْرَةً فِي وَجْهِهَا فَيَا خَزِي تَيْمٍ مِنْ سَرَابِيلِهَا الْخُضْرِ<sup>(٢)</sup>  
 وَلَوْ تَسْتَعْفُ التَّيْمُ أَوْ تُحْسِنُ الْقِرَى وَلَكِنْ تَيْمًا لَا تَعْفُ وَلَا تَقْرَى<sup>(٣)</sup>  
 فَمَنْ يَكُ يَسْتَفْنِي وَيَغْبِطُ بِالْفَنَى فَمَا لَهْنُ تَيْمٍ مِنْ فَعَالٍ وَلَا وَفْرِ

وجرى بارع في انتزاع الضحك من الناس استهزاء بمن يهجوهم،  
 ومن أمثله ذلك، هذا الهجاء الذي يكمل به قصيدته في التيم، والذي  
 يعتمد على النكتة المضحكة في قوله:

وَلَوْ يُدْفَنُ التَّيْمِيُّ، ثُمَّ دَعَوْتُهُ إِلَى فَضْلِ زَادٍ جَاءَ يَسْمَى مِنَ الْقَبْرِ

(١) الخالفة: التي لا ترجى منها الخير.  
 (٢) السرايل: مفردا سرايل وهو القميص.  
 (٣) تقرى: تطعم للضيف.

وَلَوْ شِئْتُ غَمَّ النَّاسِ عَنَّا لَوَسَّوْا وَمَالِكٌ وَطَمَ عَلَيْهِمْ قُمْقُمَانٌ مِنَ الْبَحْرِ<sup>(١)</sup>

ويصل بنا إلى حدِّ الإغراق في الضحك حين يقول:

وَأَيُّ لَوْثٍ النَّاسِ أَنْ لَوْ عَدَدْتُمْ أَصْلَحَ تَيْمٍ نَقَصَنَ مِنَ الْعَشْرِ

وكان لابدَّ لجريِّر من الإكثار اللاذع في هجائه، ليدلِّل على قدرته الشعرية، والتهديد بما يصيب الخصم من تكالٍ وعارٍ وهجاؤه يصور منافسة فنية تدعونا إلى متابعة هجائه في «تيم» حيث يقول فيهم في قصيدة أخرى تطفح بالسخرية المضحكة:

يَا تَيْمُ إِنَّ بُيُوتَكُمْ تَيْمِيَّةٌ قُبْتُ الْعِمَادِ قَصِيرَةَ الْأَطْنَابِ<sup>(٢)</sup>

يَا تَيْمُ ذَلُّكُمْ الَّتِي يُدْكِي بِهَا خَلَقُ الرُّشَاءِ، ضَعِيفَةُ الْأَكْرَابِ<sup>(٣)</sup>

أَعْرَابُكُمْ عَارٌّ عَلَى خُضَارِكُمْ وَالْحَاضِرُونَ خَزَايَةُ الْأَعْرَابِ

ثم يصل إلى منتهى الدعابة المزرية، ساعة يجعلهم أحمط خلق الله مهانةً وسفلها درجةً للقذارة حين يقول:

قَوْمٌ إِذَا حَضَرَ الْمُلُوكَ وَفُودُهُمْ نُبَّتْ شَوَارِبُهُمْ عَلَى الْأَبْوَابِ

إِنِّي وَجَدْتُ أَبَاكَ إِذَا اتَّبَعْتُهُ عَبْدًا يَمْشِي بِأَلَمِ الْأَنْسَابِ

الْفَيْتُ لَمَّا جَرَى يَدُكَ شَأُونَا حَطَمَ الْيَدَيْنِ مَكْسَرُ الْأَصْلَابِ

وَمَضَى عَلَيْكَ مُصَلِّرٌ ذُو مِيعَةٍ رَيْدُ الْيَدَيْنِ يَفُوزُ بِالْأَقْصَابِ<sup>(٤)</sup>

(١) القُمْقُمَان: الماء الكثير.

(٢) قُبْتُ: مرهلة. الْأَطْنَاب: الجبال.

(٣) خَلَقُ: بالية. الْأَكْرَاب: الجبال.

(٤) مِيعَةٌ: خُزْء. رَيْدُ: خفيف. الْأَقْصَاب: القصب.

يَا تَيْمُ مَا خَطَبَ الْمُلُوكُ بَنَاتِكُمْ رِنَحُ الْخَنَافِسِ فِي مُسُوكِ ضِيَابٍ<sup>(١)</sup>

ثم ينتقل من هذا التشنيع. إلى لئيم الصفات، حيث التماذي بلصق السمات البشعة في وجوه التَّيْم، فيقول:

يَا تَيْمُ إِنَّ وُجُوهَكُمْ فَتَقَنَّوْا طُبِعَتْ بِالْأُمِّ خَاتَمَ وَكِتَابِ

لَا تَخْطُبُنَّ إِلَى عَدِيٍّ إِنْكُمْ شَرُّ الْفُحُولِ وَالْأُمُّ الْخُطَّابِ

يَا تَيْمُ هَا تُوَا مِثْلَ أُسْرَةٍ قَعْنَبِ أَوْ مِثْلَ بَيْتِ الْحَارِثِ بْنِ شَهَابِ

وإذا تصدَّى جرير للفرزدق، فإنما يتصدَّى له ببخبي مُغْرِقٍ في السخرية، فهو يُؤَلَّد من اتخاذ أجداد الفرزدق الحدادة شتى الصُّور. فهو مرَّةً يتصور جدَّ الفرزدق في قبره، وقد دُفِنَتْ معه آلات الحدادة وأدواتها، من كتيِف وكلبتين ومنشار، ثم يتصور الناس، وقد انكسر لأحدهم قَدْرٌ أو مِرْجَل، فيتذكره لأنه كان يصلحها:

سُئِّرَ قَيْنَكُمْ وَلَا يُوفَى بِهَا قَيْنٌ بِقَارِعَةِ الْمِقَرِّ مَثَارٍ<sup>(٢)</sup>

وَجِدَّ الْكَثِيفُ ذَخِيرَةً فِي قَبْرِهِ وَالْكَلْبَتَانِ جُمُعِينَ وَالْمِنْشَارُ<sup>(٣)</sup>

يَنْكِي صَدَاهُ إِذَا تَهَزَّمَ مِرْجَلٌ أَوْ إِنْ تَثَلَّمَ بُرْمَةً أَعْشَارُ<sup>(٤)</sup>

ومرَّةً يتصور حلداء زوج الفرزدق، وقد أنكرت ربحه وما علا جسمه القصير من صدأ الحديد، ويتصور الفرزدق إذ يطلب إليها

(١) مسوك: جلود.

(٢) المقر: جبل في منطقة كاظمة بالعراق فيه دفن والد الفرزدق غالب.

(٣) الكتيِف والكلبتان والمنشار: من آلات الحدادة. وقد مرَّ ذكرها سبقاً.

(٤) تهزَّم: تصدع. تثلَّم: تشقق. رمة أعشار: قدر مهشمة.

أن تصلح ما فسد من الأكيار بترقيعه، فتقول له إنها لا تجيد ذلك ولا تعرفه، لأن أجدادها من أشراف العرب، وليسوا كأجداده، أصحاب حدادة. وهي تدعو الله أن يخلصها من هذا البلاء الذي ألقاها أهلها فيه، مستعيذة به من شر هذا الصهر المشؤوم، ومن جوار هذا الحداد المتن الرائحة<sup>(١)</sup> وفي ذلك يقول:

حَذَرَاءُ أَنْكَرَتِ الْقُبُورَ وَرَبَّحَهُمْ وَالْحُرُّ يَمْنَعُ ضَيْمَهُ الْإِنْكَارُ  
لَمَّا رَأَتْ صَدَأَ الْحَدِيدِ بِجِلْدِهِ فَالْلُّونُ أَوْزَقَ وَالْبَنَانُ قَصَارُ<sup>(٢)</sup>  
قَالَ الْفَرَزْدَقُ رَقِيعِي أَكْيَارَنَا قَالَتْ: وَكَيْفَ تَرْفَعُ الْأَكْيَارُ  
رَقْعٌ مَتَاعَكَ إِنْ جَدِّي خَالِدٌ وَالْغَيْنُ جَدُّكَ، لَمْ تَلِدْكَ نِزَارُ  
وَسَمِعْتَهَا اتَّصَلَتْ بِذَهْلٍ إِنَّهُمْ ظَلَمُوا بِصَهْرِهِمُ الْقُبُورَ وَجَارُوا<sup>(٣)</sup>  
دَعَتْ الْمُصَوِّرَ دَعْوَةً مَسْمُوعَةً وَمَعَ الدُّعَاءِ تَضَرُّعٌ وَحِذَارُ  
عَاذَتْ بِرَبِّكَ أَنْ يَكُونَ قَرِينُهَا فِينَا أَحْمَ لِقَسْوِهِ إِعْصَارُ<sup>(٤)</sup>

وفي تتبعنا للأهاجي التي يلاحق بها جرير الفرزدق، نجد فيها خروجاً عن الآداب في شتائمه، وشذوذاً عن الذوق المهذب والخلق السليم. والذي يعيننا في هذا الصدد، تلك الألفاظ العامية المتبدلة، التي تنقل السباب من أفواه الدّماء كما هو، لا عمل فيه للخيال،

(١) محمد حسن: محمد: الهجاء والمجازون في صدر الإسلام: ص: ١٦٧.

(٢) الأوراق: لون الرماد.

(٣) ذهل بن شيان: بطن من بطون بكر، وهم قوم حوراء زوج الفرزدق اتصلت بذهل، أي نادى مستجيرة بهم: بالذهل.

(٤) الأحم: الأسود. الأعصار: الريح الشديدة.



فهبط بمستوى الصناعة الشعرية عما ينبض به من ترفع فني. وجرير نال من الأخطل كما نال من الفرزدق في هجائه المقلع القارص الذي يقول فيه:

يَا لِبَنِ الْخَيْثَةِ رِيحاً مَنْ عَذَلَتْ بِنَا      أَمْ مَنْ جَعَلَتْ إِلَى قَيْسٍ إِذَا ذَخَرُوا<sup>(١)</sup>  
 قَيْسٌ وَخِنْدِفُ أَهْلِ الْمَجْدِ قَبْلَكُمْ      لَسْتُ إِلَيْهِمْ وَلَا أَنْتُمْ لَهُمْ خَطَرٌ<sup>(٢)</sup>  
 مَوْتُوا مِنَ الْغَيْظِ عَمَّا فِي جَزِيرَتِكُمْ      لَمْ يَقْطَعُوا بَطْنَ وَادٍ دُونَهُ مُضَرٌ  
 وَمَا لِتَغْلِبَ إِنْ عَدْتُ مَسَاعِيهَا      نَجْمٌ يُضِيءُ وَلَا شَمْسٌ وَلَا قَمَرٌ  
 وَالتَّغْلِييُ لَيْسَ حِينَ تَجْهَرُهُ      وَالتَّغْلِييُ لَيْسَ حِينَ يُخَبَرُ<sup>(٣)</sup>  
 مَا كَانَ يَرْضَى رَسُولُ اللَّهِ دِيْنَهُمْ      وَالطُّيْبَانِ لُهُوَ بَكْرٍ وَلَا عَمْرٌ  
 جَاءَ الرَّسُولُ بِدِينِ الْحَقِّ فَاتَّكَبُوا      وَهَلْ يَضِيرُ رَسُولَ اللَّهِ إِنْ كَفَرُوا  
 يَا خُزَرَ تَغْلِبَ إِنْ اللُّؤْمُ خَالَفَكُمْ      مَا دَامَ فِي مَارِدِينَ الزَّمْتُ يُخْتَصَرُ<sup>(٤)</sup>

وقد غلب على جرير في هجائه، مرحة ودعابته. فكان مذهبه في الهجاء قوله «إذا هجوت فأضحك». وكان أسهل من الفرزدق والأخطل، وأكثر منهما حظاً عند الناس. ولم يكن يتكلف في شعره ما يتكلف صاحبا من العناء.

فهو يكتفي بما وهبه الله من طبع شعري خصب، ومن حس

(١) عدل فلاناً بفلان: سوى بينهما. قيس: أي قيس عيلان.

(٢) الخطر: القتل والتعديل.

(٣) جهر الرجل: رآه بلا حجاب بينه وبينه.

(٤) ماردن: بلدة قرب حلب.

فني دقيق رقيق، وبأخذ فيض هذه المواهب، دون أن يلح في استنزافها. أو استخلاص أقصى ما تحمله من إجهاد. ولذلك بدا في شعره عامة، وفي هجائه خاصة، وكأنه يتكلم في غير قصد إلى الشعر فإذا هو يقول شعراً. وقد أحسن قلماء النقاد وأصلهوا، إذ وصفوه بأنه ينفرف من بحر. وقد أتاحت له هذه السهولة قدرة عجيبة على الإطالة، لم يكد يجاريه فيها إلا الفرزدق، وجعلت هجاءه أكثر ذبوعاً على السنة العامة<sup>(١)</sup> والواقع أن القصد إلى الهجاء لم يكن هو الدافع الأول إلى إنشاء هذه المجموعة الضخمة من النقائض لدى الشعراء الثلاثة. فلم يكن همُّ جرير أن ينال من خصمه فحسب، ولكن كان همه الأول أن يجيد ويدع ويتفوق في فنه، من مثال ذلك قوله في هجاء الأخطل:

عَبَدُوا الصَّلِيبَ وَكَلَبُوا بِمُحَمَّدٍ وَجَبْرِئِيلَ وَكَلَبُوا مِيكَالَا  
 أَسَيْتَ يَوْمَكَ بِالْجَزِيرَةِ بَعْلَمَا كَأَنَّ عَوَاقِبُهُ عَلَيْكَ وَبَالَا  
 حَمَلَتْ عَلَيْكَ حُمَاةَ قَيْسٍ خَيْلَهَا شُعَا عَوَاسٍ تَحْمِلُ الْأَهْطَالَا  
 زَفَرُ الرَّئِيسِ أَبُو الْهَذِيلِ لُبَّاذِكُمْ فَسَبَى النِّسَاءَ وَأَخْرَزَ الْأَمْوَالَا<sup>(٢)</sup>  
 قَالَ الْأَخْيَطِيلُ إِذْ رَأَى رَأْيَاتِهِمْ بِمَا مَارَ سَرْجِسَ لَا تُرِيدُ قِتَالَا  
 هَلَا سَأَلَتْ غَنَاءَ دِجْلَةَ عَنْكُمْ وَالخَامِصَاتُ تُجَمِّعُ الْأَوْصَالَا<sup>(٣)</sup>  
 تَرَكَ الْأَخْيَطِيلُ أُمَّهُ وَكَاتَبَهَا مَنَحَاةَ سَائِيَةٍ تُدْهِرُ مَحَالَا

(١) محمد حسين محمد: الهجاء والمجاؤون في صدر الاسلام: ص: ١٦٠.

(٢) زفر: لمن الحارث. ويحدث جرير هنا عن يوم الكحل.

(٣) والخامصات: الضباع.

وَرَجَا الْأَخْيَاطُ مِنْ سَفَاهَةِ رَأْيِهِ مَا لَمْ يَكُنْ وَابًّا لَهُ لَيْسَ لَا  
 خَلُّ الطَّرِيقِ فَقَدْ رَأَيْتَ قُرُومَنَا تَنْفِي الْقُرُومَ تَخْمُطًا وَصَيَالًا<sup>(١)</sup>  
 تَمَتْ تَمِيمِي يَا أَخْيَاطُ فَاحْتَجِرْ حَزِي الْأَخْيَاطُ حِينَ قُلْتَ وَقَالَ  
 وهكذا، فقد كان يكلف نفسه أن يجيب على خصمه بقصيدة  
 من نفس البحر والروي. وهو تكليف يضيق على الناقض السبيل،  
 ويظهره بمظهر المتحدّي الذي يترك لخصمه اختيار نوع السّلاح  
 الذي يريدان يارز به. وهذا التنافس يعلّل لنا ما نجد في النقائض  
 من فخر كثير بالبراعة في الشعر، وشدة وقعه، وذووعه على ألسن  
 الناس وتكرار هذا الفخر في كل مكان بأسلوب متشابه يضيق به  
 القاريء في كثير من الأحيان ومن أمثله ذلك فائية الفرزدق المشهورة  
 التي يقول فيها:

عَزَفْتُ بِأَعْشَاشِهِ وَمَا كَذَتْ تَعْرِفُ وَأَنْكَرْتُ مِنْ حَذَرَاءِ مَا كُنْتُ تَعْرِفُ  
 فقد أنشأها يجيب على شاعر الأنصار، الذي تحداه أن يقول مثل  
 قول حسان (لنا الحفيمات الغرّ يلعبن بالصخر) وهي قصيدة طويلة  
 تزيد على مائة بيت. ولم يعرض فيها لجريز كلّها فخر بنفسه ويقومه.  
 ولكن جريزاً نقضها عليه بفائيته التي يبدأها بقوله:

أَلَا أَيُّهَا الْقَلْبُ الطَّرُوبُ الْمُكَالِفُ أَفِقْ رُبَّمَا يَنْأَى هَوَاكَ وَيُسَعِّفُ<sup>(٢)</sup>  
 ثم ينتقل إلى الهجو بقوله:

(١) التخمط: الهدير. الصيال: من صال في المكان.

(٢) يسعف: يقترب.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَخْزَىٰ مُجَاشِعًا إِذَا ضَمَّ أَفْوَاجَ الْحَجِيجِ الْمُرْفِ  
وَيَوْمَ مَنَىٰ نَادَتْ قُرَيْشٌ بِغَدْرِهِمْ وَيَوْمَ الْمَدَايَا فِي الْمَشَاعِرِ عُكْفٌ<sup>(١)</sup>  
وَيَنْغِضُ سِتْرُ الْبَيْتِ آلَ مُجَاشِعٍ إِذَا انْحَدَرُوا مِنْ نَخْلَتَيْنِ وَأَرْجَفُوا  
وبعد سماع الفرزدق نقيضة جرير، اضطر أن يلحق بقصيدته  
أبياتاً لا تزيد على العشرين، يردُّ بها على جرير. ولم يكن الهجاء هو  
الغرض الأساسي في كل القصائد التي اشتملت عليها النقائض. فقد  
كان الشاعر ينشئ قصيدته في بعض الأحيان لغرض آخر غير الهجاء  
فلا يلبث خصمه أن ينقضها. والأمثلة على ذلك كثيرة، منها لامية  
الأخطل التي يقول فيها:

عَفَا وَاسْطَ مِنْ آلِ رَضْوَى فَنَبَلُ فَمُجْتَمَعُ الْحُرَيْنِ فَالْصَّبْرُ أَجْمَلُ  
فهو لم يذكر فيها جريراً ولم يعرض له. وإنما أنشأها في مدح  
خالد بن عبد الله بن أسيد. بدأها بالوقوف على الأطلال، وشبه  
نفسه في ذهوله بالثمل، وانتهاز هذه الفرصة، فتنخلص إلى الخمر،  
وأطال ثم انتقل إلى وصف الصحراء، ووحشتها، وقسوتها على  
المسافر فيها، وما لقيت ناقته من تعب، وما تعرض له معها من أهوال  
في سبيل الوصول إلى ممدوحه. فلم يصل إليه إلا وقد فرغ من نصف  
قصيدته غزلاً وخمراً ووصفاً. ثم صرف بقية قصيدته في الإشادة  
بممدوحه، ولم يكد يخرج من ذلك عمداً ألف العرب في مدح السادة  
والقواد. وقد كان يمكن أن تمر القصيدة بسلام من غير أن تسترعي  
إتباه جرير، لولا أن الأخطل قد عرض في نهايتها لوقعة الجحاف

(١) يوم منى: يوم النحر. يوم المدايا: يوم الوقوف على جبل عرفات.

ببني تغلب في يوم «البشرة» وعاتب بني مروان في ذلك عتاباً عنيفاً، وحملهم جريوة هذا اللصّ الخارج على القانون والزمهم ما ضاع من دماء قومه. وكاد يصفهم بأشنع ما يوصم به عربيّ من انتهاك جواره<sup>(١)</sup> ملوحاً بقوة قومه، بما يشبه التهديد الذي يقول فيه:

فَسَائِلُ بَنِي مَرْوَانَ مَا بَالُ ذِمَّةٍ وَجَبَلُ ضَعِيفٍ مَا تَزَالُ تُوصَلُ  
بِنَزْوَةِ لَصٍّ بَعْدَ مَا مَرَّ مُصْنَبٌ بِأَشْنَعٍ لَا تُغْلِي وَلَا هُوَ يُغْسَلُ<sup>(٢)</sup>

وهكذا يستمر الأخطل في تعريضه وعتابه في بقية الأبيات التي نُبِهُتْ جريواً، فنقض عليه قصيدته، متشمتاً بما لقي التغليون على يد الجحاف معبراً الأخطل بأثره، وضعفه عن الإلتصار بغير قریش، الذي هم في حقيقة الأمر أبناء عمومة القيسية، لأنّهم مضرية. ويقول في ذلك:

بَكَى دَوْبَلٌ لَا يُرْقَىءُ اللَّهُ ذِمَّتَهُ أَلَا إِنَّمَا يَكْنِي مِنَ الذَّلِّ دَوْبَلٌ<sup>(٣)</sup>  
جَزَعَتْ ابْنُ ذَاتِ الْفُلْسِ لِمَا تَدَارَكَتْ مِنَ الْحَرْبِ آتِيَابَ عَلَيْكَ وَكَلْكَلٌ<sup>(٤)</sup>  
فَإِنْ لَا تَعْلُقَ مِنْ قُرَيْشٍ يَلِمَةُ فَلَيْسَ عَلَى أَسْيَاقٍ قَيْسٍ مُعْوَلٌ  
لَنَا الْفَضْلُ فِي الدُّنْيَا وَأَنْفُكَ رَاغِمٌ وَنَحْنُ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَفْضَلُ

(١) محمد حسين محمد: الهجاء والمجاوزون في صدر الإسلام: ص: ١٥٥-١٥٤.

(٢) بأشنع: يعني ابن زياد. وكان مصعب قد قُتِل. فلما كانت وقعة دير الجليلق، اجثت عبيد الله بن زياد رأس مصعب.

(٣) رقاً الذم: تقطع. يدعو عليه فيقول: لا جفف الله دمك. دويل: لقب للأخطل في صفه. ومعناه الحمار.

(٤) الفُلْس: ورقة الجزية. كنت نختم وعلقها الذمي في عنقه دلالة على أنّه أذى الجزية

وجرير بعد كل هذا، ساخر من خصمه. متهمكم به، لا تراه غاضباً أبداً وقد جعل هذا المدوء لسخرته للدعاً كائن السياط. ومن أمثلة ذلك قوله في تعبير بني مجاشع بلقيط بن زُرارة، الذي قتل في بعض الحروب:

وَحَوَّزُ مُجَاشِعٍ تَرَكَوا الْقَيْطُا وَقَالُوا جِنَوْ عَيْنِكَ وَالْغَرَابُ<sup>(١)</sup>

جعلهم يتحدثون إلى الميت، ويطلبون إليه أن يحافظ على عينه من الغراب. ونحن إذا تتبعنا شعره في المهجاء، نجد أنه يلزمنا دراسة مستقلة، تنحصر في فن المهجاء عند جرير وحده. وهي التي كفلت لشعره السيورة والذيع. وجعلت منه أروع هجاء عرفه الأدب العربي في مهاجمة الأفراد. فلم يعرف الأدب العربي شاعراً تعرض له مثل هذا العدد الضخم من الشعراء الذين تعرضوا لجرير، فكان لا يَمَلُّ الرد عليهم، ولا يضيق بهم. وكأن مواهب هذا الرجل الشعرية لم تكن تسخو وتجوّد إلا على المهجاء<sup>(٢)</sup> ونحن لا نستطيع أن نزعم أن هذا الغنى المجائي في هذه النقائض ممتاز، يبلغ حدّ الرّفعة. وقد يكون من الظلم للنقائض وللعصر الذي اتسعت فيه، أن تقارن بغيرها من ألوان المهجاء في الأمم الأخرى، أو تقارن بالشعر المجائي العباسي، كهجاء ابن الرومي والمتنبي والمعري. إنما من العدل أن تقاس هذه النقائض بعصرها، وظروفها التي أحاطت بها. فهي أولاً شعر بدوي لا يتذوقه القارئ المعاصر في سهولة ويسر،

(١) حنو العين: عظم الحاجب المنحني على العين. يهزأ به فيقول: إحفظ الغراب بعينك، فإن انصرفت عن مراقبته سقط عليها فأكلها.

(٢) محمد حسين: محمد: المهجاء والمجاوون في صدر الاسلام: ص: ٢٠٢.

لأنه لا يترك في نفسه صدى، ولم يقصد به أصحابه أن يخاطبوه، وإنما خاطبوا به قومهم، ممن هم على شاكلتهم في البداوة. وعلى طريقتهم في الحسّ والذوق. فالقارىء لا يستطيع أن يحس جماله، إلا بعد أن يقاسي كثيراً من الملل والسأم. ويتجلّد لما تضيق به نفسه في أول الأمر حتى إذا أوغل في القراءة ومضى في الدراسة غمره جو هذا الشعر ونقله إلى قلب البادية. وإلى صميم الحياة البدائية الخشنة. وعند ذلك فقط يستطيع أن يتذوق شعرهم لأنه تعرّف على أصحابه، وصحبهم صحبة طويلة تخلق في نفسه شيئاً من الإلفة لهذه الحياة ولهؤلاء الشعراء في هجائهم، بحكم الظروف التي أحاطت به، والتي دعت إلى إنشائه<sup>(١)</sup>.

#### الرثاء:

وكما تفوق جرير على صاحبيه الفرزدق والأخطل في الهجاء، كذلك تفوق عليهما في الرثاء، لأن الرثاء يحتاج وفرة في الشعور، وصدقاً في الإحساس، فإذا اتفق أنه يصدر من نفس محزنة، كان ذلك عاملاً آخر في إحسانه والبراعة فيه. وقد سبق وقلنا، إن الأخطل كان متكلفاً في شعره، لا يصدر فيه عن طبع، ولا ما يشبه الطبع، فطبيعي أن لا يتفوق في هذا الفن. وكذلك كان الفرزدق غليظاً جافاً، فيه صلابة، وفيه خشونة، فكان من الطبيعي أيضاً أن لا يتفوق فيه. إنما يتفوق فيه جرير، الذي رقق مشاعره الإسلام، والذي طبع بؤس أسرته نفسه بطابع حزين نلمحه في رثاء زوجته أم حرزة، حين قال في مطلع قصيدته الرائية:

(١) محمد حسين محمد: الهجاء والمجاؤون في صدر الإسلام من: ٢٠٣.

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَعَادَنِي اسْتِغْبَارُ      وَلَزُرْتُ بَيْنَكَ وَالْحَبِيبُ بُرَارُ<sup>(١)</sup>  
وَلَقَدْ نَظَرْتُ، وَمَا تَمَتُّعُ نَظَرَةٍ      فِي اللَّحْدِ حَيْثُ تَمَكَّنَ الْمُخْفَارُ<sup>(٢)</sup>  
أَرْغَى النُّجُومَ، وَقَدْ مَضَتْ غَوْرِيَّةُ      عَصَبُ النُّجُومِ كَأَنَّهُنَّ صُورُ<sup>(٣)</sup>  
نِعَمَ الْقَرْنَيْنِ، وَكُنْتُ عَلِقَ مَضِينَةٍ      وَأَرَى يَنْغَفِرُ بُلَيْةَ الْأَحْجَارِ<sup>(٤)</sup>  
عَمِيرَتُ مُكْرَمَةَ الْمَسَاكِ وَفَارَقْتُ      مَا مَسَّهَا صَلَفٌ وَلَا إِقْتَارُ<sup>(٥)</sup>  
فَسَقَى صَدَى جَدَّتِي، بِرُقَّةٍ ضَاحِكِ      هَزِمَ أَجَشُّ وَدِهَمَةُ مِذْرَارِ<sup>(٦)</sup>  
هَزِمَ أَجَشُّ إِذَا اسْتَحَارَ بِبِلْدَةٍ      فَكَلَّمَا بِجَوَائِهَا الْأَنْهَارُ<sup>(٧)</sup>  
مُتْرَاكِمَ زَجَلٍ يُضِيءُ وَمِضْنُهُ      كَالْبَلْقِ تَحْتَ بَطُونِهَا الْأَنْهَارُ<sup>(٨)</sup>

(١) استغبر: جرت عبرته، بكى، حزن. بينك: هي الرواية الصحيحة، وكان العرب القديما يسمون القبر «بيتاً» ويكرمونه. إكرامهم للبيوت. وقد استبدل باللفظة في الديوان لفظة «القبر».

(٢) المخفار: آلة الحفر.

(٣) الغوريّة: التي تأخذ للغور للغروب والسقوط. العصب: جمع العصبة: الجماعة. الصوار: قطع بقر الوحش.

(٤) العلق: النقيس من كل شيء. المضيئة: ما يضيئ به. يحصر عليه. النصف: أسفل الجبل و أعلى الوادي. بلية: إسم موضع.

(٥) الصلف: نضى الزوج. الاقتار: الصبر، البخل.

(٦) الصدى: كان الجاهليون يعتقدون بأنه يخرج من رأس القنبل هامة أو بومة يسمونها «صدى» تظل عطش تصيح «اسقوني» حتى يؤخذ بثأره. وقد بقي هذا الاعتقاد حتى العصر الأموي. الحزم: السحاب الراعد، الاجش: الغلوظ الصوت من الرعد. برقة ضاحك: اسم موضع.

(٧) الجوار: جمع الجوز: الناحية، الجهة.

(٨) زجل: ذو صوت وجلة. الوميض: لمع البرق. البلق: جمع الأبلق: ما كان في لونه سواد و بياض.



كَانَتْ مُكْرَمَةً الْعَشِيرِ وَلَمْ يَكُنْ      يَخْشَى غَوَائِلَ أُمِّ حَزْرَةَ جَارُ<sup>(١)</sup>  
 وَقَدْ أَرَاكَ كُسَيْتٍ أَجْمَلَ مَنْظَرٍ      وَمَعَ الْجَمَالِ سَكِينَةً وَوَقَارَ  
 وَالرَّيْحَ طَيِّبَةً إِذَا اسْتَقْبَلَتْهَا      وَالْعِرْضُ لَا دَيْسٌ وَلَا خَوَارُ<sup>(٢)</sup>  
 وَإِذَا سَرَيْتُ ، رَأَيْتُ نَارَكَ نَوْرَتْ      وَجْهًا أَغْرَ بِمَزْنَتِهِ الْإِسْفَارُ  
 صَلَّى الْمَلَائِكَةُ الَّذِينَ تُخَيَّرُوا      وَالصَّالِحُونَ عَلَيْكَ وَالْأَبْرَارُ  
 وَعَلَيْكَ مِنْ صَلَوَاتِ رَبِّكَ كُلَّمَا      نَصَبَ الْحَجِيجُ مُلْبِدِينَ وَغَارُوا<sup>(٣)</sup>  
 بِمَا نَظَرَةً لَكَ يَوْمَ هَاجَتْ عَبْرَةٌ      مِنْ أُمِّ حَزْرَةَ بِالنَّمِيمَةِ دَارُ  
 تُخَيِّ الرُّوَامِسُ رُبْعَهَا فَتُجِدُّهُ      بَعْدَ الْبَيْلَى ، وَتُمِيتُهُ الْأَمْطَارُ<sup>(٤)</sup>  
 وَكَأَنَّ مَنَزِلَةً لَهَا بِجَلَّاجِلٍ      وَخَيِّ الزُّبُورِ تُجِدُّهُ الْأَحْبَارُ<sup>(٥)</sup>  
 لَا تُكْثِرُنَّ إِذَا جَعَلْتَ تَلَوْنِي      لَا يَمْذَهَبَنَّ بِحِلْمِكَ الْإِكْثَارُ  
 كَانَ الْخَلِيطُ هُمُ الْخَلِيطَ فَاصْبَحُوا      مُتَبَدِّلِينَ ، وَ بِالْذِّبَارِ دِبَارُ<sup>(٦)</sup>  
 لَا يَلْبَثُ الْقُرْنَاهُ أَنْ يَتَفَرَّقُوا      لَيْلَ يَكْرُ عَلَيْهِمْ وَنَهَارُ  
 وَهِيَ قَصِيدَةُ طَوِيلَةٍ ، تَقَارِبُ التَّسْعِينَ بَيْتًا ، وَ تَسِيرُ عَلَى هَذَا النِّهَجِ

- 
- (١) العشير: الصاحب والصدق. الغوائل: جمع الغائلة: الشر، الداهية.  
 (٢) الخوار: الضعيف، الرخو. فرس خوار: الخائف سهل الإتياء.  
 (٣) نصب الحجيج: نصبوا وجوههم لله، ورفضوا أيديهم بالدعاء. ونصب: نصب  
 وأعيا. ملبدين: من لبد للمكان: أقام فيه. غار الرجل: نام في نصف النهار.  
 غارت الشمس: غرقت.  
 (٤) الروامس: الرياح. والروامس: الفاني من الآثار.  
 (٥) الزبور: المزامير. تجده: تكفيه فضلكه. الأحبار: علماء اليهود.  
 (٦) الخليط: القوم الذين أمرهم واحد.

من الرقة والمشاعر الوجدانية. وهناك دراسات جعلت القصيدة تقارب  
 المائة والأربعة عشر بيتاً. وأوردتها في باب النقائض لأنها تقسم الى  
 قسمين متباينين، خصّ القسم الأول منهما بزفرة يرثي بها امرأته  
 خالدة أم حَزرة. من (١) الى (٢١) والثاني بهجاء الفرزدق وقومه.  
 ونحن نعلم أن رثاء الزوجة نادر في الأدب العربي. ومن هذا المنطلق  
 نقض الفرزدق هذه القصيدة، وردّ على جرير رداً شائناً بديهاً، مُعيراً  
 إياها حزنه على زوجته. والحقيقة أن وجدانية جرير الحقّة، والتي خلا  
 منها ضمير الفرزدق هي التي أملت عليه هذا الرثاء الرقيق. وهو  
 رثاء بفيض أسمى وحزناً ولوعة وحسرة على زوجته التي كان يتغزل  
 فيها غزلاً علها. فلما توفيت أخذ يرثيها رثاء حاراً. ولعلّ رثاءه في  
 ابنه سودة أشدّ حرارة، فقد كان يكيه بكاء مرّاً يقول فيه وقد  
 مات في الشام:

قَالُوا نَصِيكَ فِي أَجْرِ فَقُلْتُ لَهُمْ      مَنْ لِلرَّهْنِ، إِذَا فَارَقْتُ أَشْبَالِي<sup>(١)</sup>  
 لَكِنْ سَوَادَةٌ يَجْلُو مُقَلَّتِي لَحِيمٍ      بَارِ يُصْرِصِرُ فَوْقَ الْمَرْقَبِ الْعَالِي<sup>(٢)</sup>  
 قَدْ كُنْتُ أَعْرِفُهُ مِنِّي إِذَا غَلَقْتُ      رَهْنُ الْجِيَادِ وَمَدَّ الْغَايَةَ الْعَالِي<sup>(٣)</sup>  
 إِلَّا تَكُنْ لَكَ بِالذِّمَنِ بَاكِئَةً      قَرُبُ بَاكِئَةٍ بِالرَّمْلِ مِغْوَالِ<sup>(٤)</sup>  
 كَأَمْ بَوْ عَجُولٍ، عِنْدَ مَعْهَدِهِ      حَنْتُ إِلَى جَلْدِ مِنْهُ وَأَوْصَالِ<sup>(٥)</sup>

- 
- (١) ورد الشطر الثاني في رواية: كَيْفَ الْعَرَاءُ وَقَدْ فَارَقْتُ أَشْبَالِي؟  
 (٢) بارِ لحم: يأكل اللحم أو يشتهي. صرصر البازي: صات، صرخ. المرقب:  
 الموضع المشرف يعلوه الرقيب. وفي رواية: الرية: وهي بالمعنى نفسه.  
 (٣) غلق الرهن: صار ملك المرتهن.  
 (٤) المغوال: الباكئة.  
 (٥) البر: ولد الناقة، إذا مات يُخشى جلده تباراً فيقرب من أمه، فتخدع وتعطف  
 عليه وتدرّ الحليب. الجلّد: الجلد.

تَرْتَعُ مَا نَسِيتَ حَتَّى إِذَا ذَكَرْتَ

رَدَّتْ هَمَاهِمَ، حَرَى الْجَوْنِ مِثْكَالٍ<sup>(١)</sup>

زِدْنَا عَلَى وَجْدِهَا وَجْداً وَإِنْ رَجَعْتَ

فِي الْقَلْبِ مِنْهَا خُطُوبٌ ذَاتُ بَلْبَالٍ<sup>(٢)</sup>

فَارْقِنِي حِينَ كَفَّ الدَّهْرُ مِنْ بَصَرِي

وَحِينَ صَرْتُ كَعَظْمِ الرَّمَةِ الْبَالِي<sup>(٣)</sup>

إِنَّ الشَّوْيَ بِذِي الزُّيْتُونِ فَاخْتَسِي

قَدْ أَسْرَعَ الْيَوْمَ فِي عَقْلِي وَفِي حَالِي<sup>(٤)</sup>

فنفسه تتساقط أنفاساً على فلذة كبده وسويداء فؤاده. فهو ينوح عليه نواحاً لا ينقطع، ويُعزبه الناس، ويذكرونه ثواب الصبر، فلا يزيده ذلك إلا نواحاً وحزناً. ونحن لا نستطيع أن نجد عند الفرزدق مثل هذا الرثاء، لأن نفسه لم تكن مغطورة على الحزن أو مهياة له. فهي نفس غليظة جافة ويتندر الرواة عليه، فيقولون إنه حين توفيت زوجه النوار، لم يجد الناحة شعراً له، ينوحون به عليها، فناحوا بشعر جرير في رثاء زوجه<sup>(٥)</sup> فشعر جرير كان أكثر سيرورة وانتشاراً

(١) ترتع: تقيم في هدوء وراحة بال. الهماهم: جمع المهمة: صوت معه بحج. الميثال: الكثير الثكل.

(٢) البلبال: البرحاء في الصدر، وهو الهم والوسوسة.

(٣) الرمة: ما يلي من العظام.

(٤) الشوي: المقيم: الميت.

(٥) المزياني: محمد بن عمران بن موسى: أبو عبد الله (٢٩٧-٣٨٤هـ).

(٥٩٤-٩١٠م) الموشح. ط. دار النهضة. مصر. القاهرة. ص: ١١٦.

من شعر صاحبيه بشهادتهما، وشهادة النقاد لسبب بسيط، وهو أنه أقرب إلى نفوس معاصريه، إذ اندمج في الحياة الجديدة، بأكثر مما اندمج زميلاه فكان طبيعياً أن تصبح أساليبه أكثر ذيوماً وأكثر إلفة للناس<sup>(١)</sup> وهذا ما نراه مثلاً، في رثائه لولده سودة، حيث نرى ألفاظه تقطر حزناً وكمداً في قوله:

قالوا نصيبك من أجرٍ فقلتُ لهم      كيف العزاء وقد فارقتُ أشبالي  
فارقتني حين كفَّ الدهرُ من بصري      وحين صرْتُ كعظمِ الرُّمَّةِ البالي  
إنَّ الثويُّ بذِي الزُّيتونِ فاحتسبي      قدَّ أسرعَ اليَوْمُ في عقلي وفي حالي

وفي زيادة من الشواهد التي تثبت ذيوخ شعره في الرثاء، ولفته للناس، ثبت رثاءه لعبد العزيز بن الوليد الذي يقول فيه:

نَوا عَبدَ العَزيزِ، فقلتُ: هَذا      جَليلُ الرُّزءِ، والحَلَنَتِ الكَثيرُ<sup>(٢)</sup>  
فَيتَنا لا نَقَرُ بِطَعمِ نَومٍ،      ولا لَيلٍ، تَكَلِّدُهُ، قَصرُ  
فَهذا الأَرضَ مَصرَعُهُ، فبادَت      رَواصِيها، ونُضِبَتِ البُحورُ.  
وأظَلَمَتِ البَلاَدُ عَلَيهِ حُزنًا      وَقُلْتُ: أَفارَقَ القَمرُ المُنيرُ  
وَكُلُّ بَنِي الوَلِيدِ أَسَرَّ حُزنًا      وَكُلُّ القَومِ مُحَسِبٌ صَبورُ<sup>(٣)</sup>  
وَكيفَ الصَّبْرُ إِذْ نَظَرُوا إِلَيهِ      يَرُدُّ عَلَي سَقائِفِهِ الحَفيرُ<sup>(٤)</sup>

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي: ص ٢١٦.

(٢) الرزء: المصيبة.

(٣) احتسب الرجل ولدأ له: فقدته كبيراً.

(٤) السقائف: أي ألواح القبر. الحفير: التراب.

تَزُورُ بَنَاتُهُ جَدًّا مُقِيمًا؛ بِنَفْسِي ذَلِكَ الْحَدَثُ الْمَزُورُ  
بِكُنَى أَهْلِ الْعِرَاقِ، وَأَهْلُ نَجْدٍ عَلَى عَبْدِ الْعَزِيزِ، وَمَنْ يَغُورُ<sup>(١)</sup>  
وَأَهْلُ الشَّامِ قَدْ وَجَدُوا عَلَيْهِ وَأُخْرَنَهُمْ، وَزَلَّزِلَتِ الْقُصُورُ

والحديث عن جرير، لابد أن تستدعي الحديث عن الفرزدق،  
وخاصةً في الرثاء. فهما صنوان لا يفترقان. وربطت بينهما الأقدار  
في النشأة، فكان مولدهما في عامين متقاربين، سبق إليه الفرزدق  
ببضع سنوات. وربطت بينهما في الوفاة، فماتا في عام واحد. ويتفق  
الذين أُرِّخُوا لهما أنهما ماتا في عام واحد، ثم يختلفون في تحديده  
بما لا يسبق عام (١١٠هـ / ٧٢٩م)، ولا يتأخر عن (١١٤هـ /  
٧٣٣م)<sup>(٢)</sup>. ولما أدرك جريراً نعي الفرزدق، قال: مات الفرزدق،  
بعد ما جدعته، لبث الفرزدق، كان عاش قليلاً. فليَمَ على ذلك،  
وقيل له: كان الأجدر بك أن ترثيه. ففكر، ثم رثاه بثلاث مقطوعات،  
وقد اخترنا أطول مرثاة منها، والتي فيها يقول:

لَعَمْرِي لَقَدْ أَشْجَى تَيْمًا وَهَدَّهَا عَلَى نَكَبَاتِ الدُّهْرِ مَوْتُ الْفَرَزْدَقِ  
عَشِيَّةَ رَاحُوا لِلْفِرَاقِ يَنْعَشِيهِ إِلَى جَدَثٍ فِي هُوَةِ الْأَرْضِ مُعَمِّي،  
لَقَدْ غَادَرُوا، فِي اللَّحْدِ مَنْ كَانَ يَنْتَمِي

إِلَى كُلِّ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ مُحَلِّي  
تَوَى حَامِلُ الْأَثْقَالِ عَنْ كُلِّ مُغْرَمٍ وَدَامِغُ شَيْطَانِ الْعَشُومِ السَّمَلِّي<sup>(٣)</sup>

(١) يغور: يأتي الغور.

(٢) ابن عبد ربه: أحمد بن محمد: العقد الفرید: ح ٦: ص: ٢٢٢.

(٣) العشوم: الظالم - السملق: الشامخ الطويل.

عِمَادُ تَمِيمٍ كُلُّهَا، وَلَسَاتُهَا      وَنَاطِقُهَا الْبَذَاخُ فِي كُلِّ مَنْطِقٍ<sup>(١)</sup>  
فَمَنْ لِدَوَى الْأَرْحَامِ، بَعْدَ لَبْنِ غَالِبِ

لِجَارٍ، وَعَيْنٍ فِي السَّلَاسِلِ مُؤْتَقُ؟  
وَمَنْ لِيَتِيمٍ، بَعْدَ مَوْتِ لَبْنِ غَالِبِ      وَأَمَّ عِيَالٍ سَاغِيَيْنَ وَدَزْدَقٍ<sup>(٢)</sup>  
وَمَنْ يُطْلِقُ الْأَسْرَى، وَمَنْ يَحْقُقُ الدِّمَاءَ

يُدَاهِ، وَيَشْفِي صَنْزَرَ حَرَانَ مُخَنَّقٍ؟  
وَكَمْ مِنْ دَمٍ غَالٍ تَحْمَلُ ثِقَلُهُ      وَكَانَ حَمُولًا فِي وَفَاءٍ وَمَصْنَقٍ  
وَكَمْ حِصْنٍ جَبَّارُهُمَا، وَسُوقَةٍ      إِذَا مَا أَتَى أَبُوهُ لَمْ تُغْلَقِ  
تَفْتَحُ أَبْوَابُ الْمُلُوكِ لَوَجْهِهِ      بِغَيْرِ حِجَابٍ دُونَهُ أَوْ تَمَلُّوْ  
لِتَبْلُكَ عَلَيْهِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ إِذْ نَوَى      فَخَى مُضْضِرٍّ فِي كُلِّ غَرْبٍ وَمَشْرِقٍ  
فَخَى عَاشٍ يَتَنَبَّأُ الْمَجْدَ، تَسْمِعِينَ حِجَّةً      وَكَانَ إِلَى الْخَيْرَاتِ وَالْمَجْدِ يَرْتَقِي  
فَمَا مَاتَ حَتَّى لَمْ يُخَلَّفْ وَرَاءَهُ      بِحَيَّةٍ وَادٍ صَوْلَةٌ غَيْرَ مُصْنَعِي

ووراء هذه الأبيات، عاطفةٌ جياشةٌ بفيض الذكريات المختزنة في  
نفس جرير، وقد عاشها مع الفرزدق بحُلُوهَا ومُرُّهَا، وبقي منها نقشٌ  
على ورقِ طبعها الشاعر بكلماته الصادقة، التي يصور بها لوحته من  
فراق صنيّر كان رفيقاً له في نقائضه، التي لم تصور عداوة، بل تصور  
تاريخاً طويلاً من التنافس على أولوية الشعر.

(١) البَذَاخُ: القمخور، المتكبر.

(٢) الدَزْدَقُ: الأطفال.

ومن مصداقية هذه العاطفة، قوله - أَيْضاً - في رثاء الفرزدق:

فَجَعْنَا بِحَمَالِ الدِّيَاتِ ابْنَ غَالِبٍ      وَحَامِي تَمِيمٍ عِرْضَهَا، وَالْمَرَاجِمِ  
بَكَيْنَاكَ حِذَانِ الْفِرَاقِ، وَأَنَا      بَكَيْنَاكَ إِذْ نَابَتْ أُمُورُ الْعِظَائِمِ  
فَلَا حَمَلَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهْجَرَةً      وَلَا شَدَّ أَنْسَاعُ الْمَطِيِّ الرُّوَاسِمِ

ومن أمثال هذا الرثاء الفَيَاضُ بعاطفة الشاعر الوجدانية، نذكر  
رثاءهُ في جبير بن عياض الكليبي، الذي يقول فيه:

لَعَمْرِي، لَيْتَ خُلَى جَبِيرٌ مَكَانَهُ      لَقَدْ كَانَ شَعِشَاعَ الْعَشِيَّةِ شَيْظَمًا<sup>(١)</sup>  
أَسْمُ، طُوالَ السَّاعِدِينَ، تَرَى لَهُ      إِذَا الْقَوْمُ هَلَبُوا الْقَوْمَ أَنْ يَتَقَدَّمَا  
لَعَمْرِي، لَقَدْ عَالَى عَلَى النُّعْشِ مُحَرَّرٌ      فَتَى نَالَ قِدَمًا عِفَّةً وَتَكَرُّمًا  
فَتَى كَانَ أَحْيَى مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ      وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ بِخَفَانٍ، مُقَدِّمًا<sup>(٢)</sup>  
إِذَا اللَّحْمُ كَانَ الرَّادَّ، لَمْ يُلَفَّ لَحْمُهُ      جَمِيعًا، وَلَكِنْ شَاعَ فِي الْحَيِّ الْحُمَا  
إِذَا الْأَمْرُنَابُ الْحَيُّ لَمْ يُقْضَ دَوْنَهُ      وَإِنْ طَرَقَ الْأَضْيَافُ لَيْلًا تَبَسُّمًا

وإذا تبعنا رثاءهُ في باقي قصائده، نجد أن السهولة هي الغالبة  
على شعره، لأنها تصوّر طباعهُ السمحة، ونفسه الرقيقة المطمئنة.  
ولقد اتفق المؤرخون، على أن جريراً، كان رجلاً مؤمناً، شديد  
التمسك بدينه. ولذا فهو في الرثاء - مع نظيره الفرزدق - غيرهِ في  
التناقض لأنهُ في الرثاء يصوّر عاطفته الصادقة، لا مباراته الشعرية.

(١) الشعشاع: المشوق، الطويل، اللين، الخفيف. الشيطان: الطويل كذلك.

(٢) خفان: اسم موضع مشهور بكثرة أسوده، قريب من الكوفة.

وكان على هذه الحال في جميع مراتبه مع مَنْ عرفهم وعاش معهم. فهو وفيٌّ أمينٌ على العهد، في لحظة يلاقي المرء ربه، ويخرج من دنياء، حيث يؤدّي للمتوفّي واجب الرثاء المنسجم وطبيعة الأخلاق التي سعى أن يكون متلبساً قيمها الرفيعة.

### الغزل:

إن الغزل المرويّ عن جرير، يمثل سماته الخلقية التي عاش عليها في مجتمعه، ويمثل واقع النساء والفتيات اللاتي تغزل بهن. فلم يكن مجتمعه ماجناً كسائر مجتمعات الخمرة والخلاعة، حيث كان بعض الشعراء في عصره، يفحشون في الغزل، ويقولون فيه الأشعار البعيدة عن واقع شعر جرير. وفرق بين أن يكون المجتمع حرّاً، وأن يكون ماجناً، فالذي لا ريب فيه، أن المرأة نالت في العصر الأموي، حريةً واسعة، لم تكن جدتها أو أمها تنالها في صدر الإسلام. أو وقت الرسالة النبوية. وإن طبيعة الحياة نفسها، وما كان فيها، من مزاحمة الجوّاري الأجنيات، من فارسيات وروميات لها، جعلها تخرج من حجابها القديم، وتطلب الرجل وتغازله. ولكن الرواة وسعوا الصورة، وكادوا يجعلونها عبثاً خالصاً، وفرق بين العبث والحرية. ولذلك كنّا نجد نساء فضليات، في عصر جرير، كالسيدة سكينه بنت الحسين، تشوش صورتها في الأغاني، كما تشوش صورة الفتاة الأولى في عهد عمر بن أبي ربيعة وهي الثريا<sup>(١)</sup> بنت علي بن عبد الله بن الحارث بن أمية الأصغر بن عبد شمس<sup>(٢)</sup> ونثبت هذا لنقول،

(١) الأصمعي: أبو الفرج: علي بن الحسين الأغاني: ح، ١، ص: ٢٢٨.

(٢) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الأدب الأموي: ص: ٢٢٣.



إن المرأة التي كان يتغزل بها جرير كانت تختلف اختلافاً تلمأ عن تلك التي تغزل بها سائر الشعراء. فلو أدخلنا قصيدته الغزلية «هنا الخليط» نجد أن هذه القصيدة هي قصيدة هجاء للأخطل، إلا أنه أطال في الغزل، حتى لم يبق للهجاء إلا الأبيات القليلة؛ فإذا بالقصيدة أجدر بباب الغزل، منها بباب الهجاء. وفيها يقول:

بأن الخليطُ، وَلَوْ طُوْعْتُ ما بانا      وَقَطَعُوا من جبال الوصلِ أَقْراناً<sup>(١)</sup>  
 حَيَّ المَنَازِلَ! إِذْ لا تَبْخِي بَدَلًا      بالدَّارِ داراً، ولا الجِيرانِ جِيراناً!  
 قد كُنْتُ في أثرِ الأضغانِ ذَا طَرْبٍ      مُرَوَّعاً من حِذارِ التَّينِ مِخْراناً<sup>(٢)</sup>  
 يا رَبُّ مُكْتَسِبٍ لَوْ قَدْ نُعِيتُ لَهُ      بالكِ، وآخِرَ مَسرورٍ مَمْنَعاناً!  
 لَوْ تَعْلَمِينَ الَّذِي نَلَقِي، أَوَيْتُ لَنَا      أَوْ تَسْمَعِينَ إِلى ذِي العَرشِ شَكواناً،  
 كَصَاحِبِ المَوْجِ، إِذْ مالتِ سَفِينَتُهُ      يَدْعُو إِلى الله إِسْراراً وَ إِعلاناً.  
 يا أَيُّها الرَّاكِبُ الزُّجْجِي مَطِيئَتُهُ      بَلَّغْ نَحْنُنا، لُقَيْتَ حُمْلاناً<sup>(٣)</sup>  
 بَلَّغْ رِسانِلَ عَنَّا خَفْ مَحْضَلُها      على قَلائِصَ لَمْ يَحْمِلَنَّ جِيراناً<sup>(٤)</sup>  
 كَيْما نَقولُ إِذا بَلَّغْتَ حَاجَتَنا      أَنتَ الأَمِينُ، إِذا مُسْتَأْمَنَ خِتاناً

(١) الأقران: جمع اقترن: حبل يجمع بين البعيرين.

(٢) الطَّرْبُ: الإحتزاز والإضطراب للفرح أو للحزن، والمقصود هنا المضي الثاني.  
 المخران: الكثير الحزن.

(٣) الحُمْلان: ما يحمل عليه من الدواب في الحبة (الحديدة) خاصة.

(٤) القلائص: جمع القلوص: وهي من الإبل الطويلة القوائم، الشابة. الحيران: جمع الحوار: ولد الناقة: يريد قهن شابات، لا أولاد لهن.

تُهْدِي السَّلَامَ لِأَهْلِ الْغَوْرِ مِنْ مَلَحٍ      هِيَّاهُ مِنْ مَلَحٍ بِالْغَوْرِ مُهْدَانَا<sup>(١)</sup>  
أَحْسِبُ إِلَى بِئِكَ الْجَزْعَ مَنَزَلَةً

بِالصَّنَحِ طَلْحًا وَبِالْأَعْطَانِ أُعْطَلْنَا<sup>(٢)</sup>

يَا لَيْتَ ذَا الْقَلْبِ لَاقَى مَنْ يُعَلِّلُهُ      أَوْ سَاقِيًا فَسَقَاهُ الْيَوْمَ سُلُوانًا<sup>(٣)</sup>  
أَوْ لَيْتَهَا لَمْ تُعَلِّقْنَا عَلاَقَهَا      وَلَمْ يَكُنْ دَاخِلَ الْحُبِّ الَّذِي كَانَا<sup>(٤)</sup>  
هَلَّا تَحَرَّجْتَ مِمَّا تَفْعَلِينَ بِنَا؟      يَا أَطْيَبَ النَّاسِ، يَوْمَ الدَّجْنِ أَرَدَانَا<sup>(٥)</sup>  
قَالَتْ: أَلَيْمٌ بِنَا، إِنْ كُنْتَ مُنْطَلِقًا      وَلَا إِخَالُكَ، بَعْدَ الْيَوْمِ تَلْقَانَا  
يَا طَيِّبًا هَلْ مِنْ مَتَاعٍ تُحْتَمِينَ بِهِ

ضَيْفًا لَكُمْ بَاكِرًا، يَا طَيِّبَ عَجَلَانَا<sup>(٦)</sup>

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مُشْتَاكِ أَخَا طَرْبٍ      هَاجَتْ لَهُ عَدَوَاتُ الْبَيْنِ أُخْرَانَا  
يَا أُمِّ عَمْرٍو! جَزَاكِ اللَّهُ مَغْفِرَةً      رُدِّي عَلَيَّ فَوَادِي كَالَّذِي كَانَا  
أَلَسْتُ أَحْسَنَ مَنْ يَمْشِي عَلَى قَدَمٍ      بِمَا أَمْلَحَ النَّاسُ كُلَّ النَّاسِ إِنْسَانَا

(١) الغور: ما انحدر واطمأن من الأرض. وهنا أسم مكان بغيته، وكذلك ملح.

(٢) الجزع: حلة القوم الطلح: شجر خفيف ترعاه الإبل. الأعطان: جمع العطن: الناخ حول الورد، مرضي الغشم حول الماء.

(٣) السلوان: مصدر سلا الشيء: طابت نفسه عنه وذهل عن ذكره وهجره؛ شراب يسلي الشارب، على زعم العرب، أي ينسيه همّه.

(٤) العلاقة: الحب، الصداقة، الارتباط.

(٥) تخرج: تجنب المخرج: الإنهم الدجن: الغيم المطبق المظلم. الأردن: جمع الرؤد: أصل الكم، طرفه الواسع.

(٦) طيب: ترخم طيبة: اسم التي يشب بها.

يَلْقَى غَرِيْمُكُمْ مِنْ غَيْرِ عُسْرَتِكُمْ بِالْبَذْلِ نُجْلًا وَبِالْإِحْسَانِ حِرْمَانًا  
لَا تَأْمَنَنَّ، فَإِنِّي غَيْرُ آمِنِهِ غَدَرَ الْخَلِيلِ، إِذَا مَا كَانَ الْوَتَانَا  
قَدْ خُنْتِ مَنْ لَمْ يَكُنْ يَخْشَى خِيَاتَتَكُمْ

مَا كُنْتُ أَوَّلَ مَوْثُوقٍ بِهِ خَاتَا  
لَقَدْ كَتَمْتُ الْمَوَى حَتَّى تَهَيَّمَنِي لَا أَسْتَطِيعُ لِهَذَا الْحُبِّ كَيْمَانَا  
كَأَذِ الْمَوَى يَوْمَ سَلْمَانَيْنِ، يَقْتُلْنِي وَكَأَذِ يَقْتُلْنِي يَوْمًا يَبِيدَانَا<sup>(١)</sup>  
وَكَأَذِ يَوْمَ لَوَى حَوَاءَ يَقْتُلْنِي لَوْ كُنْتُ مِنْ زَفَرَاتِ التَّيْنِ فَرَحَانَا<sup>(٢)</sup>  
لَا بَارَكَ اللَّهُ فَيَمَنَ كَانَ يَخْسِيكُمْ إِلَّا عَلَى الْعَهْدِ حَتَّى كَانَ مَا كَانَا  
مِنْ حُبِّكُمْ؛ فَأَعْلَمَنِي لِلْحُبِّ مَرَلَةً نَهَوَى أَمِيرَكُمْ، لَوْ كَانَ يَهْوَانَا  
لَا بَارَكَ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا إِذَا انْقَطَعَتْ أَسْبَابُ دُنْيَاكِ مِنْ أَسْبَابِ دُنْيَانَا  
يَا أُمُّ عُثْمَانَ إِنَّ الْحُبَّ عَنْ عَرَضٍ يُصْنِي الْحَكِيمَ وَيَتَكِي الْعَيْنَ أَحْيَانَا  
ضُنْتُ بِمَوْرِدَةٍ كَانَتْ لَنَا شَرْعًا

تَسْفِي صَدَى مُسْتَهَامِ الْقَلْبِ صَدْبَانَا<sup>(٣)</sup>  
كَيْفَ التَّلَاقِي وَلَا بِالْقَيْظِ مَخْضَرُكُمْ  
مِنَّا قَرِيبٌ، وَلَا مَبْدَاكِ مَيْدَانَا؟

(١) سلمتين ويبدان: موضعان - ويبدان: ماء لبنى جعفر.  
(٢) لوى حواء: موضع في البصرة. الفرخان: من منه القروح.  
(٣) الموردة: مائة الماء والطريق إليه. الصدى: العطش الشديد.

نهوى ثرى العرقِ إذ لم نلقَ بعدكم

كالعرقِ عرقاً ولا السلانِ سلاناً<sup>(١)</sup>

ما أخذتَ الدهرُ مِمَّا تَعْلَمِينَ لَكُمْ لِلخَلِّ صُرْماً وَلَا لِلْمَهْدِ نِسِيَانَا  
أَبْدَلَ اللَّيْلِ، لَا تَسْرِي كَوَاكِبُهُ، أَمْ طَالَ حَتَّى حَسِبْتَ النُّجْمَ خَيْرَانَا  
وفي هذا البيت الأخير نجد جريماً يعود بنا إلى العصر الجاهلي،  
حيث نجد امرئ القيس (٨٠ قبل الهجرة/٥٦٥م) يصف الليل  
الطويل الذي يتناهى بقوله:

فَيَا لَكَ مِنْ لَيْلٍ كَأَنَّ نُجُومَهُ بِكُلِّ مَغَارٍ الْقَتْلُ شَدَتْ يَنْبَلُ  
كَأَنَّ الثُّرَيَّا عُلِقَتْ فِي مَصَاهِهَا بِأَمْرَاسٍ كَثَانٍ إِلَى صَمِّ حَنْدَلٍ  
ومن هذا القول القديم بنى شاعرنا في غزليته التونية بيتاً يلخص  
بيتى امرئ القيس، ليرينا طول ليله، وهو بعيدٌ عن حبيته يقاسي  
أنواع العذاب والوحشة، ثم يتابع وصف حاله بقوله:

يَا رَبُّ عَائِذَةٌ بِالْغُورِ لَوْ شَهِدْتُ عَزَّتْ عَلَيْهَا بِدْمِيرِ اللَّجِّ شَكُونَا<sup>(٢)</sup>  
إِنَّ الْعَيْنَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُخَيِّنْ قَتْلَانَا<sup>(٣)</sup>  
يَصْرَعَنَّ ذَا أَلْبٍ حَتَّى لَا حِرَاكَ بِهِ وَهْنٌ أَضْعَفُ خَلْقِي اللَّهُ أَرْكَانَا  
وهذان البيتان الأخيران يعدان من أعذب الأبيات الغزلية رقةً  
وشغافيةً ولا يخطر ببال قارئ، غير مسبوقٍ بواقع حال إنشاد هذه

(١) العرق: وادٍ بني حنظلة. السلان: وادٍ لبني عمر وبني تميم.

(٢) دير اللج: موضع قريب من الحيرة.

(٣) الحور: اشتداد سواد المقلة في شدة ياضها، في شدة يهاض الجسد.

القصيدة أنها قيلت في معرض الهجاء، وأن صاحبها قدم للهجاء بمثل هذا الشعر الموضوع عادةً للعشق أو التشبيب. وبكامل جرير قصيدته مستطرداً بقوله:

يَا رَبُّ غَابِطِنَا، لَوْ كَانَ يَطْلُبُكُمْ، لَأَقْسَى مُبَاعِدَةً مِنْكُمْ وَحِرْمَانَا،

أَرَيْنَاهُ الْمَوْتَ، حَتَّى لَا حَيَاةَ بِهِ قَدْ كُنْ ذَنْكَ، قَبْلَ الْيَوْمِ أَذْيَانَا<sup>(١)</sup>

طَارَ الْفَوَادُ مَعَ الْخَوْدِ الَّتِي طَرَقَتْ فِي النَّوْمِ طَيِّبَةُ الْأَغْطَافِ مِيدَانَا<sup>(٢)</sup>

مَثْلُوجَةُ الرِّقِيِّ بَعْدَ النَّوْمِ وَاضِعَةً عَنْ ذِي مَثَانٍ تَمُجُّ الْمِسْكَ وَالْبَلَا<sup>(٣)</sup>

وهذا البيت الأخير يطابق تطابقاً واضحاً، مع بيت امرئ القيس في قصيدته اللامية، حيث يقول:

وَتُضْحَى فَيَنْتُ الْمِسْكُ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَوْمُ الضُّحَى لَمْ تَتَطَّقِ عَنْ تَفَضُّلِ

وفعلُ تَضْحَى هنا، فعل تام، لأن المعنى أنها تكون وقت الضحى، ومعاني امرئ القيس مهرها جرير في قوله «مثلوجة الرقيق» وأضاف إليها بأسلوبه الرقيق، ما يتناسب واقع عصره. ولكنه لم يستطع أن ينفي عنه تأثيره التام بالقديم من الشعر الجاهلي، رغم ما بسط على هذا الشعر من حدائث و تجديد. ويستأنف المعاني التي أشرنا إليها فيقول مكملاً قصيدته:

- 
- (١) ذَنْكَ: من دان فلاناً ديناً: حكم عليه، حاسبه، جازاه، أخضعه.  
 (٢) الْخَوْدُ: المرأة الشابة الحسناء. الْمِيدَانُ: السمين، الجميمة، وهذه من الصفات المحببة لدى المرأة يومها.  
 (٣) الْبَلَا: نوع من الشجر يستخرج من حبه دهن طيب المذاق: جدائل الشعر مشية بعضها على بعض.

تَسْتَأْفُ بِالْعَنْبَرِ الْهِنْدِيِّ قَاطِعَةً هَمُّ الضَّجِيجِ، فَلَا دُنْيَا كَلْدِنَانَا  
 بِنْتَا نَرَانَا كَانَا مَا لِكُونٍ لَنَا بِمَا لَيْتَهَا صَدَقَتْ بِالْحَقِّ رُؤُونَا  
 قَالَتْ: نَعَزْ، فَإِنَّ الْقَوْمَ قَدْ جَعَلُوا دُونَ الزَّيْمَارَةِ أَهْلُهَا وَخُزْنَانَا  
 لَمَّا تَبَيَّنْتُ أَنَّ قَدْ حِيلَ دُونَهُمْ ظَلَّتْ عَسَاكِرُ مِثْلُ الْمَوْتِ تَغْشَانَا

وبهنا من هلا الذي أوردنا، الوقوف على حياة المرأة التي كان  
 يتغزل بها جرير، فهي منعمة، وهي مخدومة بالجواري كذلك التي  
 كانت في عصر امرئ القيس، حيث الترفات من النساء اللواتي  
 يعشن في طبقة ميسورة غنية. ومن هنا كانت الظاهرة في تجديد  
 شعر جرير ضمن الدولة الأموية، بإضفاء اللون المعاصر له، من  
 انعكاسات العصور المتقدمة، فبرنا المرأة متحضرة مبالغة في تحضرها،  
 وقد أصابت ضرباً من الحرية، تحت تأثير الحياة الاجتماعية الحديثة.  
 ثم يستأنف شاعرنا قصيدته بغزله الذي يقول فيه:

مَاذَا لَقِيتُ مِنَ الْأَضْعَانِ يَوْمَ فَنَى يَتْبَعْنَ مُغْتَرِباً بِالْبَيْنِ ظِلْعَانَا،  
 أَتَبَعْتُهُمْ مَقَلَّةً، إِنْسَانُهَا غَرَقَ هَلْ بِمَا تَرَى تَارِكٌ لِلْعَيْنِ إِنْسَانَا؟  
 كَانَ أَحْدَاجَهُمْ تُخَدِّي مُقَفِّئَةً نَخْلٌ يَمْلَهُمْ، أَوْ نَخْلٌ بِقَرَانَا (١)  
 يَا أُمَّ عُثْمَانَ مَا تَلَقَى رَوَّاحِلُنَا لَوْ قَسَمْتُ مُصْبَحَنَا مِنْ حَيْثُ مُسَانَا  
 تُخَدِّي بِنَا نُجِبَ دُمَى مَنَاسِمِهَا نَقْلُ الْحَزَلِيِّ حِزَاناً فَحِزَانَا (٢)

(١) ملهم وقرآن: موزعان.

(٢) الحزلي: الغليظ الضخم من الرجال.

تَرْمِي بِأَعْيُنِهَا نَجْدًا وَقَدْ قَطَعَتْ    بَيْنَ السَّلَاطِعِ وَالرُّوحَانِ صَوَاتًا<sup>(١)</sup>  
 يَا حَبْدًا جَبَلُ الرِّيَّانِ مِنْ جَبَلٍ    وَحَبْدًا سَاكِنُ الرِّيَّانِ مَنْ كَانَا  
 وَحَبْدًا نَفَحَاتٍ مِنْ بِمَايَةِ    تَأْتِيكَ مِنْ قِبَلِ الرِّيَّانِ أَحْيَانًا<sup>(٢)</sup>  
 هَيْتَ شِمَالًا فَذِكْرِي مَا ذَكَرْتُمْ    عِنْدَ الصَّغَاةِ الَّتِي شَرَفِي حَوْرَانَا  
 هَلْ يَرْجَعُنَّ، وَلَيْسَ الدُّهْرُ مُرْتَجِعًا    غَيْشٌ بِهَا طَال مَا اخْلَوْلَى وَمَالَانَا  
 أَرْمَانٌ يَدْعُونَنِي الشَّيْطَانُ مِنْ غَزَلِي    وَكُنْ يَهْوِيَنِي إِذْ كُنْتُ شَيْطَانَا  
 مَنْ ذَا الَّذِي ظَلَّ يُغْلِي أَنْزُورَكُمْ    أُمْسَى عَلَيْهِ مَلِيكَ النَّاسِ غَضْبَانَا

وهكذا يقدم لهجائه بهذه المقدمة الغزلية الطويلة التي يقي منها لهجاء الأخطل أربعة عشر بيتاً فقط. والغربة تنأت عن سبب هذه الإطالة في أبيات الغزل، طالما أن الغرض ينحصر في الهجاء. ولكن الذي يتعرف إلى نفسية جريو، يجده إنساناً يختلف عن بقية شعراء عصره، بدقة وجدانيته التي تأتي عليه بمخالفة واقعه الشعوري. فلعله هو يرمي إلى هجاء الأخطل، خطرت بباله بارقة رقة نفسه ترنو إلى عاطفة إنسانية، فلم يتركها تمر دون الإتيان على ذكرها ضمن غزل يتناسب وتمهيد القصيدة لغرضها. ولعل الشاعر أراد بهذا التمهيد تذكيرنا بالرقة التي تخزنها أريحته الشاعرية، والتي هي عنده مخزون إيمان وتقى، وخصوبة خلق كريم. ولذا، فالهجاء عنده ليس غرضاً يسعى إليه، بل هو فنٌ يُخشى إتقانه، ويتفنن بإيراده ضمن متطلبات

(١) السلوطح والروحان: أقصر بلاد بني سعد. الصوّان جمع الصوة: المظلم في الطريق.

(٢) البماية: رياح الجنوب.

العادات المتبعة. وكلما تتبعنا أثر الفن الغزلي في شعره، نجدده يقودنا إلى تحليل واقع العصر، وتناسبه مع كلّ حداثة أو تجديد يتمشى مع فطرة جرير المطبوعة على التفوق المتأتمني من حسن إبداعه الشعري. ويبقى حديث ما كان يعقد بين شعر جرير، وبين قلوب الناس، فهو أكثر مما كان يعقد بين شعر منافسيه وقلوبهم. فذلك أنه كما يقول ابن قتيبة: «كان أحسن الناس تشبيهاً»<sup>(١)</sup> فشعبية جرير في قسط كبير منه، راجعة إلى أن جريراً كان يذهب فيه مذهباً عاطفياً. أي أنه كان يفارق فيه بعض المفارقة مذهب «المدرسة العراقية» ويقارب فيه «المدرسة العاطفية الشعبية الحجازية» وهي المدرسة التي ظل زمناً ينكر على أصحابها أنهم بلغوا مبلغ الشعراء. ولم يكن الشعراء الآخرون أقل منه معالجةً للشعر العاطفي، ولم يكونوا يعتمدون إلى تجنب الغزل في استفتاح القصائد. ولكن جريراً كان أرق منهم نسيباً، وأخلص فيه طبعاً، وأقدر عليه، مع أنه كما تقول الرواية المنسوبة إليه، قال عن نفسه «ما عشقت قط، ولو عشقت لنسبت نسيباً تسمعه المعجوز فتبكي على ما فاتها من شبلها»<sup>(٢)</sup> والكثيرون من الدارسين والمحققين لا يصدقون هذه الرواية، ولا يظنونها إلا من قبيل الغلو في تصوير قدرة الشاعر على معالجة هذا الفن، أو أن ذلك أدعى على جرير جريراً مع روح التزمّت، التي كانت عند بعض نقاد

(١) ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم: الشعر و الشعراء: ص: ١٠٩. وقد قال ابن قتيبة في هذا الصدد: وحدثني سهل بن محمد عن الأصمعي قال: سمعت الحسن بن محمد بن جرير أنه قال: لولا ما شغلني عن هذه الكلاب لشببت تشبيهاً نحن منه المعجوز إلى شبلها حين الناقة إلى سقيها.

(٢) الأصبهاني: علي بن الحسين: الأغاني: ج: ٧: ص: ٥٢.



ذلك العصر وعلمائه في العراق، ممن كانوا يعتبرون غزل الشاعر مرآةً  
 تعكس مجونه العملي في الحياة، وجريرو كان حريصاً على أن يؤخذ  
 شعره مأخذ الأقوال التي لا تصوّر المجون فيه خلقية ثابتة. فقد كان  
 يختم مجلسه بالتسبيح فيطيل. فقال له رجل: ما يغني عنك التسبيح  
 مع قذفك للمحصنات؟ فتبسم وقال: يا ابن أخي خلطوا عملاً صالحاً  
 وآخر سيئاً عسى الله أن يتوب عليهم، إنهم والله يدأوني ثم لا  
 أحلم<sup>(١)</sup>.

هذا المعنى، هو الذي كان يحمل جريراً على التبرؤ من أن يكون  
 لغزله أصل عملي في الحياة مطلقاً، حتى ولو كان غزلاً عفيفاً. ثم إنه  
 كان شاعراً هجاء، وكان غزله استفتاحاً لهجائه. فلو أجرى قوله في  
 المرأة مجرى الحقيقة في شعره الهجائي، لكان ذلك منه قذفاً  
 للمحضنات يأخذه السلطان والقانون، وليس يصحّ عند أحدي أن لا  
 يكون شاعر كجريرو عشق قط. كانت قوة العاطفة في شعر جريرو  
 بالقياس إلى شعر شعراء العراق، سبباً في قربه إلى النفوس. وكانت  
 أقوى ما تبدو في ذلك اللون الذي يتناول عاطفة مشتركة بين الناس  
 كالغزل<sup>(٢)</sup>.

### الفخر:

يعدُّ عصر بني أمية، من العصور التي عززت اندلاع نار العصبية  
 بين القبائل، حيث أدّى اشتعال هذه النار، إلى بروز شعر المفاخرة،  
 الذي يوشك قارئ الشعر الأموي أن يظن أنه كان أهم موضوع،

(١) الأصماني: علي بن الحسين: أبو الفرج: الأغاني: ج ٧، ص: ٥٢.

(٢) البهيتي: نجيب محمد: تاريخ الشعر العربي: ص: ٢٨٨.

يجذب إليه الشعراء، وخاصةً في العراق، حيث تكفل القبائل في البصرة والكوفة، وتقابل القبائل اليمنية مع القبائل المضربية، ونظر كل قبيلة في نفسها، وفيما كان بينها وبين غيرها قديماً من أيام وحروب، واستحالة ذلك كله شعراً. وبمجيء العصر الأموي، واستقرار القبائل في مدينتي البصرة والكوفة، وعودة العصبية، عاد تجمع وحشد هذه القبائل، في المربد وفي الكناسة، حول الشعراء، يستمعون منهم إلى ما ينشدونه من مفاخرهم، وكأنهم يجدون في ذلك لهواً لهم وتسلياً. وأظن أننا لا نغلو إذا قلنا إن الفخر تحول تحت تأثير هذا التطور في حياة العرب إلى فن جديد، وهو فن لا نشك في أن له بذوراً قديمة، ولكنه أصبح الآن شيئاً آخر. أمّا من حيث الغاية، فقد أصبح يُراد به إلى اللهو، لا إلى الجد، كما كان الشأن في القديم، ولما من حيث الصورة، فقد أخذ يختلف وجوهاً كثيرة من الاختلاف، إذ أصبح ينشد يومياً، وأصبح الشعراء يحترفونه احترافاً<sup>(١)</sup> وهذا أهم فرق بين الفخر في القديم وفي الحديث، أو في العصر الجاهلي والعصر الأموي، فالشاعر الجاهلي لم يكن يفخر ليظهر الجمهور بفخره، وليقطع له أوقات فراغه، ولم يكن يحترف الفخر على هذا النحو الذي نجده في عصر بني أمية. وخير مثل يُصور ذلك، جرير وصاحبه الأخطل والفرزدق، فإن الفخر تحول عندهم إلى حرفة مباحة، وخاصةً بين جرير والفرزدق، فإتباعا كانا يعيشان في البصرة، وكانا يخلقان إلى المربد، فينشدان الناس هناك اهاجيهما ومفاخرهما، ويستثيران في أثناء ذلك حماس الجماهير، وما يزال كل منهما يحاول أن يبلغ من استثارتهما كل مبلغ. ومن امثال

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي ص: ١٦٤.

مفاخرته على الفرزدق قوله:

أَقْصِرْ فَإِنَّكَ مَا لَمْ تُؤْتِسُوا فَرَعَا      عِنْدَ الْمِرَاءِ خَسِيفَ الثَّوْكِ قَبْقَابُ<sup>(١)</sup>  
فَأَسْأَلُ أَقَوْمَكَ أَمْ قَوْمِي هُمْ ضَرَبُوا      هَامَ الْمُلُوكِ وَأَهْلُ الشَّرِكِ أَحْزَابُ  
الضَّارِبِينَ زُخُوفاً يَوْمَ ذِي نَجَبِ

فِيهَا الدَّرُوعُ وَفِيهَا الْبَيْضُ وَالْغَابُ<sup>(٢)</sup>  
مِنَا عَتِيبَةُ فَانْظُرْ مَنْ تُعِدُّ لَهُ      وَالْحَارِثَانِ وَمِنَا الرُّذْفُ عَنَابُ<sup>(٣)</sup>  
مَنَا فَوَارِسُ يَوْمَ الصَّمَدِ كَانَ لَهُمْ      قَتْلَى وَأَسْرَى وَأَسْلَابُ وَأَسْلَابُ  
فَأَسْأَلُ تَعِيماً مَنْ الْحَامُونَ ثَغَرَهُمْ      وَالْوَالِجُونَ إِذَا مَا قُفِّعَ الْبَابُ<sup>(٤)</sup>

وليس هذا كل ما يلاحظ على فنّ الفخر لهذا العصر، فنحن نلاحظ أيضاً أن الشاعر لا يعبر عن فخره بنفسه فحسب، وإنما يعبر - أيضاً - عن قبيلة يتحدث باسمها كما في قوله: «مَنَا فَوَارِسُ يَوْمَ الصَّمَدِ». وكانت القبيلة تتخذ شاعراً يعبر عنها، وليس من الضروري أن يكون منها، كما هو شأن جرير بالقياس إلى قيس، لذلك كنّا نزعم أن مفاخر جرير والأعطل فنّ جديد لم يسبق إليه الشعراء في الجاهلية، إذ كان كل شاعر يتحدث باسم قبيلة، أمّا في هذا العصر، فإنّ الشاعر قد يتحدث ويفاخر باسم قبيلة أخرى، ولا مانع - مطلقاً - من أن يضطره ذلك إلى أن يقف ضد قومه وقبيلته

(١) المراء: الجدل - الثوك: الحمقى - قبقاب: ثرثار.

(٢) الزخوف: الجيش العظيم - البيض: السيوف اللامعة - الغاب: الرماح.

(٣) عتية: ابن الحارث بن شهاب - الحارثان: سويد والحارث ابنا شهاب.

(٤) والوجون: الداخلون - قفيع: أحدث صوتاً.

نفسها، كما حدث بين جرير والفرزدق. ومن المفاخر التي يفخر بها على الفرزدق قوله:

فَبُنَا أَنَاسُ نَحِبُ الْوَفَاءِ جِلْدَارُ الْأَحَادِيثِ فِي الْمَشْهَدِ  
وَلَا نَحْتَسِبِي عِنْدَ عَقْدِ الْجَوَارِ بِغَيْرِ السُّيُوفِ وَلَا نَرْتَدِي  
وَيَوْمًا يَبْلُقَاءُ يَا ابْنَ الْعُمَيْيُونَ شَهْدَنَا الطَّمَانَ وَلَمْ تَشْهَدْ (١)  
فَصَبَّخْنَا أَبْجَرَ وَالْحَوْفَزَانَ يَزِيدُ مُشِيرَ عَلَى الرُّودِ (٢)  
وَيَوْمَ الْبَحِيرِ مِنَ الْحَقَنَاتِ لَهْنُ أَخَادِيدُ فِي الْقَرَدِ  
نُعْضَ السُّيُوفِ بِهَامِ الْمُلُوكِ وَنَشْفِي الطَّمَاخَ مِنَ الْأَصِيدِ (٣)

إنها أبيات مفاخرة، يستعمل فيها كلمة (نا) ليدل بها على جماعة يتكلم باسمهم، ويجعلهم شرفه ومزكته بين الناس، ولكنه يستعمل غريباً من اللفظ معقداً، نحسب أنفسنا معه، وكأنا في عصر جاهلي متقدم. ولعل هذا يوصلنا الى أن نرى جريراً كان يرى العصبية الجاهلية البدوية، أثناء مفاخرته بشعره، فيجعل المناظرات التي مست كل جانب في الحياة الدنية والعقلية، صدى لتلك العصبية في قصائده ويجعل انسياقه في مفاخراته مع الأخطل أو مع الفرزدق، وكأنه تقلد به علماء البصرة والكوفة، حين يأخذ واحد منهم في الدفاع عن

- 
- (١) في هذا البيت مفاخرة على الفرزدق لأنه لم يلتحق بموقعه «يوم بلقاء».
- (٢) الجرد الحوفزان: أسماء مواقع - الورد: المكان للمشرف على الحمى - مشير: مطلق.
- (٣) الهام: الرأس من كل شيء، وتطلق على الجسد أيضاً - الطماخ: السوف - الأصيد: الشامخ المتكبر.

فكرة معينة، كفكرة الجبر، أو القدر، أو الإرجاء. وكهذه المناقشات التي لا تنتهي في مسائل الفقه والتشريع، مما كان يراه جرير كل يوم في المسجد الجامع، وفي المريد وفي الطرقات، وفي مجالس الناس. ولعلنا بذلك، نستطيع أن نفهم، كيف أن جريراً التميمي، كان يأخذ صف قيس المخاصمة لقبيلته، وكيف كان يعيش للنضال عنها، فقد تحولت المسألة عنده الى فكرة، أو ما يشبه العقيدة، أو تسلية نفسه والجمهور من حوله بهذه المحاور<sup>(١)</sup>.

فالجوّ الذي شاعت فيه المفاخرة بين جرير وبين كل من الأخطل والفرزدق، كان جوّاً جديداً، فيه مناظرات العلماء ومناقشاتهم ومحاوراتهم. ومن أمثال تلك المناقشة التي يناقش من خلالها جرير الأخطل في المفاخرة، قوله له في مفاخرة قيس على تغلب، ومفاخرته برسول الله:

كَذَلِكَ أَعْطَى اللَّهُ قَيْساً وَخَيْدِفاً خَزَائِنَ لَمْ يُفْتَحْ لِتَغْلِبَ بِأُهَا  
وَمِنَّا رَسُولُ اللَّهِ حَقّاً وَلَمْ يَزَلْ لَنَا بَطْنٌ يَطْحَاوِي مِنِّي وَقَبَائِهَا  
وَإِنْ لَنَا نَجْدُ وَغَوْرَ يَهَامَةٍ نَسُوقُ جِبَالَ الْعِزِّ شَمّاً هِضَابِهَا

والواقع أنه تكوّنت في العقل العربي، في أثناء هذا العصر الأموي، قشرة من الثقافة، أتاحت لجرير، أن يتفوق ضرورياً. من التفوق، في كل فن عالجه من فنون الشعر. وقد سعى شاعرنا الى غاية، يريد أن يلائم فيها بين الفخر وما أصاب العقل العربي من تطور ونهوض، من أمثال ذلك قوله مفاخراً في خطابه للأخطل:

---

(١) ضيف: شوقي: التطور والتجديد في الشعر الأموي ص: ١٧٠.

وَأَنَا لَتَقْرِئِي جِنَّةً مُّحَمَّدٌ بِالْقِرَى وَلَمْ يَتَّقِ نَفِيَّ فِي سَلَامِي وَلَا صُلْبِ<sup>(١)</sup>  
نُشْرِفُ عَادِيهَا مِنَ الْمَجْدِ لَمْ نَزَلْ عِلَالِيَّةً تُبْنَى عَلَى بَاذِخٍ صَغْبِ  
فَمَا لُمْتُ قَوْمِي فِي الْبِنَاءِ الَّذِي بَنَوْا

وَمَا كَانَ عَنْهُمْ فِي ذِيَادِي مِنْ عَصَبِ<sup>(٢)</sup>  
إِذَا قَرَعَ الصَّاقُورُ مَتْنٌ صَغَاتِنَا بِنَاعِنِ ذُرُوءٍ مِنْ حَزَلِيهَا الْحُدْبِ<sup>(٣)</sup>  
إِذَا أَنَا جَاوَزْتُ الْقَرَيْنَ تَمَرَسْتُ حِبَالِي وَرَخِي مِنْ عِلَالِيَّةٍ جَذْبِي<sup>(٤)</sup>  
وإذا رجعنا الى مفاخر جرير، نراه يحاول بكل ما يستطيع أن  
يتشقق بتاريخ قيس وتغلب، وأن يتصرف الى كل ما لهما من أمجاد  
في الجاهلية، ليعرف كيف يحكم معانيه في مفاخرته، فتأتي سليمة  
تعجب الناس، وتتفق مع تاريخ كل من القبيلتين.

ومن أمثال ذلك قوله مفاخرأ في مخاطبته للفرزدق:

إِنِّي لِبْنُ حَنْظَلَةَ الْحِيسَانِ وَجُوهُهُمْ وَالْأَعْظَمِينَ مَسَاعِيًا وَجُدُودًا  
وَالْأَكْرَمِينَ مُرْكَبًا، إِذْ رُكِبُوا وَالْأَطْيَبِينَ مِنَ التُّرَابِ صَعِيدًا<sup>(٥)</sup>  
وَلَهُمْ مَجَالِسُ لَا مَجَالِسَ مِثْلَهَا حَسْبًا يُؤْتَلُّ طَارِفًا وَتَلِيدًا<sup>(٦)</sup>

(١) نقي: المخ - السلامي: العظام المجوفة.

(٢) ذهادي: حمي.

(٣) الصاقور: المعول - الدرود: الجواب - الحزالي: الجواب غير السليمة.

(٤) علالية: عصبتا العنق.

(٥) الصعيد: وجه الأرض.

(٦) الأتل: التأصل في الحسب والشرف.

إِنَّا إِذَا قَرَعَ الْعَدُوَّ صِفَاتَنَا  
 مَا مِثْلُ نَبْعَتِنَا أَعَزُّ مُرَكَّبًا،  
 إِنَّا لَنَذَعُرُ، يَا قُعَيْرُ عَدُوَّنَا  
 نَحْنُ الْمَلُوكُ إِذَا أَتَوْا فِي أَهْلِهِمْ  
 اللَّاسِينَ لِكُلِّ يَوْمٍ حَفِيزَةٌ  
 سَائِلُ ذَوِي يَمَنِ وَسَائِلُهُمْ بِنَا  
 إِنَّا لَنَذْكُرُ مَا يُقَالُ ضَحَى غَدٍ  
 وَنَكُرُ مَحْيَةً، وَتَمْنَعُ سَرَحَنَا  
 نَبْنِي عَلَى سَنَنِ الْعَدُوِّ بِيُوتَنَا  
 مِنَّا فَوَارِسُ مَنَعِجٍ وَفَوَارِسُ  
 فَلَرُبُّ جَبَّارٍ قَعَرْنَا عَنْوَةً  
 وَلَقَدْ جَنَّبْنَا الْخَيْلَ وَهِيَ شَوَارِزُ  
 وَلَقَدْ جَرَيْتُ فَجَجْتُ أَوَّلَ سَابِقِ  
 وَجَهَدْتُ جَهْدًا يَا فَرزدَقُ كُلَّهُ  
 لَأَقْوَا لَنَا حَجَرًا أَصَمُّ صَلُودَا  
 وَأَقْلُ قَادِحَةً، وَأَصْلَبُ عُوْدَا  
 بِالْخَيْلِ لَاحِقَةً الْأَيَّاطِلِ قُوْدَا<sup>(١)</sup>  
 وَإِذَا لَقِيتَ بِنَا رَأَيْتَ أُسُودَا  
 حَلَقًا يُدَاخِلُ شَمُهُ مَسْرُودَا  
 فِي الْأَزْدِ إِذْ نَدَبُوا لَنَا مَسْعُودَا<sup>(٢)</sup>  
 عِنْدَ الْحِفَاطِ وَنَقَتْلُ الصُّنْدِيدَا<sup>(٣)</sup>  
 جُرْدًا تَرَى لِمُغَارِهَا أَخْلُودَا<sup>(٤)</sup>  
 لَا نَسْتَجِيرُ، وَلَا نَحُلُّ خَرِيدَا<sup>(٥)</sup>  
 شَدُّوا وَثَاقَ الْخَوْفَرَانِ بَأُودَا<sup>(٦)</sup>  
 مَلِكٌ يَجْرُ سَلَاسِلًا وَقِيُودَا  
 مُتَسَرِّبِلِينَ مُضَاعَفًا مَسْرُودَا  
 عِنْدَ الْمَوَاطِنِ مُبْدِيًا وَمُعِينِدَا  
 فَتَزَعْتَ لَا ظَفِيرًا وَلَا مَحْمُودَا

(١) الأباطل: الخصم.

(٢) مسعود: هو سيد الأزد ويدعى مسعود بن عمر الفثكي.

(٣) الصنديد: الطل العظيم.

(٤) المغار: الكبر والمجور.

(٥) الخريد: كل قليل في كثير.

(٦) الخوفران: الحارث بن شريك.

إِنَّا وَإِنْ رَغَمْتَ أَتَوْفُ مُجَاشِعٍ خَيْرٌ قَوَارِسَ مِنْهُمْ وَوُقُودًا  
نَسْرَى إِذَا سَرَتْ النُّجُومُ وَشَبَّهَتْ بَقْرًا بِسُرْقَةٍ عَالِيَةٍ مَطْرُودًا<sup>(١)</sup>

وَأَنَا لَنَجِدَ فِي شِعْرِ الْمَفَاخِرَةِ، أَلْيَاتًا لَجَرِيرٍ فِي شِعْرِ الْحَرْبِ، تَفِيضُ  
فَرُوسِيَّةً فِي وَصْفِ هَجْمَةِ الْخَيْلِ مِتْلَاحِقَةً عَلَى الْعَدُوِّ. وَاعْتَصَامُ  
الْفَرَسَانِ بِغَارَاتِهَا، وَضُمُورُهَا طُولَ الطَّرَادِ. فَكَانَ جَرِيرٌ بِأَلْيَاتِهِ هَذِهِ  
الْقَلَائِلَ مَصُورًا لِلْأَفْرَاسِ الْمَعْدَةِ لِلْحَرْبِ، وَفِي أَرْبَعِ صُورٍ مِتْلَالِيَةٍ وَهِيَ:  
عَادِيَةٌ، جَرْدَاءٌ، مَقُودَةٌ لِلْحَمِّ، مَطْوِيَّةُ التَّوْنِ. وَإِنْ فِي ثَبَاتِ جَرِيرٍ  
لِحَرْبٍ هَجَاءٍ وَمَفَاخِرَةٍ عَوَانٍ، دَامَتْ أَرْبَعِينَ عَامًا، كَانَ يَشْنَاهَا عَلَيْهِ  
مِنْ كُلِّ أُمِيَّةٍ، وَمَعَهَا ثَمَانُونَ شَاعِرًا فِيهِمُ السُّلَيْطِيُّ وَالْبَعِيثُ وَالْأَشِيبُ  
بَنُ رَمْلَةٍ، لِلدَّلِيلِ عَلَى صَلَابَةِ عُدَدِهِ، وَقُوَّةِ نَفْسِهِ وَشَجَاعَتِهِ، فَلَا غَرَابَةَ  
إِذَا قَالَ مِنْ شِعْرِهِ فِي الْحَرْبِ، وَالْمَفَاخِرَةِ، وَأَثَرَتْ لَهُ أَلْيَاتٌ كَثِيرَةٌ فِي  
الْحِمَاسَةِ<sup>(٢)</sup> إِنَّهُ كَانَ يَفْخَرُ بِلِسَانِهِ، وَكَانَ يَفْخَرُ بِسَيْفِهِ فَيَقُولُ:

جَرِيءُ الْجَنَانِ لَا أَهَابُ مِنَ الرُّدَى إِذَا مَا جَعَلْتُ السَّيْفَ قَبْضَ بَنَانِيَا  
وَلَيْسَ لِسَيْفِي فِي الْعِظَامِ بَقِيَّةٌ وَلِلسَّيْفِ أَشْوَى وَقَعُهُ مِنْ لِسَانِيَا

وَمِنْ هَا هُنَا عَلَّمَ جَرِيرٌ أَبَا تَعَامٍ وَالْمُتَنَبِّيَّ، كَيْفَ يَفْضُلَانِ السَّيْفَ  
عَلَى الْقَلَمِ إِذْ كَانَ جَرِيرٌ يَقُولُ (إِنْ السَّيْفُ أَتَجَعَ مِنَ اللِّسَانِ) وَكَانَ  
جَرِيرٌ يَشْهَدُ الْغَزْوَةَ، وَيَكُونُ فِي الْمَسْكَرِ<sup>(٣)</sup> وَكَانَتْ نَفْسُهُ تَعْلُو بِهِ  
إِلَى مِشَارِفِ الْفَرَسَانِ الْأَبْطَالِ، وَكَأَنَّهُ كَانَ يَحْسُ فِي نَفْسِهِ الْحَسَّ  
الْحَرْبِيَّ الْمَكْبُوتَ، وَقَدْ ظَهَرَ فِيهِ هَذَا الشُّعُورُ حِينَ قَالَ الْحِجَاجُ لِلْفَرَزْدَقِ

(١) نَسْرَى: نَشَى لَيْلًا.

(٢) الْمُهَلْسَنُ: زَكِيٌّ: شِعْرُ الْحَرْبِ فِي آدَبِ الْعَرَبِ: ص: ١١٨.

(٣) الْأَصْبَهَانِي: أَبُو الْفَرَجِ: عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ: ج ٧: ص: ٧٠.



وجريرو، وهو في قصر بالبصرة «التياني في لباس آهالكما في الجاهلية» فلبس الفرزدق الدياج والخز وقعد في قبة. وشاور جريرو دهاء بني يربوع فقالوا له: ما لباس آبائنا إلا الحديد، فلبس جريرو درعاً، وتقلد سيفاً، وأخذ رمحاً، وركب فرساً لعباد ابن الحصين، وأقبل في أربعين فارساً من بني يربوع، وجاء الفرزدق في هيئته تلك، فقال جريرو في هذه الحادثة<sup>(١)</sup>:

لبست سلاحي والفرزدق لعبة      عليه وشاحاً كَرَجٍ وخَلَاخِيلَهُ<sup>(٢)</sup>  
أَعَدُّوا مَسَعَ الْخَزِّ الْمَلَأَ فَيَتَمَّا      جريرو لَكُمْ بَقْلٌ وَأَنْتُمْ حَلَالِيلُهُ  
وكانت كوا من بطولته تظهر في ثأيا قصائده، فهو حين يمدح عبد العزيز بن الوليد، والحجاج وأولاد عبد الملك، كان يفاخر بفروسية قومه، وركوبهم للحرب فيقول:

لقد علم الحمي المصْبُحُ أَنَّنَا      مَتَى مَا يُقْلَ يَا لِلْفَوَارِسِ نَرْكَبِ  
لَنَا فَارِطًا حَوْضَ الرُّسُولِ وَحَوْضُنَا  
يَنْعَمَانِ وَالْأَشْهَادُ لَيْسَ بُغْيَبِ<sup>(٣)</sup>

وكان يذكر مواضي قومه في أيام العرب، ويبين انتصاراتهم ومآثر عزهم التي تبث فيه البطولة والفخر كمثل قوله:

وَيَوْمَ بَنِي رَيْبَعَةَ قَدْ لَحِقْنَا      وَذُذْنَا يَوْمَ ذِي نَجَبٍ كِلَابًا<sup>(٤)</sup>

(١) الأصمعي: أبو الفرج: علي بن الحسين الأغانى: ج ٧ ص: ٦٧.

(٢) الوشاح الكرجي: الوشاح المختن والمحيط.

(٣) حوض الرسول: حوض النبي يوم القيامة، النعمان: حياض ماء بجبل عرفة.

وَيَوْمَ الْخَوْفِ زَانٍ فَأَمْسَنَ تَيْمٌ قَدْ عَفَى يَوْمَ ذَلِكَ أَوْ تُجَعَلُ<sup>(١)</sup>  
 سَمَوْنًا بِالْفَوَارِسِ مُلْجِمِيهَا مِّنَ الْفَوْرِينِ تَطْلُعُ النُّقْلُ<sup>(٢)</sup>

ولا يفتر خلال شعره كله عن ترديد فروسية قومه ومآثرهم  
 السالفة كقوله:

أَلَيْسَ فَوَارِسُ الْحَضَبَاتِ مِنَّا إِذَا مَا الْحَرْبُ هَاجَ لَهَا عَكُوبُ<sup>(٣)</sup>

وسار في شعره على غرار أصحابه أهل المهجاء، يمزج المدح  
 بالفخر، والمهجاء بوصف الحرب وذكر السلاح والأيام. ويظلُّ أبداً  
 مولعاً بأوصاف الخيل، وتصوير الفروسية. وفي شعر جرير، أبيات  
 كثيرة تشير إلى حوادث سياسية، ووقائع حرب كان يتخذها وسيلة  
 لغاية الفخر. ولم يكن ليترك حادثة سياسية كبرى إلا سجلها في  
 شعره<sup>(٤)</sup>.

وهكذا كانت المفاخرة - عند جرير - تتألف من عناصر قديمة  
 تتصل بهذا الحسّ التاريخي بكل ما للعرب في جاهليتهم من حروب  
 ومآثر، كما تتألف من عناصر جديدة تتصل بهذا الحسّ الحاضر، بكل  
 ما يتصل بالدولة الحديثة، من ظروف سياسية أو دينية. وكان شاعرنا  
 ما يزال يصدّر عن هذين الحسّين، حتى يثبت تفوقه، وآتاه السابق

(٧) يوم بني ربيعة هو: يوم الرغام: من أيام العرب، ذنبا: حيناً.

(١) الخوفزان: الحارث بن شريكة.

(٢) النقب: مفردا نقب: وهو الطريق بين جبلين.

(٣) المكوب: الغبار.

(٤) المحاسن: زكي: شعر الحرب في أدب العرب: ص: ١١٨ - ١١٩.

المُجَلِّي في المناظرة. وكانت مفاخره تعود الى المفاخرات القديمة، وعلى رأسها الأكام، وهي بجانب ذلك تتألف من موادَّ حديثة، تتصل بالظروف السياسية، وبمناصر الإسلام. ونرى أنَّه بفخر ذلك، قد وُلِدَ معاني كثيرة، كانت ثمرةً للرقي العقلي الذي أحرزه الفكر العربي في عصر بني أمية.

### الخصائص العامة:

جرير من النفوس ذات المزاج العصبي، وذات الطبع الناعم الرقيق، ولكن جعلت رقة الطبع شعره دون شعر الفرزدق فخامة، فقد جعلته يتفوق في المواقف العاطفية، كالرثاء والنسيب. فالعاطفة هي منبع كل شيء في شعر جرير، وهي عنده تطفئ على العقل والخيال، ولهذا ضعف تفكيره، كما ضعف خياله ووصفه، فجرى على توثب إحساسه الذي يثيره أقل تهويش، وتستفزّه كل المؤثرات العاطفية. ولقد اجتمعت العاطفة عند جرير الى قريحة فيّاسة، فكان شعره يفيض من طبع غني، وكان الشاعر «يغرف من بحر» فلا يجهد في شعره، ولا يعمد الى الثقاف والتنقيح كالأخطل، ولا الى النحت كالفرزدق، بل يسير شعره سيلاناً في سهولة، تمتد بامتداد قصائده الطويلة، وفي خفة ولباقة تعبير، وموسيقى لفظية أخاذة، ووضوح. ولكن هذه السهولة في النظم، وهذا الفيضان، عرّضاه للوقوع في الإسفاف أحياناً كثيرة، فهو دون الأخطل والفرزدق جزالة وقوة. ولكن سهولته هي التي عملت على سيرورة شعره أكثر من غيره. وجرير، وإن كان شاعر الطبع والعاطفة المتدفقة، لم يسلم أحياناً من الصنعة، وتطلب التأثير بألوان من الأساليب الفنية اللفظية. وهكذا كان جرير، أقدر من الأخطل والفرزدق على نقض الكلام، وأشد فتنة، وأقل صنعا

للمتوجات البيانية، وأغنى قريحة، وأرق عاطفة ولفظاً، وأوضح كلاماً، وأوفر انسجاماً ونفحاً موسيقياً؟ إلا أنه دون الأخطل والفرزوق خيلاً وتفكيراً وجزالة وجريراً في مدائحه لبني أمية وولانهم وعماهم مستجد، وتكسبه صريح. وهذا التكسب، يُحلي عليه أساليب المدح ومعانيه. فهو يعظم شأن ممدوحه ويثبت لهم الحق بالخلافة. فيصف قوة الخلفاء ومن يعملون في ظلهم، ويصف سطوتهم، كما يصف أعمالهم العمرانية، وإذا انتقل الى حقل الدين، أطال القول، حتى ليخيل للقارىء، ان المدح ديني<sup>(١)</sup>:

أكثر مما هو مدني، وحتى كأن للخلافة شأنًا دينيًا لا شأنًا مدنيًا.  
فتنشر في مدائحه ألفاظ الخلافة، والقرآن، والأحكام،

والأمانة، والورع، والهدى، والبركة، وما الى ذلك مما يصدر عن نزعة جريـر الدينية التي تتمثل في جميع أغراض شعره. والمدح بطول عند جريـر، مفصلاً صفات الممدوح، جاعلاً الكرم من أجل الصفات، وفي هذا المدح، يتضاءل ظلّ الشاعر، فلا يفخر، ولا يهجو، إنما يقف موقف المتسوّل، الذي لا ينفخ في شعره المدحي نفس عالٍ، ولا يعصف به اندفاع شديد.

أمّا الرثاء عند جريـر، فهو قسمان: قسم خصّ به أهل بيته، كامراته، وابنه سودة. وقسم خصّ به رجال الدولة وغيرهم: كالوليد، وابنه عبد العزيز. ولما كان جريـر رجل العاطفة الشديدة التأثر، كان رثاؤه بمجمله عاطفياً، رقيقاً، يؤثر في القلب<sup>(٢)</sup> وجريـر كان صادقاً

(١) فاخوري: حنا: تاريخ الأدب العربي: ص: ٣٠٧.

(٢) الفاخوري: حنا، تاريخ الأدب العربي: ص: ٣٠١.

في لطفه، فكانت مرآته شعر العاطفة المتألّمة، تهيمن عليه النفحة الدينية، وتتدفق فيه الذكريات التي تبعث الأسف والأسى. وكان لجبرير مقدرة عظيمة على الهجاء. فقد اجتمع له الشعور الحادّ الذي إذا احتدم، يكون كالبركان الهائج، الذي يقذف الحمم، ولا يدرك ما يقول. وإلى هذا الشعور، وشدة التأثير، وسرعة الاندفاع كان جبرير، ذا مقدرة غريبة على التهكم والسخر، وذا بصيرة نافذة في تتبع الصورات واختلافها. وكان فيّاض القريحة، لا يستعصي عليه جواب، وإذا ضرب، كانت ضربه خاطفة. أما طريقته في هجائه عموماً، فهي طريقة، جمعت إلى نسايب خصومه، أسلوبه الخاص. القائم على شدة اللذع والإيلام، مما لم يجمع لأحد منهم بقدر ما اجتمع له، فهو يعمد إلى طريقة الفرزدق في الإفحاش والإقذاع، واستعمال كلمات الفجور والبذاء بصراحة شنيعة. وهو يعمد إلى طريقة الفرزدق والأخطل بالتعبير بالانكسارات والمذلة<sup>(١)</sup>.

إلا أن جبريراً لا يقف عند هذا الحدّ، بل يتعداه إلى أسلوب خاص، في اللذع يقوم بتبع حياة المهجر وحياة ذويه، وتعداد نقائضه، والكشف عن عوراته، واحدة فواحدة، ذاكراً تفاصيلها مبنياً كل ما من شأنه، أن يجعل المهجور موضوع احتقار الناس، وهو يكثر من تعداد النقائض القومية والشخصية؛ الماضية والحاضرة، ويخلق الحوادث والقصص، ويكثر من التكرار ليثبت ما يقول في الأذهان، ويبالغ في الزرابة والتحقير والتشبيه بالحقير القذر من الحيوانات، زائداً في القبائح ما تفيض به قريحته، ممزقاً أعراض الأمهات والأخوات

(١) المرجع نفسه: ص: ٣٠٢.

أشنع تمزيق مما يلدع أشدّ اللّذع؛ وهو يزيد على ذلك كلّ التّهمك  
والسخرية. فيجعل المهجو من المضحكات، ويصوّره تصويراً  
«كاريكاتورياً» يمتّ على الضحك، وهذا ممّا يزيد كلامه لذعاً. وكان  
جرير في هجائه موجعاً مرّاً، كثيراً ما يشمل عدّة خصوم. وكان  
كثير الاضراء على الأبرياء، لا يبالي أن يقذف المحضات العفيفات؛  
وكان إلى ذلك دنيّاً، كثيراً ما يستغفر الله من قذف المحصنات، ويقرّ  
أمام الناس ببراءتهن، ويحذر، ويدعي أنّ أولياءهنّ ظلموه، فجازاهم  
بما ظلموا.

أما الفخر، فهو شديد الصلة بالهجاء عند جرير. وكان إذا هجا  
اختبر، وجعل من الفخر وسيلة لتذليل خصمه. أمّا موضوع فخره،  
فنفسه وشاعريته ثم قومه، وإسلامه. فإذا هجا الفرزدق، اصطدم  
بأصل الفرزدق الذي هو أصله، فكلاهما من تميم، وهو أصل شريف.  
ولكن الفرع الذي كان يتّمسك إليه الفرزدق، كان أشرف من فرع  
جرير، ولهذا لم يستطع أن يجعل فخره بلبائه موازياً لفخر الفرزدق.  
إلاّ أنّه فخر ببعض أيام لبني يربوع قومه، كما أعين على الفرزدق بأيام  
خلد فيها بنو دارم قوم الفرزدق وبنو ضبة أخواله<sup>(١)</sup> وإذا عرضنا  
لخصائص الغزل في شعر جرير، فنجد أنّها كانت فناً مستقلاً في  
قصائده الغزلية. ولم يخرج فيها عن الأسلوب والمعاني القديمة ولكنه  
مزج في غزله بين أسلوب الجاهليين، وأسلوب المتيمين العلريين.  
فهو يصف المرأة بما سبق إليه الشعراء من أوصاف، ثم ينتقل من  
تلك الأوصاف، إلى داخل نفسه، ليحدثنا عن لوعته وألمه وحرمته

(١) الفقاخوري: حنا: تاريخ الأدب العربي من: ٣٠٣ و ٣٠٤.

وعن نزعات الفؤاد وخلجاته. وجريه رجل فنّ في الغزل، وفنه قائم بنوع خاص على الموسيقى اللفظية. فهو يجمع الى الرقة والعدوة أنغاماً مطربة تتصاعد من تآلف ألفاظه ومن حسن اختياره بحوره وقوافيه، ومن تكرار بعض الألفاظ للمقارنة أو الطباق. وغزله هو غزل العاطفة الصادقة التي تتألم وتنفس في تعبير رقيق لئيم، يزخر بالألفاظ الموسيقية العذبة، ويخلو من البذاءة، والقصص الغرامي الفاحش، وتلمس فيه نزعة الشاعر الدينية<sup>(١)</sup> أما ما كان يعقد بين شعر جرير، وبين قلوب الناس، أكثر مما كان يعقد بين شعر منافسيه وقلوبهم فذلك أنه كان أحسن الناس تشبيهاً<sup>(٢)</sup> وكان يذهب في غزله مذهباً عاطفياً، يفارق فيه بعض المفارقة مذهب المدرسة العراقية، ويقارب منه المدرسة العاطفية الشعبية الحجازية. وهي المدرسة التي ظل زماناً ينكر على أصحابها أنهم بلغوا مبلغ الشعراء وكانت قوة العاطفة في شعر جرير بالقياس الى شعر شعراء العراق سبباً في قربه الى النفوس، وكانت اقوى ما تبدو في ذلك اللون الذي يتناول عاطفة عامة مشتركة بين الناس كالغزل. وتنبئ من خصائص شعره، انه كان مرضياً عند كثرة سامعي قصائده، أي الى ان يكون شعبياً، لكثرة انتشار شعره وشيوعه، وقره من نفوس الناس على اختلاف طبقاتهم<sup>(٣)</sup>.

(١) فلنحوري: حنا: تاريخ الأدب العربي: ص: ٣٠٦.

(٢) ابن قية: عبد الله بن مسلم: الشعر والشعراء: ص: ١٠٩.

(٣) البهيتي: نجيب محمد: تاريخ الشعر العربي: ص: ٢٨٧ - ٢٨٨

## مختارات من شعره

قال في مدح هشام بن عبد الملك:

حَيَّوْا أَمَامَةً وَاذْكُرُوا عَهْدًا مَضَى قَبْلَ التَّصَدُّعِ مِنْ شَمَائِلِ النَّوَى<sup>(١)</sup>  
قَالَتْ بَلَيْتَ فَمَا نَزَاكَ كَعَهْدِنَا لَيْتَ الْعُهُودُ تَجَدَّدَتْ بَعْدَ الْبَلَى<sup>(٢)</sup>  
أَمَامُ غَيْرِنِي، وَأَنْتَ غَيْرَةُ

حَاجَاتُ ذِي أَرْبٍ وَهَمُّ كَالْجَوَى<sup>(٣)</sup>  
قَالَتْ أَمَامَةُ: مَا لَجَهْلِكَ مَا لَهُ كَيْفَ الصَّبَابَةُ بَعْدَ مَا ذَهَبَ الصَّبَا  
وَرَأَتْ أَمَامَةً، فِي الْعِظَامِ تَحْنِيًا بَعْدَ اسْتِقَامَتِهَا وَقَصْرًا فِي الْخَطَا<sup>(٤)</sup>  
وَرَأَتْ بِلَحْيَتِهِ خِضْلًا رَاعَهَا

وَالْوَيْلُ لِلْفَتَيَاتِ مِنْ خَضْبِ اللَّحَى<sup>(٥)</sup>

(١) التصدع: الفقرة والباعد - الشمائل: ما تفرق من كل شيء - النوى: البعد.

(٢) البلى: التلف والمصاب.

(٣) أَمَامُ: ترخيم لاسم أَمَامَة - غريرة: طائشة: ساذجة لم تعرف أمور الحياة بعد.

أَرْب: حاجة - الجوى: شدة العشق والحزن.

(٤) تحنياً: ميل والحناء.

(٥) خضلاً: صياغاً - راعها: خافها.



وَتَقُولُ: إِنِّي قَدْ لَقِيتُ بَلِيَّةً

مِنْ مَسْجَعٍ غَنِيكَ مَا يَزَالُ بِهَا قَدَى<sup>(١)</sup>

لَوْلَا ابْنُ عَائِشَةَ الْمُبَارَكُ سَيِّئُهُ أَهْبَكَ بَنَى وَأَمَهُمْ طُولُ الطُّوَى<sup>(٢)</sup>

إِنَّ الرُّصَافَةَ مَسْنُولٌ لَخَلِيفَةٍ جَمَعَ الْمَكَارِمَ وَالْعَرَائِمَ وَالتَّقَى<sup>(٣)</sup>

مَا كَانَ جُرْبٌ عِنْدَ مَدِّ حَبَالِكُمْ

ضَعْفُ الْمُتَوَنِّ وَلَا انْتِصَامٌ فِي الرَّمَى<sup>(٤)</sup>

مَا إِنْ تَرَكْتَ مِنَ الْبِلَادِ مَضِلَّةً إِلَّا رَفَقَتْ بِهَا مَنَاراً لِلْهَدَى<sup>(٥)</sup>

أَعْطَيْتَ غَافِيَةً وَتَصَرَّأَ عَاجِلاً آمِينَ ثُمَّ وَقِيتَ أَسْبَابَ الرَّدَى<sup>(٦)</sup>

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعْطَاكُمْ

حُسْنَ الصَّنَائِعِ وَالذُّسَائِعِ وَالْعُلَى<sup>(٧)</sup>

بِأَبْنِ الْخَضَارِمِ لَا يَغِيبُ جَبَاكُمُ

صِفَرُ الْخِيَاضِ وَلَا غَوَائِلُ فِي الْجَبَا<sup>(٨)</sup>

(١) القذى: داء يلم بالعميون.

(٢) ابن عائشة: عبد الملك بن مروان وعائشة بنت معاوية بن منيرة بن أبي العاص قتلته علي بأمر من النبي بعد فراره من أحد.

(٣) الرصافة: مدينة هشام بن عبد الملك التي عمر أسوارها.

(٤) المتون: أواسط الجبال - انتصام: الانقطاع والتفكك - الرعى: الروابط الوثيقة.

(٥) مضلة: أرض لا يهتدي بها أصحاب السفر.

(٦) وقيت: حيث - الردى: الموت.

(٧) الذسائع: مفردا دسيمة الاعطية الجزيلة.

(٨) الخضارم: الكرام (نسباً وكرماً) - الجبا: المياه الموجودة في الهياض - الهياض: أماكن تجمع المياه غوائل: شقوق تسرب منها المياه داخل الهياض.

لَا تَجْفُونَ بَنِي تَمِيمٍ بِهِمْ  
 تَلَّوْا النُّصُوحَ وَرَاجِعُوا حُسْنَ الْهَدَى (١)  
 مَنْ كَانَ يَمْرُضُ قَلْبُهُ مِنْ رِيَّةٍ  
 خَافُوا عِقَابَكَ وَتَنَهَى أَهْلُ النَّهْيِ (٢)  
 وَادْكُرْ قَرَابَةَ قَوْمٍ بَرَّةٍ مِنْكُمْ فَالرَّحْمُ طَالِبَةٌ وَتَرْضَى بِالرِّضَا (٣)  
 سَوَّيْتُ مُجْتَمَعَ الْأَبَاطِحِ كُلِّهَا  
 وَنَزَلْتُ مِنْ جَبَلِي قُرَيْشٍ فِي الذَّرَى (٤)  
 أَخَذُوا دَفَائِقَ أَسْرِهِمْ بِعَزَائِمٍ لِلْعَالَمِينَ وَلَا تَرَى أَمْرًا سَدَى (٥)  
 يَا بَنِي الْحِمَاةِ فَمَا يُرَامُ حِمَاهُمْ وَالسَّابِقِينَ بِكُلِّ حَمْدٍ يُشْتَرَى (٦)  
 مَا زِلْتُ مُقْتَصِمًا بِجَبَلٍ مِنْكُمْ مَنْ حَلَّ نَجْوَتَكُمْ بِسَبَابٍ نَجَا (٧)  
 وَإِذَا ذَكَرْتَكُمْ شَدَّدْتُمْ قُوْنِي  
 وَإِذَا نَزَلْتُ بِغِيَاكُمْ كَانَ الْحَيَا (٨)

(١) تَلَّوْا النُّصُوحَ: تَلَّوْا بِصَدَقَ دُونَ عِلْمِهِ إِلَى مَا نَصَحَ.

(٢) رِيَّةٌ: شَيْءٌ أَوْ وَسْوَاسٌ.

(٣) بَرَّةٌ: اسْمٌ لَأَخْتِ تَمِيمٍ بِنِ سَرَّةَ وَهُوَ نَسَبٌ لِلْخَلِيفَةِ.

(٤) سَوَّيْتُ: مَلَكْتُ - الْأَبَاطِحُ: مَصْبٌ وَسَعٌ وَهُوَ كِتَابَةٌ عَنْ سَكَنِ قَبِيلَةِ قُرَيْشٍ

جَبَلٍ قُرَيْشٍ: لَقَبٌ لِهَاشِمٍ وَعَبْدُ شَمْسٍ مِنْ أَسَادِ مَكَّةَ.

(٥) الْوَنَائِقُ: الْأُمُورُ الْمُؤَكَّدَةُ - سَدَى: هَبَاءٌ.

(٦) يُرَامُ: يُسْتَطَاعُ.

(٧) النَّجْوَةُ: الْأَرْضُ الْمُرْتَفَعَةُ.

(٨) الْغِيَّةُ: الْعُشْبُ وَفِيهَا رَعَتِ الْمَاشِيَةُ الْغَنَاءَ وَالْمَقْصُودُ هُنَا الْحِمَا.

فَلَا تُشْكُرْنَ بَلَاءَ قَوْمٍ ثَبَّتُوا      قَصَبَ الْجَنَاحِ وَاتَّبَعُوا رِيْشَ الْغِنَا  
 مَلَكَوْا الْبِلَادَ فَسَخَّرَتْ أَتْهَارَهَا      فِي غَيْرِ مُظْلِمَةٍ وَلَا تَبِعَ الرِّيَا<sup>(١)</sup>  
 أَوْثَيْتَ مِنْ حَذْبِ الْفُرَاتِ جَوَارِيَا      مِنْهَا الْهِنِيُّ وَسَائِغَ فِي قَرْقَرَى<sup>(٢)</sup>  
 وَالْمَجْدُ لِلزَّنْدِ الَّذِي أَوْرَيْتُمْ      بَحْرًا يَمْدُ عَجَلُهُ جُوفَ الْقِنَى<sup>(٣)</sup>  
 سِيرُوا إِلَى الْبَلَدِ الْمُبَارَكِ فَانْزِلُوا      وَخُذُوا مَنَازِلَكُمْ مِنَ الْغَيْثِ الْحَيَا  
 سِيرُوا إِلَى بَسْرِ أُرُومَةٍ عَادِيَةٍ      وَابْنِ الْفُرُوعِ يَمْدُهَا طَيْبُ الثَّرَى<sup>(٤)</sup>  
 سِيرُوا فَقَدْ جَرَتْ الْأَيَّامِينَ فَانْزِلُوا

بَابُ الرُّصَافَةِ تَحْمَدُوا غِبَّ السُّرَى<sup>(٥)</sup>  
 سَرْنَا إِلَيْكَ مِنْ الْمَلَا عَيْنِيَّةً

يَخْبِطُنَ فِي سُرْحِ النِّعَالِ عَلَى الْوَجَى<sup>(٦)</sup>  
 تَلْمِى مَنَاسِمُهَا وَهْنُ نَوَاصِلٍ      مِنْ كُلِّ نَاجِيَةٍ وَنَقْضٍ مُرْتَضَى<sup>(٧)</sup>

- 
- (١) الرِّيَا: الرِّيَاءُ.  
 (٢) الْهِنِيُّ: اسمُ نَهْرٍ قَرِبَ الرِّمَّةِ. حَفَرُهُ هَشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ. قَرْقَرَى: سَكَنَ فِي الْهِيَامَةِ.  
 (٣) الزَّنْدُ: الْقَدَحُ - أَوْرَيْتُمْ: شَبَّهَ بِقَدَحٍ نَارَ الزَّنْدِ إِذَا اسْرَعَ نَارُهُ. عَجَلُ: مَوْجُ جَوْفٍ: وَاسِعَةٌ.  
 (٤) أُرُومَةٌ: أَصْلٌ - عَادِيَةٌ: نَسَبَةٌ إِلَى عَادَ (عَادَ وَ ثَمُودَ).  
 (٥) الْأَيَّامِينَ: الْمُبَارَكُونَ - السُّرَى: لِلشَّيْءِ لَيْلًا.  
 (٦) الْمَلَا: الْفَلَاةُ - الْعَمْدَةُ: صِفَةٌ لِلنِّيَاقِ الَّتِي تَحْمِلُ السِّيرَ طَوِيلًا - سُرْحُ: مَخْضُوعَةٌ بِالسَّرَاحِ - الْوَجَى: الْخَفَا.  
 (٧) التَّلْمِى: الْخَفُونُ، النَوَاصِلُ: الْمُتَقَدِّمَاتُ، النَّاجِيَةُ: السَّرِيمَةُ، النَقْضُ: السِّيرُ الْبَطِيءُ.

## كَلَفْتُ لَاحِقَةَ النَّمِيلِ خَوَاسِأً

غُبَرَ الْمَخَارِمِ وَهِيَ خَاشِعَةُ الصَّوَى <sup>(١)</sup>

نَزَمِي الْغُرَابَ إِذَا رَأَى يِرْكَابَنَا جَلَبَ الصَّفَاحِ وَدَامِيَاتِ الْكُلَى <sup>(٢)</sup>

وقال لسليمان بن سعد صاحب ديوان العطار باليمامة:

لَقَدْ كَانَ ظَنِّي يَا ابْنَ سَعْدٍ سَعَادَةً وَمَا الظَّنُّ إِلَّا مُخْطِئٌ وَمُضِيبٌ

تَرَكْتُ عِيَالِي لَا فَوَاكِهَ عِنْدَهُمْ وَعِنْدَ ابْنِ سَعْدٍ سُكَّرٌ وَزِينٌ

تَحْتَى الْعِظَامُ الرَّاجِفَاتُ مِنَ الْبَلَى وَلَيْسَ لِدَاءِ الرُّكْبَتَيْنِ طَيِّبٌ

كَأَنَّ النِّسَاءَ الْآمِرَاتِ حَنَيْنِي عَرِيشاً فَمَشْنِي فِي الرُّجَالِ دَيْبٌ <sup>(٣)</sup>

مَنْعَتْ عَطَائِي يَا ابْنَ سَعْدٍ وَإِنَّمَا سَبَقَتْ إِلَيَّ الْمَوْتَ وَهُوَ قَرِيبٌ

فَإِنْ تُرْجِعُونَا رِزْقِي إِلَيَّ فَإِنَّهُ مَتَاعٌ لَيَالٍ، وَالْحَيَاةُ كَذُوبٌ

قال يمدح عبد العزيز بن الوليد:

أُرَاحَ الْحَيَّ مِنْ إِرْمِ الطُّرَادِ فَمَا تُبْقُوا لِعَيْنِكَ مِنْ سَوَادٍ <sup>(٤)</sup>

(١) لاحقة: ضعيفة - النميل: صفة للبن الحامض - خواسأ: صفة للجمال التي ترمى أحياناً ثلاثة، ثم تعود في اليوم الرابع.

(٢) الجلب: ما يعلو الجرح حين يتماثل للشفاء - الصفاح: الجواب - الكلَى: الكليتان.

(٣) حنيني: جعلتني أتوي وأميل - العريش: الخيمة.

(٤) إرم الطرد: المكان الذي تذكر الشاعر أطلاله - عما تُبقوا لعينك من سواد: وصف لحالة مقلتي الشاعر وقد ليهضت من البكاء.

أَرَأَيْتِ الْكَاشِحِينَ وَأَتَقِيهِمْ      كَأَنِّي كَاشِحٌ لَهُمْ مُعَادِي <sup>(١)</sup>  
تَقَرُّنَا، فَلَا طَمَعٌ قَرِيبٌ      وَبَاعَدْنَا فَرَدَّتْ عَلَى الْبِعَادِ  
وَمَا بَالَيْتِ يَوْمَ رَأَيْتِ دُمُعِي      لَهُ سَبَلٌ يَفِضُ عَلَى بِنَاذِي <sup>(٢)</sup>  
فَيَا لَكَ إِذْ تُجَاوِرُ خَيْرَ جَارٍ      وَإِذْ وَادِي سُلَيْلَةٍ خَيْرُ وَادِي  
إِلَى عَبْدٍ الْعَزِيزِ شَكُوتُ جَهْدًا      مِنْ الْبَيْضَاءِ أَوْ زَمَنِ الْقَتَادِ <sup>(٣)</sup>  
سَيْنٌ مَعَ الْجَرَادِ تَعْرِقُنَا      فَمَا بَقِيَ السُّنُونُ مَعَ الْجَرَادِ؟  
وَلَوْ لَا فَضْلُ نَائِلِهِ عَلَيْنَا      لَمَا أَحْيَا بَنِيَّ وَلَا بِلَادِي <sup>(٤)</sup>  
وَلَمْ يَغْشُرْ نَدَاكَ أَبُو عَدِيٍّ      وَلَا كَعْبُ بْنُ مَامَةَ مِنْ إِيَادِ <sup>(٥)</sup>  
سَنَشْكُرُ مَنْ لَهُ أَثَرٌ عَلَيْنَا      كَأَنَّا رِ الْوَلِيَّ عَلَى الْعِهَادِ <sup>(٦)</sup>  
دَعَوْتِكَ وَالْبِمَامَةَ دُونَ أَهْلِي      وَلَوْ لَا الْبُعْدُ أَسْمَعَكَ النَّادِي  
عَلَى عَلِيَاءِ تَرْفَعُ خَيْرَ نَارٍ      وَتَقْدَحُ بِالْوَرِيِّ مِنَ الزُّنَادِ <sup>(٧)</sup>  
إِذَا مَا خِفْتُ رَدَّ إِلَيَّ نَفْسِي      وَصَارَ إِلَى مَسَاكِينِهِ فُؤَادِي  
بَدَانَا فِي الزِّيَارَةِ ثُمَّ عُدْنَا      فَلَا بَدْنِي جَفَوْتَ وَلَا مُعَادِي

(١) الكاشحين: الأعداء.

(٢) البخاد: حائل السيف.

(٣) البيضاء: سنة القحط والجفاف - القناد: الجفاف حيث لا ينبت غير الشوك.

(٤) نائلة: عطاياه - التلذذ: ما يملكه المرء.

(٥) الندى: الكرم - أبو عدي: حاتم الطائي - كعب بن مامة: كريم من كرماء العرب.

(٦) الولي: المطر الذي يأتي متأخراً - العهد: أول الضيق.

(٧) الوري: المخفي.

وَقَدْ كُنَّا نَجِبُ جِمَادَ رَهْبِي وَمَا بَيْنَ الْوَرِيعةِ وَالْمَقَادِ<sup>(١)</sup>  
وَسَلَمَانَيْنِ نَذْكُرُ مِنْ هَوَانَا إِلَى الدُّوْرِ الدُّوَاحِلِ فِي الْجِمَادِ<sup>(٢)</sup>  
وَوَدُّعْنَا الْخَفَائِرَ مِنْ فَلَاحِجٍ وَحَيًّا يَسْكُنُونَ رَحَا الثُّمَادِ<sup>(٣)</sup>  
لَقَدْ طَبَّيْتُ نَفْسِي عَنْ صَدِيقِي وَقَدْ طَبَّيْتُ نَفْسِي عَنْ بِلَادِي  
فَأَصْبَحْنَا وَكُلَّ هَوَى الْبِكَمِ يُقَفِّعُ نَحْوَ أَرْضِكُمْ عِمَادِي<sup>(٤)</sup>  
تُقَرِّبُنَا مِنَ الْيَمَنِ الْمَهَارَى لِعَيْدِي مِنَ النَّجَبِ الثَّلَاثِ<sup>(٥)</sup>  
يُجَاذِبُنِ الْبَرِينَ وَهْنُ خُوصٍ يُطِرْنَ شَوْلِكَ الزُّبْدِ الْجِمَادِ<sup>(٦)</sup>  
إِذَا افْتَرَّ الْحُدَاةُ مَضِيئِينَ قُدَمَاءَ

وَفِي الْخَمْسِ الْجُمُوحُ لَهُنَّ حَادِي<sup>(٧)</sup>

يُصَادَيْنِ الْمَوَاجِرَ حِينَ تَحْمَى وَحِرْبَاءُ الْفَلَاةِ أَحْمُ صَادِ<sup>(٨)</sup>

(١) (رهبي) و(الوريعه) و(المقاد): أسماء مواقع مر القوم بها.

(٢) (سلماني): إسم موقع كذلك.

(٣) (فلاح) و(رحا الثماد): إسمان لموقعين.

(٤) يقفّع: يقطع عماد بيته للارتحال.

(٥) المادي: موقع في اليمن.

(٦) البرين: الخلاخل - غوص: صفة للعيون الداخلة بمكس الجاحظة والناهة.

الجماد: ما يجمع على خطم النوق من الزبد.

(٧) اختر: اتفتح الفم وظهرت منه الأسنان - الجموح: السير المتعب.

(٨) يصادين: يتجنبن - المواجير: الصراري - حرباء الفلاة: شدة حر الصحراء -

صادي: ظمان

دَأْبَنَ اللَّيْلُ نَحْوَكُمْ فَلَمَّا تَجَلَّتْ مِنْ أَوَاخِرِهِ الْمَوَادِي (١)  
 وَقَعْنَ جَوَانِحًا فِي ظِلِّ لَيْلٍ عَلَى مَطْوِيَّةٍ وَالصَّبْحُ بَادِي (٢)  
 كَانَ الصَّبْحُ أَبْلَقُ ذُو حُجُولٍ يَحِيبُ وَرَاءَ قَتَبَلَةٍ وَرَادٍ (٣)  
 وَسَبَّرْنَا قِوَا فِي آبِدَاتٍ غَلَيْنَ مُهْلَهْلًا وَلَبَا دُؤَادٍ (٤)  
 وَحِينَ الْخَافِقِينَ يَسِرْنَ فِيهِمْ سِرَاعَ السَّيْرِ نَازِحَةَ الْمَصَادِ (٥)  
 يُشْبَهُ وَقَعَهُنَّ مُصَصَّمَاتٍ سُوفًا هَزَّهَا أَخْوَا مُرَادٍ  
 قال في هجو الفرزدق. وهي من النقائص:

زَارَ الْفَرَزْدَقُ أَهْلَ الْحِجَارِ فَلَمْ يَحْظَ فِيهِمْ وَلَمْ يُحْمَدِ  
 وَأُخْزِيَتْ قَوْمَكَ عِنْدَ الْحِطِيمِ وَبَيَّنَ الْبَقِيعَيْنِ وَالْفَرَقْدَ (٦)  
 وَجَدْنَا الْفَرَزْدَقَ بِالْمَوْسِمَيْنِ خَيْثُ الْمَدَاخِلِ وَالْمَشْهَدِ (٧)

(١) الموداي: بشائر البداية.

(٢) المطوية: وصف للباقي الباركة على قوائمها.

(٣) الأبلق ذو الحجول: الحصان عندما يرتفع بقوائمه يظهر بياض في بطنه. وهكذا شبه بداية الصبح بعد آخر الليل - يشب: يرفع قوائمه استعداداً للانطلاق - القنينة: الجماعة - الوارد: صفة للخيل.

(٤) المهلهل، ولَبَا دُؤَاد: من شعراء الجاهلية.

(٥) الخافقين: المشرق والغرب.

(٦) الحطيم: ركن الكعبة - البقيع والفرقد: مقابر قريش في المدينة المنورة. وهذه المواقف من المشاعر المقدسة.

(٧) الموسمان: رحلتا الشتاء والصيف اللتان كانت قريش تقوم بهما في كل عام.

تَفَاكَ الْأَعْرُ لِبْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ      يَحَقِّقُ تَنْفَى عَنِ الْمَسْجِدِ<sup>(١)</sup>  
وَشَبَّهَتْ نَفْسَكَ أَشْقَى ثَمُودَ      فَقَالُوا، ظَلَلْتَ وَلَمْ تَهْتَدِ<sup>(٢)</sup>  
وَقَدْ أَجَلُوا جِنَّ حُلَّ الْعَذَابِ      ثَلَاثَ لَيَالٍ إِلَى الْمَوْعِدِ  
وَشَبَّهَتْ نَفْسَكَ حُقُوقَ الْحِمَارِ      خَبِثَ الْأَوَارِي وَالْمِرْوَدِ<sup>(٣)</sup>  
وَجَدْنَا جُبَيْرًا أَبَا غَالِبٍ      بَعِيدَ الْقَرَابَةِ مِنْ مَعْبَدِ<sup>(٤)</sup>  
أَتَجْعَلُ ذَا الْكَبِيرِ مِنْ مَالِكٍ؟      وَأَيْنَ سُهَيْلٍ مِنَ الْفَرَقْدِ<sup>(٥)</sup>  
وَشَرُّ الْفِلَاءِ لِبْنُ حُقُوقِ الْحِمَارِ      وَتَلْقَى قُفَيْرَةَ بِالْمِرْصَدِ<sup>(٦)</sup>  
وَعِرْقُ الْفَرَزْدَقِ شَرُّ الْعُرُوقِ      خَبِثُ الثَّرَى كَلْبِيُّ الْأَرْزَدِ<sup>(٧)</sup>  
وَأَوْصَى جُبَيْرٌ إِلَى غَالِبٍ      وَصِيَّةَ ذِي الْحَرَمَةِ الْمَجْهَدِ  
فَقَالَ: أَرْفُقْنِي بِلَى الْكَثِيفِ      وَحَكِّ الْمَشَاغِبِ بِالْمِيرَدِ<sup>(٨)</sup>

- (١) في هذا البيت تلميح إلى طرد الفرزدق على يد الخليفة عمر بن عبد العزيز من المدينة لسوء سلوكه.  
(٢) أشقى ثمود: الذي عقر ناقة نبي الله صالح، بعد أن نهي عن ذلك.  
(٣) الأوارى: خلقات تثبت في الأرض وتربط بها الدواب - المروء: الحديد الذي يُربط بها اللجام.  
(٤) جبير: خدام كان عند جد الفرزدق - معبد: ابن زرارمة بن علس الدرهمي.  
(٥) الكبر: زق ينفخ فيه - سهيل والفرقد: من الكواكب.  
(٦) قفيرة: أم الفرزدق  
(٧) الثرى: التراب: وللغنى مجازي، المقصد به أصل الفرزدق - الكلبى الأرزد:  
الذي لا يرجى منه خيراً  
(٨) لى الكثيف: طي الحديد - المشاغب: الجواب.



وَجَعَلْنُ حَطَّ بِهَا الْمُنْقَرِيَّ كَرَجَع يَدِ الْفَالِجِ الْأَمْرَدِ<sup>(١)</sup>  
تَنَاءَبَ مِنْ طُولِ مَا أَبْكَرَتْ تَشَاوَبَ ذِي الرَقِيهِ الْأَذْرَدِ<sup>(٢)</sup>  
فَهَلَّا ثَارَتْ يَبْنَتْ الْقُبُورُ وَتَرَكَ شَوْقاً إِلَى مَهْدٍ  
وَهَلَّا ثَارَتْ بِحِلُّ النُّطَاقِ وَدَقَّ الْخَلَائِلِ وَالْمَعْصَدِ<sup>(٣)</sup>  
فَأَصْبَحَتْ تَغْفُرُ آثَارَهُمْ ضَحَى مِشْيَةِ الْجَادِفِ الْأَغْفَدِ<sup>(٤)</sup>  
كَلْبِلًا وَجَدْتُمْ بَنِي مِنْقَرٍ سِلَاحَ قَتِيلِكُمْ الْمُسْنَدِ<sup>(٥)</sup>  
تَقُولُ نَوَارُ فَضَحَتْ الْقُبُورُ فَلَيْتَ الْفَرَزْدَقَ لَمْ يُولَدِ  
وَقَالَتْ بَذِي حَوْمَلٍ وَالرَّمَا حِ شَهِدْتَ وَلَيْتَكَ لَمْ تَشْهَدْ  
وَفَازَ الْفَرَزْدَقُ بِالْكَلْبَتَيْنِ وَعَدِلَ مِنَ الْحَمَرِ الْأَسْوَدِ  
فَرَقَعَ لِحْدَكَ أَكْبَارَهُ وَأَصْلَحَ مَتَاعَكَ لَا تُفْسِدِ<sup>(٦)</sup>  
وَأَذِنَ الْعَلَاةَ وَأَذِنَ الْقُدُومَ وَوَسَّعَ لِكَيْمِكَ فِي الْمَقْعَدِ<sup>(٧)</sup>

- (١) المنقري: عمران بن مرة - الفالجي: الإبل ذات السنامين.  
(٢) المقصود: أن من عليه رقبه يتأهب عند الرقي والأرد من خلا فمه من الأسنان.  
(٣) ويقول في هذا البيت: إنه أراد الدعوة إلى الثار من وصل نطاق الإبل، استعداداً للمواجهة. وبنيت القبور هي نوار.  
(٤) الجادف الأعقد: صفات قبيحة تطلق على الكلاب.  
(٥) كلبلاً: بعد كثير من الجهد - المسند: الذي ينتسب إلى القوم وهو غريب عنهم.  
(٦) الأكبار: الصمامات.  
(٧) العلاة: السندان.

قَرَنْتَ الْجَيْشَ إِلَى ذِي الصَّلَيبِ      مَعَ الْقَمَرِ فِي الْمَرَسِ الْمُخَصَدِ<sup>(١)</sup>  
وَقَدْ قَرِنُوا حِينَ جَدَّ الرَّهَانُ      بِسَامٍ إِلَى الْأَمَدِ الْأَبْعَدِ<sup>(٢)</sup>  
بُفْطَعُ بِالْجَرِي أَنْفَلَسَهُمْ      بِغَيْرِ النِّجَادِ، وَلَمْ يُجْهِدِ  
فَبِئْسَ أَتَسَّ نَحْبُ الْوَفَاءِ      حِذَا الْأَحَادِيثَ فِي الْمَشْهَدِ  
وَلَا نَجْتَنِي عِنْدَ عَقْدِ الْجَوَارِ      بِغَيْرِ السُّوفِ وَلَا نَرْتَدِي  
شَدَدْتُمْ حُبَّكُمْ عَلَى غَلَرَةٍ      بِجَيْشَانِ وَالسَّيْفِ لَمْ يُغْمَدِ<sup>(٣)</sup>  
فَبُعْدًا لِقَوْمِ أَجَارُوا الزُّبَيْرَ      وَأَمَّا الزُّبَيْرُ، فَلَا يَبْعَدِ  
فَلَمَّا أَتَيْتَ وَتَتَ الذَّلِيلُ      قَعَدْتُ عَلَى اسْتِوَامِيهِ مُقْعَدِ  
أَعْبَتَ فَوَارِسَ يَوْمِ الْغَيْطِ      وَأَيَّامَ بَيْشِرِ بَنِي مَرْتَدِ  
وَيَوْمًا يَسْلُقَاءُ يَا ابْنَ الْقِيَمِ      شَهِدْنَا الطَّعَانَ وَلَمْ تَشْهَدْ<sup>(٤)</sup>  
فَصَيَّحْنَ أَبْجَرَ وَالْخَوْفَزَانَ      بِوَرْدٍ مُشْبِعٍ عَلَى الرُّودِ  
وَيَوْمَ الْبَحِيرَيْنِ الْحَقَّتْنَا      لَهُنَّ أَخَادِيدُ فِي الْقَرَدِ<sup>(٥)</sup>

(١) المصد: الحكم القتل.

(٢) قرنوا: شهبوا.

(٣) إشارة إلى غدر قوم الفرزدق بالزبير بن العوام ولم تفض منه على موقعه الجمل.

(٤) في هذا البيت، والبيت الذي سبقه، يفاخر جرير على الفرزدق لأنه لم يلتحق بالمواقع التي ذكرها.

(٥) الأخاديد: شقوق الأرض - القرود: الأرض المنبسطة.

نُعِضُّ السُّيُوفَ بِهَامِ الْمُلُوكِ وَتَشْفِي الطَّمَاخَ مِنَ الْأَصِيدِ<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ يَهْجُو التِّيمَ:

عَزَا نَمِرٌ وَقَدْ بَنَى تَمِيمٌ وَمرُّ لَهُ الْأَيَّامُ بِالسُّعُودِ<sup>(٢)</sup>  
فَفَكَ الْغُلُّ عَنْ تِيمٍ بِنِ قَنْبٍ وَتِيمٌ فِي السَّلَاسِلِ وَالْقُبُودِ<sup>(٣)</sup>  
قال في رثاء جبير بن عياض الكلبي:

لَعَمْرِي لَعِنَ خَلَى جُبَيْرُ مَكَاتِهِ  
لَقَدْ كَانَ شَعشَاعَ الْعَشِيَّةِ شَيْظُمًا<sup>(٤)</sup>  
أَشْمٌ، طَوَالَ السَّاعِدَيْنِ تَرَى لَهُ إِذَا الْقَوْمُ هَابُوا الْقَوْمَ أَنْ يَتَقَلَّمَا  
لَعَمْرِي لَقَدْ عَالَى عَلَى النَّعْشِ مُحَرَّرٌ  
فَتَى نَالَ قِلْمًا عِقَّةً وَتَكْرُمًا  
فَتَى كَانَ أَحْمَا مِنْ خَاةٍ حَبِيبَةٍ وَأَشْجَعَ مِنْ لَيْثٍ يَخْفَانُ مُقَدِّمًا<sup>(٥)</sup>  
إِذَا اللَّحْمَ كَانَ الزَّادَ لَمْ يُلَفَّ لَحْمُهُ  
جَمِيعًا وَلَكِنْ شَاعَ فِي الْحَيِّ الْحُمَا

- 
- (١) الهام: الرأس من كل شيء، وتطلق على الجسد أيضاً - الطماخ: السيوف -  
الأصيد: الشامخ، التكبر.  
(٢) نمر: هو نمر السعدي الذي قُتِلَ تِيم.  
(٣) الغل: القيود.  
(٤) الشيطان: الطويل - الشعشاع: المشوق.  
(٥) عطلاء: موضع قريب من الكوفة بالعراق.

إذا الأمرُ نابَ الحميَّ لم يُقْضَ دونه  
ولأن طَرَقَ الأضيافُ لَيْلًا تَبَسُّما

وقال يرثي عطية بن جعال الغداني:

مَنْ ذَا يُعِدُّ بَنِي غَدَاةَ لِلْعُلَى      وَالْخَيْرِ، بَعْدَ عَطِيَّةَ بْنِ جِعَالٍ  
كَانَ الْمُنَاجِحَ فِي الْعَرَبِيَّةِ بَعْدَنَا      أَلْقَى الشَّاءَ أُصِيرَةَ الْأَشْوَالِ<sup>(١)</sup>  
وَمُدْفَعِينَ جَفَا الْأَقَارِبُ عَنْهُمْ      حَلُّوا إِلَيْكَ بِدَمْنَةٍ مِخْلَالِ<sup>(٢)</sup>

وقال يرثي الفرزدق:

فُجِعْنَا بِحِمَالِ الدَّهَاتِ ابْنَ غَالِبٍ      وَحَلَمِي تَعِيمٍ عِرْضَهَا وَالْمَرَاجِمِ  
بَكَيْنَاكَ جَذَنَانِ الْفِرَاقِ وَأُنْمَا      بَكَيْنَاكَ إِذْ نَابَتْ أُمُورُ الْعَظَائِمِ  
فَلَا حَمَلَتْ بَعْدَ ابْنِ لَيْلَى مَهِيرَةً      وَلَا شَدَّ أَسَاعُ الْمَطِيِّ الرُّوَاسِمِ  
ومن غزله قوله:

حَيُّوا الْمَقَامَ وَحَيُّوا سَاكِنَ الدَّارِ      مَا كَذَبَتْ تَعْرِفُ إِلَّا بَعْدَ إِنْكَارِ  
إِذَا تَقَادَمَ عَهْدُ الْحَمِيِّ هِجَجَنِي      خَيَالُ طَيِّبَةِ الْأُرْدَانِ مِغْطَارِ<sup>(٣)</sup>  
لَا بِأَمْسَنُ قُوًى نَقْضَ مِرَّتِي      إِنِّي أَرَى الدُّهْرَ ذَا نَقْضٍ وَإِمْرَارِ

(١) العرّة: السنة البادرة - الأشوال: الإبل التي لا تدر.

(٢) الدمّة المخلال: الأرض الطيبة التي نزل بها.

(٣) الأردن: مفردها ردن وهو الكم الواسع

قَدْ أَطْلُبُ الْحَاجَةَ الْقُصْوَى فَأَذِرْ كُهَا      وَلَسْتُ لِلجَارَةِ الدُّنْيَا بِمِزْوَارٍ  
أَلَا بَغْرٌ مِّنَ الشُّمُزَى مُكَلَّلَةٌ

يَجْرِي السِّدْفُ عَلَيْهَا الْمَرْعُ الْوَارِي<sup>(١)</sup>

إِذَا أَقُولُ تَرَكْتُ الْجَهْلَ هَيَّجَنِي      رَسَمَ بَذِي الْبَيْضِ أَوْ رَسَمَ بَدْوَارٍ<sup>(٢)</sup>

تُمْسِي الرِّيحُ بِه حَنَانَةٌ عَجَلًا      سَوَفَ الرُّوَالِمِ بَوًّا تَهْنُ أَظَارٍ<sup>(٣)</sup>  
هَلْ بِالنَّقِيعَةِ ذَاتِ السُّلْرِ مِنْ أَحَدٍ

أَوْ مَنِيَتِ الشَّيْعِ مِنْ رَوَاضَاتِ أَعْيَارٍ<sup>(٤)</sup>

سُيِّتَ مِنْ سَبَلِ الْجَوَازِ غَادِيَّةٌ      وَكُلُّ وَكِيفَةِ السَّعْدَيْنِ مِذْرَابٍ<sup>(٥)</sup>

قَدْ كُدتُ، إِنْ فِرَاقَ الْحَيِّ يَشْفَعُنِي      أَنْتَ عَزَائِي وَلَهْدِي الْيَوْمَ أَسْرَارِي

لَوْلَا الْحَيَاءُ لَهَاجَ الشُّوقِ مُخْتَشِعٌ      يَمِثُلُ الْحَمَامَةِ مِنْ مُسْتَوَقِدِ النَّارِ<sup>(٦)</sup>

لَمَّا رَمَتْنِي بِعَيْنِ الرِّيمِ فَاقْتَلَّتْ

قَلْبِي رَمَتْ بِعَيْنِ الْأَجْدَلِ الضَّارِي<sup>(٧)</sup>

---

(١) الشُّمُزَى: شجر تصنع منه بعض أوعية الطعام - السِّدْفُ: السَّام، الْوَارِي: الكثير اللحم.

(٢) ذُو الْبَيْضِ: من بلاد يربوع - دَوَارٌ: ماء لبني نَسِيد.

(٣) السَّوْفُ: الشَّم - الرُّوَالِمِ: الحَنُوزَةُ - الْبَوُّ: جلد يُحْشَى بِالْتِّينِ يُوَضَعُ أَمَامَ النَّافَةِ فَحَسْبُهُ لَبَنُهَا وَلَا تَقْطَعُ عَنِ الدَّرِّ. الْأَظَارُ: المَرْضَعَاتُ.

(٤) النَّقِيعَةُ، وَأَعْيَارٌ: أسماء مواقع.

(٥) الْغَادِيَّةُ: «السَّحَابَةُ» - السَّعْدَيْنِ: من سعد النجوم، سعد السعود وسعد الأعمية.

(٦) الْمُخْتَشِعُ: الرَّمَاد.

(٧) الْأَجْدَلُ الضَّارِي: الصقر من الطيور الجارحة.

مِلْءُ الْعُيُونِ جَمَالاً ثُمَّ يُؤْنِقُنِي لَحْنُ لَيْثٍ وَصَوْتُ غَيْرِ خَوَارٍ  
ومن غزله - أهدأ - قوله:

لَمَنْ الدِّهَارُ كُلُّهَا لَمْ تُخْلَلْ تَيْنَ الْكِنَاسِ وَتَيْنَ طَلْحِ الْأَعْزَلِ<sup>(١)</sup>  
وَلَقَدْ أَرَى بِكَ وَالْجَدِيدُ إِلَى بَلَى مَوْتَ الْحَوَى وَشِفَاءَ عَيْنِ الْمُجَلِّي  
نَظَرْتُ إِلَيْكَ بِمِثْلِ عَيْنِي مُغْزَلٍ قَطَعَتْ حَيَاتَهَا بِأَعْلَى بَلِيلٍ<sup>(٢)</sup>  
وَإِذَا التَّمَسْتَ نَوَالَهَا بَخَلَتْ بِهٍ وَإِذَا عَرَضْتَ بِوَدَّهَا لَمْ تَبْخَلْ  
وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالْمَطِيُّ خَوَاصِيعَ وَكَأَنَّهِنَّ قَطَا فَلَاحٍ مَجْهَلٍ  
يَسْقِينَنَ بِالْأَدَمَى فِرَاحَ تَسْوِفَةٍ زُغْبًا حَوَاجِبُهُنَّ حُمَرَ الْحَوْصَلِ<sup>(٣)</sup>  
بِأُمِّ نَاجِيَةِ السَّلَامِ عَلَيْكُمْ قَبْلَ الرُّوَاخِ وَقَبْلَ لَوْنِ الْعَزْلِ  
وَإِذَا غَدَوْتَ فَبَاكَرْتُكَ تَحِيَّةً

سَبَقَتْ سُرُوحَ الشَّاحِجَاتِ الْحُجَلِ  
لَوْ كُنْتُ أَرْهَبُ وَشَكَّ بَيْنَ عَاجِلٍ لَقَنَنْتُ، أَوْ لَسَأَلْتُ مَا لَمْ يُسَالِ

وكذلك من غزله قوله:

أُسْرَى لِخَالِدَةَ الْخَيَالُ وَلَا أَرَى طَلَلًا أَحَبُّ مِنَ الْخَيَالِ الطَّارِقِ

(١) الكناس: موقع لبني غني - الطلح: نوع من الشجر - الأعزل: ماء لبني كليب.

(٢) بليل: إسم مكان.

(٣) الحوصل: مفردا حوصلة، وهي من الطائر بمنزلة المعدة من الأسنان.

إِنَّ الْبَلِيَّةَ مَنْ يُمَلُّ حَدِيثُهُ

فَاتَّخَعَ قَوَادِكَ مِنْ حَدِيثِ الْوَامِقِ<sup>(١)</sup>

أَهْوَاكِ فَوْقَ هَوَى النُّفُوسِ وَلَمْ يَزَلْ

مُذْ بِنْتَ قَلْبِي كَالْجَنَاحِ الْخَافِقِ

طَرَبًا إِلَيْكَ وَلَمْ تُبَالِي حَاجَتِي لَيْسَ الْمَكَادِبُ كَالْخَلِيلِ الصَّادِقِ

هَلْ رَامَ فِيهِ مَحَلُّنَا رَوْضُ الْقَطَا فَرُوتَانُو إِلَى غَدِيرِ الْخَانِقِ<sup>(٢)</sup>

مَا يُفْجِمُونَ عَلَيَّ مِنْ مُتَمَرِّدٍ إِلَّا سَبَقْتُ فَنِعَمَ قَوْمِ السَّابِقِ

---

(١) الوامق: المحب المخلص.

(٢) روتان والخلق: موضعان.

## - المصادر والمراجع -

- ١ - ابن سعد: عبد الله بن محمد بن منيع الزهري. طبقات ابن سعد. ط. ليدن (١٣٢٥هـ ١٩٠٨ م).
- ٢ - ابن سلام الجمحي: محمد. طبقات الشعراء. تقديم عبد الحميد فايد. بيروت.
- ٣ - ابن عبد ربه: أحمد بن محمد؛ العقد الفريد، ط. لجنة التأليف والترجمة والنشر. القاهرة (١٩٦٥).
- ٤ - ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم. الشعر والشعراء. ط. دار المعارف بمصر.
- ٥ - الأصبهاني: أبو الفرج: علي بن الحسين. الأغاني:
  - المنشورات دار مكتبة الحياة بيروت: ١٩٥٥.
  - دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة ١٩٦٢.
  - دار الكتب المصرية ١٩٢٨.
- ٦ - البستاني: فؤاد أفرام؛ الروائع. ط. ٦ (١٩٨٣).
- ٧ - البلاذري: أحمد بن يحيى بن جابر. فتوح البلدان. ليدن (١٨٦٦).



٨ - المهيتي: نجيب محمد. تاريخ الشعر العربي. دار الفكر. مكتبة الخانجي.

٩ - الجاحظ: أبو عثمان: عمرو بن بحر: محبوب الكناني. البيان والتبيين. الخانجي بمصر. ط. ٢. (١٩٦٠). ج. ١.

١٠ - حتي: فيليب: تاريخ العرب. دار غندور للطباعة والنشر. بيروت (١٩٧٤).

١١ - الحموي: ياقوت: ابن عبد الله الرومي. معجم الأدباء القاهرة (١٩٣٦).

١٢ - الدينوري: أبو حنيفة: أحمد بن داود: الأخبار الطوال. ليدن (١٨٦٧).

١٣ - الشريف المرتضى: أبو القاسم: علي بن الحسين موسى العلوي - أمالي الشريف المرتضى «غرر الفوائد، ودرر القلائد» دار إحياء الكتب. القاهرة.

١٤ - ضيف: شوقي. التطور والتجديد في الشعر الأموي. دار المعارف. القاهرة. الطبعة السادسة منقحة (١٩٥٩).

١٥ - الطبري: محمد بن جرير: تاريخ الرسل والملوك. نشر دي غويه. ليدن (١٨٨٢ م).

١٦ - المحاسني: زكي. شعر الحرب في أدب العرب، في العصرين الأموي والعباسي إلى عهد سيف الدولة. دار المعارف بمصر (١٩٦١).

١٧ - محمد حسين: محمد. الحجاج والمهاجرون في صدر الإسلام.  
ط. ٢. دار النهضة العربية للطباعة والنشر. بيروت (١٣٨٩ هـ ١٩٧٠ م).

١٨ - المرزباني: محمد بن عمران بن موسى: أبو عبد الله، الموشح.  
ط. دار النهضة. مصر. القاهرة.

١٩ - المسعودي: أبو الحسن: علي بن الحسين. مروج الذهب  
ومعادن الجواهر. نشر دي غويه. لندن (١٨٩٣ م).



## فهرس المحتويات

٣	المقدمة
٧	الفصل الأول: الشاعر من خلال عصره
١٠	العصر الأموي، تطور الشعر مع الحياة
١٢	الحياة الدينية
١٧	الحياة العقلية
٢٣	الحياة السياسية
٢٩	الحياة الاجتماعية
٣٥	الحياة الاقتصادية
٤١	الفصل الثاني: نشأته وثقافته.. الخ
٤٧	مكان إقامته
٤٩	ثقافته
٥٢	صفاته
٥٣	وفاته
٥٥	الفصل الثالث: اتصاله بأرباب السلطان
٥٨	جرير ويزيد بن معاوية
٥٩	جرير ولينا الزبير
٦١	جرير وعبد الملك بن مروان
٦٤	جرير والوليد بن عبد الملك

٦٩	جرير وسليمان بن عبد الملك
٧١	جرير وعمر بن عبد العزيز
٧٦	جرير وفيزيد بن عبد الملك
٧٩	جرير وهشام بن عبد الملك
٨٣	جرير والشعراء
٨٧	الفصل الرابع: أغراضه الشعرية
٩٥	المدح
١٢٤	الهجاء
١٤٢	الثناء
١٥١	الغزل
١٦١	الفخر
١٧٠	الخصائص العامة
١٧٥	مختارات من شعره
١٩١	المصادر والمراجع